د. عبد الودود شلبي

حول العالم الإسلامي في ثلاثين عاما

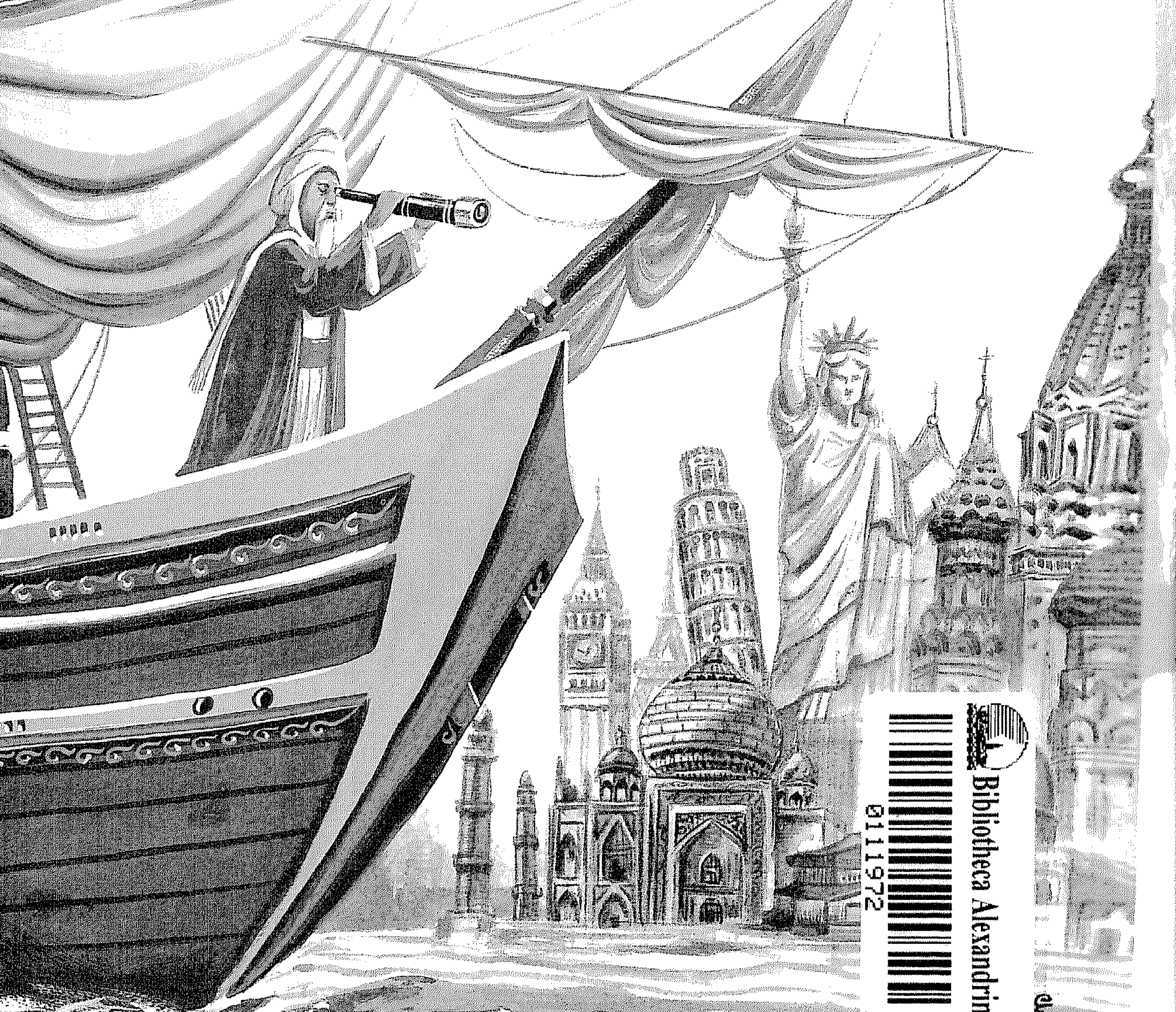

مركز الراية للنشر والإعلام

Bibliotheca Alexandrina
0111972

١٩٩٨٦

دكتور عبد الودود شلبى

...ation of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina

حول العالم الإسلامى

فى ثلاثين عاما

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف : ٩١٥.٩١
رقم التسجيل : ٢٠٦٠٤

مركز الراية للنشر والإعلام

مركز الراية للنشر والإعلام

أسسه أحمد فكرى عام ١٩٩٤

أســم الكتــاب :

حول العالم الإسلامى فى ثلاثين عاما

المـــــؤلف :

د. عبد الودود شلبى

تصميم الغلاف :

الفنان عمــرو فهمى

الناشـــــر :

مركز الراية للنشر والإعلام

الطبعــــة :

الأولــى ١٩٩٦

كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع ملك للناشر

رقم الإيـداع

٩٧ / ١٥٣١٧

إلى صاحب تحفة النظار

في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

إلى عمنا الشيخ بن بطوطه

ذلك الرجل الذى فتح أعيننا على عالم من الواقع والسحر والجمال وشوقنا إلى الترحال والسفر من مكان إلى مكان وجعل من دنيا الله الواسعة كتاباً (يخلد ذكراه) إلى آخر الزمان ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ .... ﴾ صدق الله العظيم

(سورة فصلت الآية ٥٣)

** حقائق أغرب من الخيال **

مثلا ستقرأ فى هذا الكتاب .. أن المسلمين هم أول من عرفوا استراليا واميركا وقبل أن يعرف الاوروبيون عن هاتين القارتين شيئاً ..

كما ستفاجأ فى هذا الكتاب أن " جون لاك لاند " ملك بريطانيا اراد اعتناق الإسلام .. ومعه شعب بريطانيا . وان السفير البريطانى فى الهند انتظر عامين امام أبواب قصر الملك المسلم كى يسمح له بالمثول بين يدى الملك الذى رفض مقابلة هذا السفير نهائيا .. !

وفى "سرى لانكا" سنلتقى بأبينا "ادم " وامنا "حواء" فى رحلة ابن بطوطة ! كما سنلتقى بالزعيم أحمد عرابى .. ومحمود سامى البارودى فى كلية " الزاهرة الإسلامية " التى أسسها عرابى فى كولومبو ..

أما فى جزر المالديف فسنرى كيف انتصر الشيخ " ابو البركات " على " الجنى " وكيف اسلم الشعب والملك بعد ذلك على يدى هذا الشيخ .

فى إندونسيا وماليزيا ستفاجأ بشركة إسمها " شركة الاولياء التسعة " ! كما سوف تتعرف فى شاطئ الغرام على اغرب عملية زواج جماعية فى " كوتابارو" عاصمة ولاية كلنتان ..

فى الصين سنلتقى " بأم المسلمين " هناك .. ؟ ! كما ستفاجأ بوجود مدينة " مكة المكرمة . فى الصين أيضا .. ! أما فى " كانتون " على شاطئ نهر اللؤلؤ فسوف نلتقى جميعا فى مسجد " المشتاق " إلى النبى .. !!

فى اليابان سنتعرف على أشهر داعية مسلم عرفته اليابان فى عام ١٩٠٦ ميلادية وهو الشيخ على الجرجاوى المصرى .. كما سنلتقى مع الشيخ " على " فى مفاجأة أخرى فى " ميناء نابلى " الإيطالى ..

فى بلاد التركستان سترى العجب . وستقرأ عن نوع من الشياه يعيش

على أكل الثلج لا على أكل العشب .. ! فى أمريكا .. يتحدث الكتاب عن صفحات مجهولة من تاريخ الزعيم الزنجى المسلم مالكولم إكس . ولماذا قتلته المخابرات علنا فى قلب نيويورك . كما سنلتقى بالدكتور " روبرت كرين"..او فاروق عبد الحق المستشار للرئيس الامريكى الاسبق" نيكسون" ولماذا فصله " كيسنجر اليهودى " من وظيفته ! .

فى فرنسا ستعرف الكثير عن " الكونت دو " الذى أسلم وسنلتقى فى صحراء الجزائر بالكونت " دى كاسترى " الذى تعرف على عظمة الإسلام وشرائعه من البدو الرحل .. !

فى بريطانيا ستعرف إلى أى مدى أنتشر الإسلام فى لندن وكيف ولماذا وضعت تحت المراقبة لمدة أسبوعين من صاحبة البيت الذى كنت أقيم فيه فى " كمبردج " ؟ ! .

إنه كتاب يطوف بك حول العالم على جناح قلم .. وهل يخطر ببالك أن ينتقل حى " الباطنية " إلى هولندا .. ؟ وأن تظهر قبائل " نمنم " فى اميركا ؟ ! .

فى رحلة امتدت إلى اكثر من ثلث قرن .. ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب .. رحلة بدأها الكاتب من افريقيا وانتهى بها فى حى الازهر والحسين !!! .

* * *

الناشر

احمد فكرى

فى السفر ..
والغربة
وأفريقيا ..
وبلاد ..الماو مــــاو!

فى .. السفر ... و الغربة .. !

*** *** ***

مــا فــى المـقــام لــذى عقــلٍ وذى أدب
مــن راحــةٍ . فــدعْ الأوطــان .. واغتــربِ
ســافرْ تجــد عــوضــا عمــن .. تفــارقــه
" واتعبْ (١) "..فإن لذيذ العيش فى التعبِ
إنـــى رأيــت وقــوف المـــاء يفســـده
إن ســاح طــاب .. وإن لــم يجـر لـم يطبِ
والشمــس لــو وقفــت فــى الفــلك دائمــة
لملهــا النــاس .. مــن عجــم ومــن عــربِ

(الإمام الشافعي)

(١) فى نسخة أخرى "وانصب" بدل "واتعب " والمراد : جد واجتهد - يريد الامام الشافعى أن يقول : إن الحياة لو استمرت على نسق واحد ووتيرة واحدة لملها العقلاء وضرب على ذلك مثلا بالماء الجارى والماء الراكد . إن فى الماء الجارى شفاء وعافية . بينما يمتلىء الماء الراكد بالجراثيم والميكروبات وكذلك الشمس . فإنه بالرغم من منافعها الكثيرة غير إنها لو ظلت طالعة نهارا وليلا فإن الناس جميعا يملونها .
فسافر .. وارتحل .. إذا استطعت .. !

في أفريقيا .. وبلاد الماو . ماو . !

*** *** ***

منذ ستين عاما لم تكن أحلام فتى القرية تتجاوز حدود هذه القرية الواقعة بين فرعين من فروع النهر . أو الذهاب إلى "(سوق الثلاثاء) " لتناول وجبة من الطعمية والسمك فى قرية (سبك) ..! أو اللحاق بقافلة الجمال المتجهة إلى "(بنها العسل)" لبيع القطن ..! وأقصى ما كان يتمناه فتى القرية الصغير فى هذا الوقت ركوب تلك الباخرة النيلية الصغيرة التى كانت تنقل المسافرين من القرية إلى "(مرسى روض الفرج)" الشهير فى مصر .!

أما أن يطوف حول الدنيا ؟ ويسافر إلى أبعد مكان فيها فى "(استراليا)" فقد كان ذلك ضربا من الخيال والوهم ، أو نوعا من (الجنون) الذى يتوهم صاحبه الصعود إلى السماء على ضوء القمر أو أشعة الشمس ..؟ !!!

غير أنى لازلت أذكر .. وبالرغم من مرور كل هذا الزمن .. لازلت أذكر حكايات وقصص الشيخ "رمضان" بائع العنبر فى قريتنا .. هذه القصص والحكايات التى كان يطوف بها معنا جميع أنحاء الدنيا ..

ففى ليلة صيف مقمرة أكتمل فيها البدر .. وهب فيها النسيم عليلا من جهة النهر ..!

جلس الشيخ رمضان يحدثنا عن الدنيا المحمولة على قرن ثور ..!

وعن بلاد " نمنم " التى يأكل أهلها لحوم البشر ..!

وعن بلاد " الواق " .. الواق " التى لا يصل إليها الإنسان إلا على جناح طائر ضخم أسمه " الرخ " . !

* * *

لقد اكتشفت -فيما بعد- أن هذه الحكايات والاساطير لم تكن وقفا على أهل القرية .. أوعلى الشيخ رمضان ففى شارع "الأدب" وقلة " الأدب" المعروف -حاليا- باسم شارع محمد علىا رأيت صورة على غلاف إحدى المجلات التى كانت تصدر فى هذا الشارع .. صورة تمثل الدنيا فعلا كما صورها الشيخ رمضان محمولة على قرن ثور ...كما كتب تحت هذه الصورة كلام يؤكد :

أن ثورة البراكين ووقوع الزلازل تحدث عندما يحس الثور بالتعب . فينقل الدنيا من قرن إلى قرن .. بسبب هذا الارهاق وهذا التعب . !!!

فى هذه الايام لم يكن شارع محمد على خاصا بالغناء والرقص . بل كانت تصدر فيه أشهر مجلات الفن والأدب . بل أن أشهر مجلة إسلامية – فى ذلك العهد – وهى مجلة الاسلام . كانت تطبع فى هذا الشارع على يسار المتجه من ميدان العتبة إلى ميدان باب الخلق ..

حتى الباطنيه ..ا لم تكن سيئة السمعة كما يعرفها الناس فى هذا الزمن بل كانت سكنى الطلبة والصالحين من شيوخ العلم كما كانت قبلة المريدين والمحبين لسيدى أحمدالدردير الذى يقع مقامه ومسجده قريبا من هذا الحى ..

* * *

كنت أظن أن قصص وحكايات الشيخ رمضان قد تلاشت فإذا بى أفاجأ أن فى مدينة "(لندن)" وحدها يعيش أكثر من ربع مليون ساحرة وساحر.. !

بل أن صحيفة " لوموند الفرنسية " " LE MONDE " نشرت أن رئيس الجمهورية الاسبق كان يستشير " عرافة " تعمل فى التنجيم والسحر .. !

كما نشرت مجلة تايم " TIME " أن "ريجان" الرئيس الاميركى الاسبق كان يلجأ إلى احدى " العرافات " قبل أن يصدر أى قرار من قرارت الحكم .. !!!

فى حى الباطنية أقمت حوالى تسع سنوات فى بيت الباجورى المعروف في هذا الحى .. !

كما أن حى " الباطنية " لم يعد وقفا على سكان القاهرة المحروسة ، بل أنتقل بأكملة إلى هولندا فى أوروبا " ولاس فيجاس فى بلاد العم " ..!

ففى مدينة "امستردام" يشاهد الزوار الألوف من الفتيان، والفتيات يدخنون الحشيش على قارعة الطريق علنا .. بل وينام الفتى بجوار الفتاة على الرصيف كما تنام القطط والكلاب ليلا.! والأخطر من هذا كله أن عادة أكل لحوم البشر لم تعد عادة خاصة بقبائل " نمنم " .. ! بل أنتقلت هذه العادة إلى نيويورك وواشنطن .. !

ففى أمريكا أكتشف البوليس رجلا وزوجته وقد ذبحا أطفالهما وقدماهما طعاما لعدد من النساء والرجال ..! ثم قام الجميع بعد ذلك بذبح بعضهم بعد هذه الوجبة الدسمة من لحوم الاطفال .!

ترى إلى أين يتجه العالم؟ بل إلى أين تتجه هذه الحضارة التى أصابت البشر والحكمة فى مقتل؟

أذكر أننى قمت بهمة إلى الصحراء الغربية فى عام ١٩٦٠ .. هذه الصحراء التى كانت ميدانا لحروب طاحنة بين الحلفاء - بقيادة الفيلد مارشال مونتجرمرى - وبين الألمان بقيادة مارشال روميل .

كانت إقامتى فى مدينة "مرسى مطروح" .. وهى مدينة صغيرة لم يكن يتجاوز عدد سكانها -أثناء هذه الزيارة- ألفين معظمهم من البدو من أبناء قبيلة أولاد على ..

لقد فوجئت بمدفع كبير محطم على ساحل البحر .. كما فوجئت ببقايا سفينة حربية تبدو مقدمتها حين ينحسر الموج ..

لقد اهتاجت نفسى بمشاعر جياشة، وبدأت أسأل هذا المدفع ككائن حى أنتظر منه الاجابة .. !

من جاء بك؟ ومن ألقى بالقنابل عليك؟ وكم مات حولك من الجند قبل أن تموت أنت ..!! وهل دفنوا بجوارك أم جرفهم الموج إلى البحر؟ وهل بقى من دمائهم شىء؟ أم جفت هذه الدماء وتبخرت فى الجو .. ؟ !!

* * *

إن المسلم وغير المسلم سواء فى حق الحياة والعدل..غير أن ذلك لا يجب أن ينسينا الواقع الذى تمارس فيه هذه الحياة وهذا العدل ..

لقد قتل فى "هيروشيما" و "نجازاكى" أكثر من ثلاثمائة ألف .. ومن بقى على قيد الحياة بقى فى انتظار الموت الذى لم ينج منه كائن حى ..!

فى مجلة تايم " TIME " وعلى صفحتها الأولى من الغلاف كانت أول كلمة نطق بها الكابتن "روبرت لويس" " ROBERT " بعد إلقاء القنبلة الذرية على مدينة "هيروشيما" HIROSHIMA فى السادس من شهر أغسطس ١٩٤٥م.

كانت أول كلمة قالها ذلك الضابط :

MY GOD WHAT

HAVE WE DONE

يا الهى .. ما هذا الذى فعلنا ؟!

إن ما حدث كان شيئاً رهيبا .. ومفزعا .. وكما يقول شاعر : يابانى عاصر هذا المحنة .

كان يوما قاتما دميم الوجه .. ! كل شىء فيه أسود كلون اليأس . !

السماء والناس والأرض ..

حتى الخضرة ..

كساها لون من السواد الداكن ..

لقد أصبح النصر بعيدا .. بل مستحيلا ..

ففى اليوم السادس من أغسطس ..

اشتعلت السماء بوهج أصفر برتقالى اللون ..

لقد بدأت النهاية ..

واحترق كل شىء فوق اليابسة ...

لقد انتصر الشيطان فى معركته الأخيرة .. !!!

* * *

* فى زيارة قمت بها إلى لندن .. احتبسنى المطر فى الفندق..لم تكن القراءة ممكنة .. كما لم تكن نفسى مهيأة لهذه القراءة، وبلمسة أصبع .. بدأ التليفزيون يبث برامجه من خلال القناة الرابعة ...

كان أول ما وقعت عليه عيناى من خلال الشاشة سؤال ينضج كآبة ووحشة .. سنحيا أم سنموت ؟

SHALL WE PASS OR SHALL WE DIE

ماذا يجرى فى هذه الدنيا ؟ هل عاد هتلر إلى الحياة مرة ثانية؟ أم بدأت الحرب العالمية الثالثة؟ ثم ماذا يعنى هذا السؤال المثير للكآبة والوحشة؟

لقد كان هذا السؤال عنوانا لفيلم تسجيلى عن قنبلة هيروشيما ونجازاكى .. لم يكن هذا الفيلم تمثيلا .. بل كان حقيقة وواقعا ..

فمنذ اللحظة الأولى لتحرك الطائرات القاذفة .. والكاميرا تسجل ذلك خطوة..خطوة .. لقد تصورت أن هذه الطائرات ستلقى بحمولتها فوق الفندق . وتوقعت انفجارا نوويا فى قلب لندن ..!

نموت أو نحيا ؟ هذا هو السؤال الذى يشغل العالم كله ... وللعالم - بحق - أن يعرف هذا المصير الذى ينتظره .

إن ما يبلغ مجموعه ٠٠٠ , ٥٠ خمسين ألف قنبلة ذرية يوجد فى مخازن الدول الكبرى ... إن هذا المخزون يكفى لتدمير العالم أربع مرات ونصف مرة .. وإن نصيب كل فرد فى العالم من هذه الأسلحة هو أربعة أطنان من الديناميت والمواد الناسفة !!

وهذه الحرب النووية قد تشتعل فجأة .. ومهما قيل عن الاحتياطات التى اتخذت لمنع وقوع الكارثة . فالكل يعلن ويؤكد احتمال وقوع هذه الحرب فى أية لحظة . ؟!

* * *

إن هناك أشياء عجيبة تقع فى حياتنا، أو أشياء تحدد مسيرتنا، أو أشياء تتحكم فى مشاعرنا وعواطفنا . هذه الأشياء المسيطرة . أو المتحكمة لا تجد لها تعليلا أو سببا إذا حاولت أن تعرف هذا التعليل أو هذا السبب .

أنك أحيانا تقابل إنسانا فتحبه من أول لقاء دون أن تجد سببا مباشرا لهذا الحب .

وأحيانا تقابل إنسانا فتنفر منه دون سبب مباشر لهذا النفور أو البغض..! وإذا كانت الأرواح جنودا مجندة كما يقول النبى - صلى الله عليه وسلم- .. فإن هذه القاعدة الربانية كما تنطبق على الأرواح والاشخاص فإنها كذلك تنطبق على البلدان والقارات .

قبل سفرى إلى بريطانيا منذ حوالى ثلث قرن . كنت أتصور مدينة "ريتشموند" عجوزا شمطاء كثيبة . كما كنت أتصور مدينة " كمبردج " زهرة بيضاء ناصعة . وقد وجدت المدينتين كما تصورتهما فى خيالى . وقبل أن أراهما بعينى .. !!

كذلك تصورت مدينة "لاهور" فى باكستان قبل أن أراها .. كما تحققت من ذلك بعد زيارتى لها وإقامتى فيها .

ومن أسوأ الأماكن التى ينقبض منها قلبى فى أقصى الشرق مدينة " بانكوك " ما زرتها مرة إلا مرضت أو تعبت دون سبب مباشر لهذا المرض أو هذا التعب !

وقد أحببت أفريقيا منذ الطفولة . منذ أيام كتاب القرية . ومنذ عرفت القرءاة والكتابة ، ومنذ وقعت عيناى على أول خريطة تحمل أسم هذه القارة.

وعندما التحقت بالازهر فى أوائل الأربعينات رأيت أفريقيا فى طلابها الذين كانوا يقيمون فى أروقة الأزهر المختلفة . فى رواق الحبشة وفى رواق سنار ودارفور ، وفى رواق الدكارنه ، وفى رواق المغاربة .

وقد كان أول برامجى الاذاعية .. فى البرامج الموجهة إلى أفريقيا .

وعندما سافرت إلى بريطانيا للدراسة كان تفكيرى متجها إلى "بحث الجذور التاريخية لأسباب العداوة الكامنة فى قلوب الأوربيين تجاه الاسلام والمسلمين فى هذه الدنيا وفى كل مرة يستقر فيها الرأى على بحث معين . أعود لأغير هذا البحث إلى موضوع آخر ..ثم أعود فأغيره إلى بحث يختلف عما سبقه من بحوث أخرى ..

وفجأة رأيت عنوانا لفيلم عن حياة "(ونستون تشرشل)" كان أسم هذا الفيلم "تشرشل الصغير"، كانت أحداث الفيلم تدور حول نشأة تشرشل وحياته قبل أن يصبح وزيرا أو رئيس وزراء مشهورا . وكان من أهم وقائع هذا الفيلم "معركة الدراويش" التى كانت بين القائد البريطانى "كتشنر" وبين الزعيم السودانى "عبد الله التعايشى" الذى حكم السودان بعد وفاة الزعيم المجاهد السودانى الكبير "محمد أحمد المهدى" فانفعلت بأحداث هذا الفيلم . وأنجذبت روحى إلى أبطال هذه المعركة من السودانيين الذين مرغوا سمعه الامبراطورية البريطانية فى الوحل .. !

وفى يوم تال . وكان يوم جمعة التقيت بأخ سودانى يحمل كتابا اسمه "(السيف والنار فى السودان)" وهو من تأليف قائد نمسوى تظاهر بالاسلام بعد أن أسره المهدى وسمى نفسه " (سلاتين باشا) " ...

وفى أسبوع لاحق رأيت كتابا وبعبارة أدق مخطوطة فى المتحف البريطانى اسمها. نصيحة العوام. لشيخ أزهرى اسمه الشيخ أحمد العوام كان من أبطال الثورة العرابية الذين نفوا إلى السودان بعد فشل هذه الثورة . فلما قام محمد أحمد المهدى بثورته أنضم إليه الشيخ أحمد . وقد قام الشيخ أحمد هذا بعملية فدائية لتفجير مخازن ذخيرة القوات البريطانية فقبض عليه القائد الانجليزى "جوردون" ثم أمر باعدامه .

لقد أصبحت أفريقيا كلها فى دمى وقلبى . ولا تزال أفريقيا حتى هذا اليوم شعورا يؤرقنى - بسبب ما تعانيه هذه القارة من مشكلات ومؤمرات تستهدف دينى وأخوتى ..

* * *

وإذا كان عدد الدول الافريقية الآن قد بلغ خمسين دولة مستقلة فإن الحقائق لا يمكن طمسها مهما حاول المغرضون أو المتعصبون إخفاء هذه الحقائق وطمسها لأغراض هى أبعد ما تكون عن الأمانة والواقع .

هذه الكلمة لمستشرق إنجليزى معروف هو السير توماس أرنولد مؤلف كتاب الدعوة إلى الإسلام .

وهو كتاب يدل عنوانه على حقيقة خافية عن معظم شعوب العالم وبخاصة فى آسيا وأفريقيا .

هاتان القارتان اللتان تعرضتا لابتزاز دموى رهيب على أيدى قراصنة الحضارة الأوربية .. هذه الحضارة التى حاولت على مدى قرنيين من الزمان تشويه تاريخ شعوب آسيا وأفريقيا، وكانت حربا ووبالا على عقائدهما، وثقافتهما وبخاصة عقيدة الاسلام وثقافته وحضارته ومثله العليا .

لقد كان الاسلام .. باعتراف المثقفين من مثقفى الغرب .. انقاذا وخلاصا وحرية وتمدنا، وكانت دعوته سلاما واخاء وحبا، وكما يقول "(جون جنتر)" فى كتابه "فى داخل أفريقيا" : إن اتصال شعوب هذه القارة بالاسلام رفع من قيمتها وإنسانيتها ، ولم تهدر هذه الإنسانية وهذه القيمة إلا على أيدى المستعمرين من البرتغال وبريطانيا ومن بلجيكا وفرنسا . !

* * *

إن مصر هى بوابة أفريقيا . وكما يقول ابن خلدون أم الدنيا !

وهناك قصة طريفة ذكرها ابن عبد الحكيم عن عمرو بن العاص الذى كان مولعا بحب مصر، والتى زارها فى فترة سابقة على دخول الاسلام إلى أرض مصر ..

لقد زار عمرو بن العاص مصر فى عهد الجاهلية بدعوة من أحد رجال

الدين المسيحيين الذى التقى به أى بعمرو بن العاص فى مدينة القدس وتعرف عليه بعد خدمات جليلة قدمها عمرو إلى هذا الرجل فأخذه الرجل معه إلى مصر ، ثم سافر به إلى الاسكندرية، وشهد فيها عمرو عيدا عظيما من أعيادها يجتمع فيه ملوكهم وكبراؤهم، ولهم " كرة " من ذهب يترامون بها ، ويتلقونها بأكمامهم، وكان فى اعتقادهم أن من وقعت الكرة فى كمه لم يمت حتى يملكهم، فلما جلس عمرو بن العاص مع الناس فى هذا المجلس أقبلت الكرة تهوى حتى وقعت فى كم عمرو .. !

* * *

أن أفريقيا هى ثانية قارات العالم من حيث المساحة، إذ تبلغ مساحتها حوالى ٣٠ مليون كيلو مترا مربعا وهى تشكل خمس مساحة اليابسة فى العالم أما عدد سكانها فهو نحو ٦٤٠ مليونا (ثمن سكان العالم) . أطلق الرومان أسم أفريقيا على الجزء الذى سماه الاغريق ليبيا والذى كان يشمل المناطق المعروفة للقدماء آنذاك مع استثناء مصر والحبشة وقد استمد الرومان هذا الاسم من الاسم الذى أطلقه سكان تلك المناطق على أنفسهم وقد استخدم هذا الاسم الشاعر الرومانى "أنيوس" الذى كتب اشعاره أثناء الحروب القرطاجية التى نشبت بين الرومان والفينيقيين . ويقال أيضا أن أفريكا أسم سام بمعنى "منفصل" أى أنها مناطق فينيقية منفصلة عن فينيقيا الآسيوية، كما تفسر بأنها مستمدة من كلمة " فريقى " أو فاريقيا ، ومعناها الفواكه . ويعزو المؤرخ الفرنسى (تشارل تيسو) الاسم إلى قبائل البربر الكبرى "أروكا" والتى يمكن نطقها "افروقا" . وأقدم الحضارات الافريقية اقامها قدماء المصريين فى مصر منذ نحو ٣٤٠٠ ق.م ومنذ القرن السابع طغت على كل هذه المناطق الحضارة العربية الاسلامية وعم الاسلام مناطق ما بعد الصحراء الكبرى .

ويشير د.عبد الفتاح الغنيمى فى كتابه "دور مصر الحضارى فى القارة الافريقية " إلى أحد الدلائل الحية الباقية إلى اليوم والمتمثلة فى نهاية طريق مصر إلى غرب القارة الممتد من "غات" على ساحل المحيط الأطلنطى إلى

بولاق الدكرور (التكرور) بجوار سفح أهرامات مصر..وهى المعالم التى تبين الصلات القوية التى ربطت مصر بغرب أفريقيا ، وكيف أن بولاق الدكرور محرفة عن التكرور حيث ينسب ذلك الحى إلى أحد رجال الدين العلماء من غرب أفريقيا الذين دفنوا فى ذلك المكان، ولا يزال مقامه موجودا فيه وهو الشيخ الصالح أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى (نسبة إلى تكرور بغرب أفريقيا) ، والذى تولى مناصب فى العصر الفاطمى، وهو بالمناسبة ليس الشخصية الافريقية المهمة الوحيدة التى دفن رفاتها فى أرض مصر .

وتظهر أهمية موقع مصر .. الذى أعطاها كل هذا الثقل .. فى أنها كانت محطة رئيسية، ولا غنى عنها لمسلمى وسط وغرب أفريقيا لأداء فريضة الحج .. فكانت قوافل الحجيج تمر بمصر ذهابا وايابا .. وتستقر لفترات طويلة للدرس والتعلم والاستمتاع وإقامة الصلات السياسية . أى أن المرور بمصر لم يكن على سبيل " الترانزيت " .. بل لادراك الافارقة لفوائد الاستفادة من مظاهر الحضارة المصرية .

وكان مرور سلاطين بلاد وسط وغرب القارة بمصر فرصة لتطوير العلاقات الثنائية مع مصر .. وذلك فى مختلف العهود .. وعندما كان الخليفة العباسى مقيما بالقاهرة كان السلاطين الافارقة يسعون للحصول على الاعتراف الرسمى بهم كحكام لبلادهم .. وما يتطلبه ذلك من الحصول على تفويض شرعى من الخليفة ..

وكان سلاطين وسط وغرب أفريقيا يستقرون بالقاهرة فترة طويلة وهم فى طريقهم إلى الأراضى الحجازية .. حتى يتجمع ركب الحجيج ويخرج المحمل والكسوة التى كانت ترسلها مصر سنويا للكعبة المشرفة .. وكانوا خلال هذه الفترة يختلطون بحكام مصر وعلمائها وقضاتها ويحضرون دروس العلم والفقة والشريعة واللغة العربية بالجامع الأزهر ، كما كان أهم ما يحملونه معهم من القاهرة الكتب الدينية .. وكانوا يقتبسون الكثير من أنظمة الحكم والإدارة والطرق التى يسير عليها دولاب الحكم فى مصر

ويقتبسون أيضاً من الأمور الفقهية والقضائية على المذهب المالكى السائد فى بلادهم .

ومن أشهر القصص التى تناقلتها كتب التاريخ زيارة السلطان موسى سلطان مالى .. الذى زار مصر فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وبحشد كبير بلغ ١٢ ألف شخص ، حيث تقدم للخزانة المصرية بحوالى ٥٠ ألف دينار ذهبا .. كما أغدق على كثير من المصريين الذهب حتى أن أسعار الذهب انخفضت بالقاهرة بسبب هذا " الاغراق " الذهبى !! ورد عليه سلطان مصر باغداقات مقابلة لدى عودته إلى بلاده " مالى .

ومن الأمثلة الأخرى رحلة الاسكيا محمد بن أبى بكر التورى سلطان سنغاى ، حيث تم تقليده نائبا للخليفة العباسى " المتوكل " فى حكم بلاد غرب أفريقيا .

وتحولت القاهرة فى عهد المماليك إلى مركز لشبكة واسعة فى العلاقات الخارجية حتى أصبح ديوان الانشاء المصرى (وزارة الخارجية) أضخم وزارة خارجية فى العالم أجمع فى ذلك الوقت .. !

* * *

قبل سبعة وثلاثين عاما قمت بأول رحلة إلى أفريقيا ... إلى السودان وكينيا وأوغندا . وزنجبار وتنجانيقا [1]

لم أنسى حتى هذا اليوم صورة الامير بدر كالنجولا " ابن الكاباكا " ملك " أوغندا " ومن العجيب أيضا .. أننى التقيت بابنه الأمير حسن قبل عامين فى جزيرة مالطا ..

إن أوغندا كانت تسمى " جوهرة أفريقيا وكان للمسلمين فيها الكلمة العليا . !

* * *

فى هذه الرحلة أى رحلتى إلى أفريقيا كانت أول محطة لنا فى "نيروبى" عاصمة كينيا ..

(١) المعروفة حاليا برسم تنزانيا بعد اتحادها مع زنجبار

لقد فوجئت بجمال الطقس .. كما فوجئت بنظافة مطارها الذى لم أر مثله من قبل ..!

ولكن الشيء الذى أثار الدهشة . وجعلنى استرجع تاريخنا القديم فى شرق أفريقيا أن الجنود الكينيين كانوا يضعون على رؤسهم طربوشا غير أن الطربوش الكينى كان أخضر اللون ولم يكن أحمر، كما أن " زره " كان يتدلى فوق الجبهة من الامام لا من الخلف . !

جنود طوال القامة ، ووجوه حالكه السواد والسمرة ولا تكاد تحدد معالم وجه الواحد منهم إلا إذا صوب إليك نظره ! أو مد إليك يده !

إنهم من قبائل الماساى .. أو الماو . الماو الذين حاربوا بريطانيا تحت قيادة " جومو كنياتا " أو الرمح المشتعل كما كان يطلق عليه هذا الاسم هنا فى مصر .. وفى عموم أفريقيا ..

* * *

لقد أكتشفت فى هذه الزيارة مدى تغلغل الاسلام فى هذه المنطقة وكيف أن الاسلام وصل إليها فى مرحلة من التاريخ مبكرة .

وقد لعبت جزيرة " زنجبار " الدور الرئيسى الأكبر فى انتشار الاسلام فى شرق أفريقيا وإلى حوض الكونغو من جهة الغرب وحتى موزنبيق وجزيرة الكاب من جهة الجنوب .

كما لعبت هذه الجزيرة "جزيرة زنجبار" دوراً بارزاً فى انتشار الاسلام فى جزر المحيط " أى المحيط الهندى " جزيرة " مدغشقر " أو " ملجاش "، و" جزر القمر" ، و " موريشيوس " ، و " كلوا " ، و " مالينديى " ..

وبتأثير زنجبار أصبحت اللغة السواحيلية لغة شعبية فى تنجانيقا[1] وكينيا ، وأوغندا ، وحوض نهر الكونغو وفى جزر القمر وبوراندى وملجاش .

(١) تنجانيقا . هى ما يعرف الآن باسم " (تنزانيا) " بعد اتحادها مع زنجبار ...

وحينما انتشرت هذه اللغة..انتشر معها الاسلام ، ومهدت الطريق أمام الدعاة والعلماء لينقلوا الاسلام داخل هذه القارة ، وفى غاباتها وأحراشها .

إن عاصمة تنزانيا أو تنجانيقا هى "(دار السلام)" وهو أسم إسلامى قرآنى كما تعرف .. فالجنة هى (دار السلام)- "(لهم دار السلام عند ربهم)"..

وقد استبدل المسلمون بهذا الأسم .. الاسم القديم للعاصمة القديمة وكان أسمها "(بجامورى)" .

ومن الغريب أننا دعينا لزيارة مدينة صغيرة قريبة من "(دار السلام) " أسمها "(إلاَ لَهْ)" ، لقد اكتشفنا أن حقيقة هذا الاسم هو "(إلِى اللّه) " !

ولكنه حرف إلى " (الا له) " .

كما كان أسم عاصمة " الفلبين " القديم هو " (أمان الله) " وقد حرف اليوم باسم " (مانيلا) " ..

لقد قمنا برحلة من " دار السلام " العاصمة الواقعة على المحيط الهندى إلى " (تبورا) " القريبة من حدود الكونغو ...

قضينا أربعا وعشرين ساعة فى القطار البلجيكى الذى يقطع أفريقيا من الشرق على المحيط الهندى إلى الغرب على المحيط الأطلسى .

كان تحركنا فى الساعة الثالثة ظهرا بتوقيت دار السلام وكان معروفا أننا سنصل إلىَ " (تبورا) " فى اليوم الثانى فى الميعاد نفسه .

وكانت المفاجأة عندما وصل القطار إلى مدينة أسمها " موروجورو " فى الساعة الواحدة صباحا أى بعد منتصف الليل .

لقد فوجئنا بالألوف تهتف .. الله أكبر .. ! كيف حدث هذا ؟

وكيف وصل الاسلام إلى هذه الغابات منذ ثلاثة عشر قرنا ؟

* * *

لقد عرفت هذه المنطقة منطقة شرق أفريقيا الاسلام فى مرحلة مبكرة فقد تم الاتصال بهذه المنطقة منذ هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة أو أثيوبيا . فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

كما عثر على قبر فى " زامبيا " يرجع تاريخ موت صاحبه إلى السنة الثانية والثلاثين من الهجرة .. ومعنى هذا أن الدعاة المسلمين وصلوا إلى هذه المنطقة منذ حوالى أربعة عشر قرنا .

فى مدينة "(تابورا)" التقينا بالسلطان عبد الله فندكيرا لقد حدثنا هذا الرجل عن والده الذى قطع ألف ميل مشيا على قدميه فى الغابات ليتعلم القرآن عند أحد الفقهاء المقيمين فى إحدى القرى النائية جنوب بحيرة فكتوريا إحدى المنابع الرئيسية للنيل الأعظم .

وفى هذه الزيارة إلى مدينة "تابورا" سمعنا ولأول مرة عن البطل الاسلامى "(تيبوثيب)" أو"(حميد المرجبى)" الذى أقام دولة إسلامية امتدت إلى حوض نهر الكونغو .

ومن العجيب أن نسمع أن أقليم "(كاتانجا)" الذى انفصل به "(تشومبى)" عن الوطن الأم "(الكونغو)" هذا الاقليم كان ولاية اسلامية، كما كان اقليم "(كاساى)" أيضا من ممتلكات هذه الدولة الاسلامية التى أقامها "(تببوتيب)" أو "(حميد المرجبى)" ...

إن قصة هذا البطل المسلم قصة فى غاية الغرابة . فقد خرج من جزيرة "زنجبار" ليبحث عن أبيه الذى كان قد ترك الجزيرة بحثا عن لقمة العيش، وهناك فى " تابوره" يلتقى مع أبيه ثم يسيران معا فى طريق الجهاد والدعوة لنشر الاسلام ليقيما دولة إسلامية تمتد من الساحل الشرقى لأفريقيا إلى حوض نهر الكونغو ...

ويعلل الدارسون لحركة الإسلام فى أفريقيا وانتشاره بهذه السهولة والسرعة إلى بساطة العقيدة ، وإلى مبدأ المساواة والأخوة الذى يجعل من البشر أسرة واحدة .

يقول المسيو "جرانقيل" وزير خارجية الكونغو فى عهد" باتريس لومومبا " :

لقد زور البلجيكيون كل شيء فى الكونغو ..

فليست مدينة "(ستانلى فيل)" سوى مدينة القائد المسلم "(تيبوتيب)" التى أقامها قبل قدوم الرحالة ستانلى ..

وليس المسلمون كما قالوا لنا تجار رقيق، وإنما هم تلك الموجة الإنسانية التى اختلطت بنا ، وصاهرتنا ، وتركوا لنا لغة مشتقة من لغتهم .

ودينا وحضارة تسوى بين البشر وبين كل الناس . وأنه لعزيز علينا ، ومأساة كبرى أن تسيل دماؤنا ودماء المسلمين على أيدى نفس أعداء الأمس .. !

* * *

فى مدينة " سنيانجا " القريبة من مدينة " تابورا " .

قال ابن أحد القساوسة لابيه :

أريد أن أعرف :

هل هناك مسيح أبيض ومسيح أسود ؟

وحين سأله والده عن سبب سؤاله ..

أجاب الابن :

ألاحظ خروج البيض من الكنيسة عندما ندخل، ودخولهم عندما نخرج. ثم جذب يد أبيه إلى مسجد قريب حيث وقف الجميع صفوفا متراصة لا فرق بينهم بين أسود وأبيض ، أو فقير وغنى .

حينئذ قال الابن لوالده القس :

إن هذا هو الدين الحق .. ثم انفلت من أبيه ليدخل المسجد ، ولم يرجع إلى أبيه إلا وهو مسلم . !

* * *

فى لندن .. التقيت بالكاتب الاميركى الزنجى الأصل " اليكس هيلى " مؤلف كتاب " الجذو ر" " THE ROOTS " تحدثنا طويلا عن المسلمين الزنوج فى أميركا وعن الحركة الاصلاحية الكبرى التى قام بها الشهيد "مالكولم اكس" [1] وعن السبب الذى دفعه للتنقيب والبحث عن أصول أجداده المسلمين فى أفريقيا قبل أن يخطفهم الاسبان والبرتغال والانجليز إلى الرق ..

قال لى أليكس ALEX

لقد أردت أن أعرف ما فعله الغرب بأبائى وأجدادى .!

إن جريمة الغرب ضد هؤاء الآباء والاجداد لن تسقط بالتقادم .. !

وسنظل نعمل ونحاول حتى يعترف الغرب بهذه الجريمة . ويدفع ثمنها مضاعفا إلى كل هؤلاء الضحايا .

إنك لا تتصور ما كان يعمله هؤلاء اللصوص والقراصنة وكيف كان يتم خطفهم من الغابة أو القرية إلى السفينة .

إن اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالادغال كان يتم بايقاد النار فى الهشيم الذى صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرى حتى إذا نفر أهالى القرية إلى الخلاء تصيدهم الانجليز بما أعدوا لهم من وسائل وشراك .. !

وعدا من كانوا يموتون من هذا القنص الآدمى فى الرحلة إلى الشاطىء الذى ترسو عليه مراكب الشركة الانجليزية وغيرها كان ثلث الباقين يموتون بسبب تغير الطقس ويموت فى أثناء الشحن حوالى ٤,٥٪ منهم و ١٢٪ فى أثناء الرحلة . أما من كانوا يموتون فى المستعمرات فلا حصر لهم فإن مستعمرة جمايكا البريطانية وحدها قد دخلها سنة ١٨٢٠م ما لا يقل عن ثمانمائة ألف رقيق، ولم يبق فى تلك السنة منهم سوى ثلاثمائة وأربعين ألفا.!

(١) ستأتى قصته فيما بعد عند الكلام عن الاسلام والمسلمين فى أميركا .

وكثر عدد الزنوج فى أمريكا حتى بلغ حوالى عشرين مليونا هاجر أكثرهم منذ أعلن تحريرهم وأسسوا لهم دولة فى أفريقيا تعرف باسم"ليبريا".

وكان احتكار تجارة الرقيق على سواحل افريقيا مقصورا على الاسبانيين ثم انتقل إلى البرتغاليين من عام ١٥٨٠ إلى ١٦٤٠م ثم تسابقت الدول الاوربية إلى هذه التجارة بعد ذلك ..

وكان التجار البريطانيون يوردون الرقيق إلى المستعمرات الاسبانية ومكثت هذه التجارة مدة طويلة فى أيدى شركات بريطانية بناء على تأييد حكومة بريطانيا لها ، ويقدر " برايان أوارد " مجموع ما استولى عليه البريطانيون من الرقيق بحوالى ٢١٣٠٠٠٠ مليونان ومائة وثلاثين ألف شخص .

لقد بلغت تجارة الرقيق أوجها قبل حرب الاستقلال الامريكية وكانت قواعدها فى ليفربول ولندن وبريستول ولانكشاير ..

وكانت الملكة اليزابيث الأولى تشارك فيها وأعارت التجار بعض أساطيلها وكات شريكة " لجون هوكنز " أكبر تاجر رقيق فى تاريخ العالم ، وقد رفعته الملكة إلى مرتبة النبلاء وجعلت شعاره رقيقا يرفل فى السلاسل والقيود .!

ومن المفارقات الطريفة أن السفينة التى أعارتها -الملكة- لجون هوكنز كانت تسمى " يسوع " وكان مخصصا للإبحار بالرقيق من الموانىء المذكورة إلى مواطن الاستعباد ١٩٢ سفينة تتسع حمولتها فى الرحلة الواحدة لحوالى ٤٧١٤ رقيقا .

وقد طلبت انجلترا من رجال الدين المسيحى مبررا لهذه التجارة فأسعفوها بنصوص التوراة التى تبيح الرق عند اليهود ، وبمقتضى هذه الفتوى كان استعباد الزنوج واجبا عند الأوربيين لأنهم من سلالة يافث بن نوح الذى كتب على ذريته الاسترقاق كما تزعم ذلك أسفار العهد القديم ... !!!

إن الاسلام هو دين الغالبية العظمى فى أفريقيا -حتى الآن- وتنخفض نسبة هذه الاغلبية فى أفريقيا بنسب متفاوته فى كل من انجولا . زائير . رواندا . بورندى . زمبابوى . ملاوى . زامبيا . واتحاد جنوب أفريقيا .

كانت الحبشة أو ما يعرف الآن باسم أثيوبيا أول دولة أفريقية عرفها الاسلام . وذلك حين هاجر المسلمون إلى الحبشة أيام النبى صلى الله عليه وسلم ولجأوا إليها فرارا من اضطهاد قريش .

وقد لعبت الطرق الصوفية - التجانية والقادرية دورا بارزا فى نشر الاسلام فى هذه القارة وبخاصة فى البلاد الواقعة على الشاطىء الشرقى للمحيط الاطلسى ... أى فى غرب أفريقيا .

غير أن أهم هذه الطرق - على الاطلاق - كانت الطريقة السنوسية التى أسسها الامام محمد بن على السنوسى فى ليبيا ولم يمت السنوسى حتى كان قد نجح فى تأسيس دولة دينية ، وذلك بقوة عبقريتة الصافية واستخدام كل وسائل الترغيب فى نشر دعوته . ويدين أتباعه بالطاعة والولاء لهذه الدولة . ويلزم أفراد هذه الجماعة القيام بأوامر القرآن فى دقة بما يتفق وأكثر مبادىء التوحيد المطلق ، تلك المبادىء التى تجعل التعبد لله وحده وتحرم التضرع للأولياء وزيارة قبورهم تحريما تاما . وقد أوجبوا على أنفسهم أن يمتنعوا عن شرب القهوة والتدخين ، وأن يسهموا بنصيب معين من دخلهم يضاف إلى أموال الجماعة إذا لم يستطيعوا أن يكرسوا أنفسهم لخدمتها .

وتنتشر طائفة السنوسية فى أفريقيا الشمالية كلها ، وتنتشر زواياها من مصر إلى مراكش ، كما تمتد إلى الداخل فى واحات الصحراء وفى السودان . وكان مركز السنوسية واحة جغبوب فى الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس وفى هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة ، ثم يرسلون إلى كافة أجزاء أفريقية الشمالية دعاة للاسلام . وكانت زواياهم

الفرعية ، التى قيل إنها بلغت ١٢١ زاوية ، تتلقى من زاويتهم الرئيسة فى جغبوب التعليمات والأوامر فى كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع هذه الدولة الدينية الكبرى ، التى كانت تضم فى نظام رائع آلافا من أشخاص ذوى جنسيات وقوميات متباينة ، ولم يقتصر وجود أتباعهم على أفريقية الشمالية من مصر إلى مراكش وفى أرجاء السودان وسنغامبيا وبلاد الصومال كافة ، بل تجدهم كذلك فى بلاد العرب والعراق وجزائر أرخبيل الملايو .!

يقول منتسكيو :

" إن المرء لأشد ارتباطا بالدين الحافل بكثير من الشعائر ، منه بأى دين آخر أقل منه أحتفالا بالشعائر ، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التى تسيطر دائماً على تفكيره " .

إن دين المسلم يتمثل دائما فى مخيلته ، وفى الصلوات اليومية .

يتجلى هذا الدين فى طريقة خاشعة مؤثرة ، لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين .

يتحدث سعيد بن الحسن، أحد يهود الاسكندرية ، الذى اعتنق الاسلام عن مشهد صلاة الجمعة فى مسجد باعتباره عاملا حاسما فى تحوله إلى الاسلام.

فى خلال مرض شديد كان قد انتابه ، رأى فى المنام أن صوتا يأمره بأن يجهر بالاسلام . " (وعندما دخلت المسجد)" .

ويستمر فى حديثه إلى أن يقول : " (ورأيت المسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة .. !

سمعت هاتفا يقول : هذه هى الجماعة التى أخبر الأنبياء (صلوات الله عليهم !) بقدومها .!

ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء ، استولى على شعور عميق من الرهبة ... ولما ختم خطبته بالكلمات ، " إن الله يأمر بالعدل والاحسان

وايتـاء ذى القـربى وينهى عن الفـحـشـاء والمنكر والبـغى، يعظكم لعلكم تتذكرون " [1] ولما بدأت الصلاة ، أحسست بقوة تدفعنى إلى النهوض ، لأن صفوف المسلمين بدت أمامى كأنها صفوف الملائكة ، الذين يتجلى الله القدير فى سجداتهم .!

ثم سمعت هاتفا يهتف بى :

إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى بنى إسرائيل فى كل العصور فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات الصلاة ، وأيقنت فى نفسى أنى خلقت لأكون مسلما .. !

فإذا استطاع " رينان " أن يقول :

"(مادخلت مسجدا قط، دون أن تهزنى عاطفة حادة ، أو بعبارة أخرى، دون أن يصيبنى أسف محقق على أننى لم أكن مسلما "،كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم فى صلاته، وسجداته الكثيرة، وعبادته للاله الذى لايراه، فى سكينة واستغراق، قد يؤثر فى الافريقى الوثنى .

وقد أكد ذلك كثير من الباحثين [2] ، ولكن حسبنا فى هذا المقام أن ننقل كلمات أسقف مسيحى مشهور .

حيث يقول :

ما من فرد يتصل بالمسلمين لأول مرة إلا أخذ بمظهر دينهم هذا ... وحيثما يمكن أن يوجد، فى الطريق العامة،أو فى محطة السكة الحديدية ، أو فى الحقل ، فإن من أكثر الاشياء شيوعا أن ترى الرجل منهم ، يترك عمله فى اللحظة التى يقوم فيها بأداء أعماله أيا كانت، بدون تأثر بالرياء أو الظهور ، وفى سكينة وتواضع ، لكى يؤدى صلواته فى أوقاتها المحددة .

وأكثر من ذلك أنه ما من فرد رأى يوما ساحة الجامع [3] الكبير يوم

(١) سورة النحل الآية رقم ٩ .
(٢) نقلا عن كتاب " الدعوة إلى الاسلام " تأليف توماس ارنولد .
(٣) مسجد عمرو بن العاص .

الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ، وهى غاصة بما قد يربو على ١٥٠٠٠ خمسة عشرة ألف مصل ، وكلهم جميعا منهمكون فى صلاتهم ، مظهرون أعمق آيات الاجلال والخشوع فى كل اشارة يبدونها ، إلا تأثراً عميقا بهذا المشهد، أو أخذ فكرة عابرة عن تلك القوة التى ينضوى مثل هذا النظام تحت لوائها ، على حين نجد النظام الدقيق الذى يتجلى فى دعوة الناس اليومية إلى الصلاة ، عندما يؤذن الداعى فى وقت السحر، قبل أن يتنفس الصبح ، أو بين ضوضاء ساعات العمل وضجيجها ، أو عندما يرخى الليل سدوله ، وتبدأ ساعات الاسترخاء والنوم .!

* * *

وقد لعبت "(الأروقة)" التى ألحقت بالأزهر، والتى تشبه فى يومنا هذا "(المدن الجامعية)" التى يسكنها الطلبة المغتربون لعبت دورا كبيرا فى تعميق معانى الاخوة بين أبناء العالم الاسلامى فى كل دولة ، كما كانت الحياة فى هذه الأروقة أشبه بحلقات العلم التى يناقش فيها الدارسون مختلف القضايا والشئون العامة والخاصة ، كما كانت فرصة لتبادل الآراء حول أهم هذه القضايا والوسائل التى تساعد على نشر الاسلام والنهوض بالدعوة ..

إن كلمة "مجاور" .. و . "مجاورين" التى كانت تطلق فيما مضى على طلبة الأزهر تعنى هؤلاء الطلاب الوافدين من أقطار آسيا وأفريقيا .

كثير منهم رفضوا العودة إلى بلادهم بعد التخرج.عاشوا وماتوا ودفنوا فى مقبرة خاصة بهم تعرف بقرافة "المجاورين" فى سفح جبل المقطم . !!!

إن قصة الشيخ " موسى أبو بكر " التكرورى المجاور القديم فى " رواق التكارنة " تعتبر نموذجا من نماذج هؤلاء " المجاورين " الذين قضوا زمنا طويلا فى سبيل الحصول على " عالمية الاغراب " التى كانت تمنح إلى

الطلاب الوافدين من أقطار آسيا وأفريقيا .

الشيخ موسى هذا قضى أكثر من ثلاثين عاما . فى سبيل الحصول على الشهادة . وتقدم للامتحان أكثر مرة .. غير أن الحظ لم يحالفه طوال هذه السنوات كلها فقرر العودة إلى " تمبكتو " لاستئناف المحاولة هناك مرة أخرى .

وفى حالة من اليأس .. صلى الشيخ " موسى أبو بكر " صلاة العصر فى الجامع الأزهر .. ثم ركن بجسده إلى عمود من أعمدة الأزهر فشاهد " نملة " تحمل بقية من فتات الخبز وتصعد بها إلى أعلى العمود . حتى إذا اقتربت من السقف ، وكادت تصل إلى الهدف سقطت النملة وسقط معها حملها من فتات الخبز .. !

فبدأت النملة محاولتها من جديد .. تلتقط الفتات ثم تصعد ثانية على العمود .وما تكاد تصل إلى السقف حتى تسقط ثانية على الأرض .!

إن " النملة " لم تيأس .. ! وكررت المحاولة بعد ذلك مرتين وثلاث .. وفى النهاية وصلت إلى الهدف ، واستراحت بعد العناء واليأس . !!!

الشيخ "موسى أبو بكر" تابع هذا كله . ورآه وشاهده .. فإذا به ينهض واقفا .. ويمضى إلى الرواق مسرعا ..

لقد فوجىء أخوانه بهذه الحيوية التى حلت عليه فجأة ، وجعلت منه إنسانا مختلفا عما كان عليه قبل ساعة .

وهنا قص عليهم الشيخ موسى قصة " النملة " ! ثم قال فى طمأنينة وثقة ! .

إن هذه النملة علمتنى ما لم أكن أعلم . إن يد الله الحانية الرحيمة تجسدت فى قصة هذه النملة ! أفأكون أنا الانسان العاقل أقل أملا واصرارا من هذه النملة .. ؟!

لقد خلق الشيخ موسى من جديد .. فتقدم للامتحان للمرة الأخيرة وفاز فيه بعد يأس أكيد . !

* * *

نحن الآن نستعد للسفر إلى ممباسا [1] ... فقد حجزوا لنا على متن طائرة صغيرة اسمها " داكوتا " لا تتسع لأكثر من خمسة عشر مسافرا ..

إن المسلمين فى ميناء "ممباسا" اتصلوا بالسلطان "فندكيرا " يسألون عن موعد قيام الرحلة ووصولها إلى الميناء العربى القديم على شاطىء المحيط الهندى ..

فجأة دخل علينا الشيخ " عبيد بن موند " يستأذننا فى السماح لاسرة هندية بالمقابلة للاهمية .

ترى ماذا يكون هذا الأمر ؟ وفجأة دخل شاب هندى فى رفقة والده ووالدته..

ما الحكاية ؟

وهنا قال الاب نيابة عن ولده الذى كانت تبدو عليه أمارات الحزن والبؤس .

قال : إن " حبيبة " إبنى هجرته إلى هندى آخر بعد سنوات طويلة من الهيام والحب ..! وقد لجأنا إلى آلهتنا جميعا لتعيد هذه الحبيبة إلى الابن غير أن هذه الالهة لم تستجب لمطلبنا حتى هذا الوقت . !

وكما ترى فإن ابنى أوشك على الموت . فجئنا إليك لنطلب تدخل " إله المسلمين " ليعيد الحبيبة القاسية إلى الابن ؟!!

ونعاهدك .. أننا سوف نعبد الهكم إذا انقذ ابنى من الموت . ! وأعاد إليه حبيبة القلب .. !!!

(١) ممباسا الميناء الرئيسى لدولة كينيا ويقع على شاطىء المحيط الهندى . وكانت هذه المنطقة خاضعة لحكم المسلمين قبل هجوم الاستعمار الغربى .

قلت للأب :

إن اله المسلمين ليس " قاضى غرام " يفصل بين المحبين فى قضايا العشق ! إنه أجل وأعظم من هذه الخرافات التى تؤمنون بها فى الهند .

غير أنى سأدعو الله لابنك . ولا أحد يدرى ماذا يخبىء القدر فى الغد ؛ فرحمة الله تتسع لجميع البشر . المسلم منهم والكافر .وأبواب السماء لا تغلق فى وجه أحد. والرحيم الرحمن لا يتوقف عطاؤه إلى الابد !

العجيب أن الفتاة عادت . عادت بعد أن اكتشفت فى " حبيبها " الجديد التحايل والنصب .

لقد أصابت الشاب الهندى " لال " نوبة من الهستريا فمشى فى الشارع هتف بأعلى صوته ويقول أن " إله المسلمين هو أحسن " اله فى هذه الدنيا .. !!!

* * *

فـــى الهنــد

أو

بــلاد العجــائب . . !

في الهند أو بلاد العجايب !

***　***　***

والآن .. تعالوا معى إلى قصة "غرام" أخرى .. بطلاها أيضاً هنديان.. غير أنهما هذه المرة من " (الثعابين) " لا من النساء والرجال .. !

كنت متجها من مدينة " مدراس " عاصمة أرض التاميل إلى مدينة " عمر أباد " لحضور الاحتفال بالعيد الذهبى لجامعة " دار السلام " ..

المسافة بين " مدراس " و " عمر أباد " تزيد عن مائة وسبعين كيلو مترا مربعا .. والطريق الذى نسير فيه يقع بين غابات وأشجار تسكنها بالطبع الوحوش والفيلة . فجأة توقفت السيارة ، كما توقفت كل السيارات فى الاتجاه الآخر من الطريق .

أما لماذا حدث هذا التوقف فلسبب غاية فى الطرافة . وغاية فى التعجب والدهشة .

فقد خرج من الاحراش الواقعة على جانبى الطريق ثعبانان من نوع " الكوبرا " يبلغ طول الواحد منهما خمسة أمتار . واشتبكا فى معركة تشيب لها الولدان . !

أما لماذا كانت هذه المعركة وهذا الاشتباك . فلأن . آحدهما اكتشف أن الثعبان الآخر خطف زوجته التى لاذت بالفرار ولم تعد إلى بيت الزوجية فى الغابة منذ أيام .. !

وعندما اكتشف الزوج هذه الخيانة قرر الدخول فى معركة فاصلة مع الثعبان " الخائن " .. كما قرر أن تكون هذه المعركة علنا على طريقة فرسان القرون الوسطى فى الزمن الغابر .. !

إن هذه الأسطورة .. أسطورة الخيانة الزوجية بين الثعابين سمعتها فى قريتى منذ زمن بعيد . ومن حكايات هذا الزمان أن " ثعبانا " تقيأ " السم "

فى زير ماء " بأحد البيوت..لأنه أى الثعبان - ظن بعد أن اختتفت زوجته الأفعى . أنها قتلت على أيدى أصحاب هذا البيت .

غير أن " الثعبان " عثر على زوجته فجأة مع صديق خائن .. !

فما كان منه إلا أن قتلها . ثم عاد إلى "زير الماء " ليلف جسده حوله ثم يكسره حتى لا يموت الناس بعد أن ظهرت براءتهم من قتل هذه الزوجة الخائنة . أن قصة الصراع والاشتباك بين الثعبانين قصة حقيقية رأيتها بنفسى أما عن السبب الذى سمعته من الناس فى الهند أو فى مصر فأترك تفسيره لعلماء " الانثروبولچيا [1] فربما يعثرون على سبب يقرب المسافة والغرابة . بين الانسان والثعابين فى هذه الدنيا !!!

لقد زرت الهند أكثر من خمس مرات ..قطعها شرقا وغربا من "بومباى" على شاطىء بحر العرب . إلى مدراس، على خليج البنغال .. ومن "دلهى " إلى " كيرالا " و " مليبار " .

عالم عجيب من الشجن والحزن، وعالم عجيب من الجمال والسحر وعالم عجيب من الغنى أو الفقر !

كانت الأساطير والحكايات تروى عن هذه البلاد فى ليالى السمر ومن خلال تلك القصص التى يرددها العجائز على المصاطب .

ماذا كنت أتصور عن هذه البلاد البعيدة ؟ .. أننى لا أزال أذكر حكاية المركب المسافرة إلى " اسطمبول " وعلى ظهرها حبيب يغنى مع طيور البحر أغنية الوداع للأرض الحبيبة ..

" فاسطمبول" مدينة تربطنا بها أرقى المشاعر ثم هى قريبة منا قرب هذه العواطف التى تذكرنا بعهد السلاطين الغابر .. !!

أما الهند فماذا نعرف عنها ؟ كنت أسمع أنها بعيدة .. بعيدة .. وأن السفر إليها أشبه برحلة من الدنيا إلى الآخرة .. !

وتمر سنوات العمر فى طريقها مسرعة .. وتبدأ الحرب العالمية الثانية

(١) علم الاجناس .

وأسافر إلى القاهرة طالبا للعلم فى جامعة الأزهر العريقة ..

وفى الجامع العتيق تعودت الاستذكار فى الجامع بعد فترة الدراسة .. كانت الحياة فى الجامع الأزهر متعة .. ألوف من الطلاب يجتمعون فيه كل ليلة .. وفى "صحنه" الذى شهد الكثير من حركات الطلبة، ومن سهر العلماء على البحث والدراسة كنت أرى جنود الحلفاء من كل جنس ودولة يجيئون للزيارة .. هذا انجليزى . وذاك أمريكى وآخرون من مختلف شعوب آسيا وأفريقيا ..

وقد لفت نظرى من بين هؤلاء جنود يلبسون عمامة غريبة ، وإذا دخلوا المسجد دخلوه بوقار وخشية .. !

كان من طلاب الأزهر " الكبار " فى هذا الوقت رجل اسمه الشيخ اسماعيل لم أكن أعرف عنه شيئا أكثر من سكناه فى " التكية " وعرضه أعواد البخور للبيع على صغار الطلبة . وكان الشيخ متعودا الجلوس بجوار باب المئذنة الكبير على يمين الداخل إلى الساحة ..

الشيخ إسماعيل هذا كان يستقبل هؤلاء الجنود بحفاوة فائقة ، ويتكلم معهم بلغة غريبة .

ولأول مرة أسمع أن هؤلاء الجنود مسلمون وأنهم من الهند ، وكان ذلك قبل تقسيم شبه القارة إلى باكستان وهندستان .. وكنت أرى هؤلاء الجنود يخرجون من المسجد.. ثم يتجهون إلى حى "الباطنية" فإذا سألنا عن سر هذه الزيارة إلى هذه الأحياء القديمة قيل : إنهم ذاهبون لزيارة مسجد "بنيامين" شقيق سيدنا يوسف ..! بشارع "حيضان الموصلى"..وأعود لأتساءل هل هذا المسجد هو مسجد "بنيامين" حقا ؟ وهل المدفون فيه " بنيامين " شقيق سيدنا يوسف فعلا ؟

وفى شوارع القاهرة كان الناس يقابلون هؤلاء الجنود بسؤال لم يزل عالقا فى ذهنى حتى هذه اللحظة ... "مسلمان"؟ أى هل أنت مسلم ؟ .. فإذا كان مسلما قال : الحمد لله .. وإذا كان غير ذلك قال : " سك " ! أى أنه

من طائفة " السيخ " لا من طائفة المسلمين البررة !

وانتهت الحرب العالمية الثانية .. اختفى هؤلاء الجنود من الساحة .. غير أن الحديث عن "الهند" لم ينقطع لحظة واحدة .. كانت حركات الاستقلال فى العالم قد اشتد ساعدها فى مواجهة قوى البغى، وكان " غاندى " زعيم الهند يتردد اسمه على صفحات الجرائد ، وفى نشرات الأخبار ، وعلى ألسنة الساسة .. هنا فى مصر ..

لم تكن " باكستان " قد ظهرت أو عرفت .. حتى كان عام الاستقلال أو عام التقسيم وبدأت الصحف تكتب عن هذه القضية ومن وجهات نظر مختلفة فقد تحررت الهند . وتحقق حلم الشاعر الأعظم "محمد اقبال " بقيام دولة باكستان المسلمة .

* * *

إن تاريخ الهند عجيب .

من يصدق أن عدد الألهة فيها تجاوز الثلاثمائة مليون .! لقد رأيت بنفسى أعداداً هائلة من هذه الألهة فى رحلتى عن "مدراس" عاصمة أرض التاميل إلى مدينة "عمر اباد" الواقعة على بعد مائة ميل من خليج البنغال الذى تقع على ساحله مدينة مدراس .

أشكال من الألهة مثيرة للدهشة فقد أصبح كل شى رائع وكل شىء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلها يعبد . وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والالاهات الحصر، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله كما زعموا - فى عهود وحوادث معروفة .

ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها اله، ومنها نهر الكنج الذى خرج من رأس "مهاديو" الاله ، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة [1] .

(١) نقلا عن كتاب " المسلمون فى الهند " وماذا خسر العالم للعلامه أبو الحسن الهندوى ص ٦٩ وما بعدها .

أما نظام الطبقات فلم يعرف فى تاريخ أمة من الأمم نظام طبقى أشد قسوة وأشد استهانة بشرف الانسان من النظام الذى اعترفت به الهند دينيا ومدنيا ،هناك قاون اسمه قانون "منوشاستر" يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقات هى(١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين(٢) شترى رجال الحرب(٣) ويش رجال الزراعة والتجارة(٤) شودر رجال الخدمة. ويقول "منو" مؤلف هذا القانون :

"إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم "البراهمة" من فمه، "وشترى" من سواعده، "وويش" من أفخاذه، "والشودر" من أرجله، ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم. فعلى البراهمة تعليم "ويد" أو تقديم النذور للآلهة وتعاطى الصدقات، وعلى الشترى حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور دراسة "ويد" والعزوف عن الشهوات، وعلى "ويش" رعى السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة ويد والتجارة والزراعة . وليس لشودر إلاخدمة هذه الطبقات الثلاث [١]وقد منح هذا القاون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقا ألحقتهم بالآلهة فقد قال إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق، وإن مافى العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض[٢]ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر-من غير جريرة-ما شاؤوا، لأن العبد لايملك شيئا وكل ماله لسيده [٣] .

وإن البرهمى الذى يحفظ "رك ويد " ، " الكتاب المقدس "هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله [٤]، ولا يجوز للملك حتى فى أشد ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبى من البراهمة جباية أو يأخذ منهم اتاوة، ولا يصح لبرهمى فى بلاده أن يموت جوعا [٥] وأن استحق برهمى القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل [٦] .

أما شودر "المنبوذون" فكانوا فى المجتمع الهندى - بنص القانون المدنى الدينى- أحط من البهائم وأذل من الكلاب، فيصرح القانون بأن "من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك [٧] .

(١) منوشاستر : الباب الأول .
(٢) أيضا .
(٣) الباب الثامن .
(٤) الباب التاسع .
(٥) الباب التاسع .
(٦) الباب الثانى .
(٧) أيضا .

وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا فإن ذلك يؤذى البراهمة [1] ، وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمى يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، وإذا رفسه فى غضب فدعت رجله [2] ، وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى استه وينفيه من البلاد [3] ، وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، وإذا أدعى أنه يعلمه سقى زيتا فائرا [4] ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء " . !

وقد نزلت النساء فى هذا المجتمع منزله الاماء [5] . وكان الرجل يخسر إمرأته فى القمار ، وكان فى بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج فإذا مات زوجها صارت كالمؤودة لا تتزوج ، وتكون هدف الاهانات والتجريح وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحماء ، وقد تحرق نفسها على أثر وفاة زوجها تفاديا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا . وهكذا صارت هذه البلاد المخصبة أرضا وعقولا ، وهذه الأمة- التى وصفها بعض مؤرخى العرب بكونها معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسية وأهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة [6] لبعد عهدها عن الدين الصحيح وضياع مصادره وتحريف رجال الدين وإمعان الناس فى القياس والتخمين واتباع هوى النفوس ونزعات الشهوات . أصبحت هذه البلاد مسرحا للجهل الفاضح والوثنية الوضيعة والقسوة الهمجية والجور الاجتماعى الذى ليس له مثيل فى الأمم ولا نظير فى التاريخ .

وقد كتبت رئيسة وزراء الهند السابقة عن هؤلاء المنبوذين كلاما

(١) الباب العاشر . (٢) أيضا .
(٣) الباب الثامن . (٤) منوشاستر .
(٥) صاعد الأندلس م ٤٦٢ ، طبقات الأمم ص ١١ . (٦) أقرأ استهلال قصة مها بهارات (الملحمة الهندة الكبرى) .

لا يتصوره عقل ففى كتاب " حقيقتى " [1] الذى ألفته رئيسة الوزراء تصف لنا ماذا كا يفعله الطبيب الهندوسى إذا ذهب للكشف على أحد المنبوذين تقول أنديرا غاندى :

إن الطبيب كان يضع بينه وبين المنبوذ حجرا .!

فإذا أراد أن يسأل المنبوذ عن سبب علته وجه السؤال إلى الحجر .. !

فيرد المنبوذ موجها كلامه إلى هذا الحجر الذى ينقله بدوره إلى الطبيب ! ويقول العلامة الندوى :

إن ضابطا بريطانيا كان يقوم بجولة بين القرى الهندية للاشراف على الامن والاستقرار .. بين الأهالى . وقد أصاب العطش الشديد هذا الضابط ورفاقه فطلب من فلاح هندوسى (أى غير مسلم) أن يسقيه ومن معه من الموظفين .

فقدم اليهم الفلاح جرة ، فشربوا منها .

يقول الضابط :

وما كدنا نعطى ظهورنا لهذا الفلاح الهندوسى . حتى سمعنا صوت فرقعة شديدة وانفجارا .. فالتفتنا وراءنا لنعرف مصدر هذا الانفجار وهذه الفرقعة .. إن الفلاح الهندوسى حطم " الجرة " التى شربنا منها لأننا فى نظره أنجاس . وبما أننا شربنا من هذه الجرة فإن الجرة قد تنجست هى أيضا . ولهذا لابد أن تكسر هذه الجرة . !!!

يقول الضابط

وفى مرة أخرى مررنا بقرية يسكنها مسلمون هنود .. فطلبنا من أحدهم بعض الماء لنشرب فقدم الينا جرة . نظيفة وما كدنا نشرب وندير ظهورنا للفلاح المسلم حتى سمعناه يقول ويدعو :

---

(١) حقيقتى أنديرا غاندى - بدون - تاريخ .

الحمد لله .. وبالعافية والشفاء [1] .!

وقد قرر هذه الحقيقة رئيس وزراء الهند الأسبق " جواهر لال نهرو " حيث قال :

إن دخول الاسلام كان له أهمية كبيرة فى تاريخ الهند .. أنه قد فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع . وأن نظرية الأخوة الاسلامية ، والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها أثرت تأثيرا عميقا فى أذهان الهندوس ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية [2] ..

وإذا أردنا أن نعرف ما أضافه المسلمون إلى ثروة هذه البلاد ومدنيتها يجب علينا أن نستعرض ما كانت عليه الهند قبل وصولهم إليها ، ثم ما فعلوه بعد ذلك حين أقاموا فيها ..

يقول (بابر) التركى فى مذكراته :

لم يكن هناك فى الهند وجود للخيل ، ولم يكن يسمع عن العنب والبطيخ .. فالثلج مفقود ، والماء البارد قليل ، والحمام لم يعرف والشموع لا وجود لها ، وكذلك الفوانيس . كان الظلام يغطى كل شىء ، ظلام حقيقى .

وقد كان من عادة السيدات الهنديات أن يحرقن أنفسهن بالنار حدادا على وفاة أزواجهن . فحاول الحكام المسلمون أبطال هذه العادة بالاقناع والحيلة وحين لا تثمر عملية الاقناع كان الحاكم من هؤلاء يرسلها إلى حريمه لتقلع عن ارادتها باقناعهن . ولم يكن يسمح الحاكم للمرأة باحراق نفسها إلا إذا تأكد لديه عزمها واصرارها على اتمام عملية الحرق .

يقول : M.C META فى كتابه " الحضارة الهندية والاسلام " :

إن الاسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور قد انجلت به الظلمات

(١) المسلمون فى الهند .

(٢) المسلمون فى الهند - صفحة ١٢ وما بعدها .

التى كانت تغشى الحياة الانسانية فى عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدلى . وقد كانت فتوح الاسلام فى عالم الأفكار أوسع وأعظم منها فى حقل السياسة . شأنه فى الأقطار الأخرى .

لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الاسلام فى هذا القطر مرتبطا بالحكومة فبقيت حقيقة الاسلام فى حجاب وبقيت هباته وأياديه البيضاء الجميلة مختفية عن الأنظار ..!

* * *

وما من مرة سافرت فيها إلى الهند إلا وأحسست بهذا الشعور متدفقا فى الوجوه والمشاعر فالمسلم هناك متميز فى سمته وهيئته . وفى شوارع بومباى تعرف المرأة المسلمة من أول وهلة تقع عيناك عليها .. الوقار والحشمة والثوب السابغ يغطى منها كل ناحية وفى شارع M.A.ROAD تحس وكأنك تعيش فى القاهرة .. وبالذات فى " خان الخليلى " والغورية !

وحين أتيح لى السفر إلى إمارات الخليج فوجئت أثناء سيرى فى شوارع إمارة "دبى" كأننى غريب عن هذه المدينة .. فالوجوه السمراء تملأ شوارعها وأزقتها .. والمتاجر ذات الأسماء الغريبة تملأ جوانبها وأحياءها . ورائحة الأطعمة النفاذة تنتشر فى سمائها وأجوائها .. كل شىء هنا عجيب غريب .. أما أجهزة المذياع فلا تسمع منها إلا تلك الأغنيات الغريبة . أنغام بسيطة وحزينة .. وأناس يروحون ويجيئون بنفس البساطة والمسكنة .. أنهم هنود .. والصلة بين بلادهم وإمارات الخليج صلة وثيقة عميقة فالعرب الأصليون يتحدثون اللغة الهندية ولا يكاد بيت يخلو من زوجة من "حيدر أباد الدكن" أو من "بومباى" .. كنت أسمع من الناس أحاديث هذه الزيجات بدهشة وغرابة .. أن أى مسافر إلى الهند يستطيع الحصول على زوجه بعدد قليل من الروبيات .. والخدم والعمال الكادحون فى البيوت كلهم من الهند .

* * *

وبالرغم من أن المسلمين حكموا شبه هذه القارة حوالى سبعة قرون

وكانت لهم دولة مرهوبة وحضارة متقدمة حتى أن ملك انجلترا "(جيمس الأول)" أرسل أحد سفرائه لمقابلة الامبراطور "(جهانجير)" لخطب وده واقامة علاقات دبلوماسية معه ، فبقى السفير الانجليزى عامين حاول فيهما مقابلة الامبراطور المسلم فلم يتم له شرف المقابلة !

فتوسل السفير الانجليزى إلى الوزير الأول فى بلاط الامبراطور جهانجير، أن يعطيه رسالة يحملها إلى ملك انجلترا ليتأكد من حضور سفيره إلى الهند على الأقل : فقال له رئيس الوزراء :

- إنه لا يليق بملك عظيم مسلم أن يكتب رسالة إلى حاكم جزيرة صغيرة . يسكنها صيادون .. بائسون ... !!!

أعود وأقول : أنه بالرغم من هذه القوة العظمى التى كانت للمسلمين فإنهم لم يستعملوها أبدا فى فرض دينهم على غير المسلمين ، بل انتشر الاسلام بقوته الذاتية وعقيدته البسيطة، السمحة ، وقيمه الانسانية الرفيعة وبخاصة أن المجتمع الهندى. كان ولا يزال إلى حد ما . خاضعا لعقيدة تقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها فوق بدرجات كبيرة متفاوته ومتباعدة .

لقد وجد هؤلاء وغيرهم فى الاسلام دينا يسوى بين جميع البشر ، بل يسوى بين الحاكم والمحكوم فى ساحة القضاء والعدل فاتجهوا إلى الاسلام الذى أسبغ عليهم الحماية والمساواة والعدل ..

وإن من أكبر الكبائر التى ارتكبها الحكام المسلمون فى الهند . اهمال المنبوذين الذين يعيشون حياة بئيسة مفرطة فى الشقاء والخوف .

وإذا كانت الحكومات الاسلامية التى تعاقبت على حكم الهند حوالى سبعة قرون من الحكم . إذا كانت هذه الحكومات قد أهملت الدعوة الاسلامية خلال فترة هذا الحكم، فإن الدعاة والمبلغين لم يقوموا بواجبهم تجاه هذه الطائفة التى تجاوز عدد أفرادها سبعين مليونا من البشر، وتركوا هذه الملايين فريسة لعصابات التنصير التى تحاول اجتذابهم إلى عقيدة الثالوث بشتى وسائل الاغراء والدعاية فى مختلف ولايات الهند .

ولكن الشيء المؤسف حقا . أنه حتى بعد قيام باكستان لم تلتفت المؤسسات والمنظمات الاسلامية فى هذه الدولة المسلمة إلى اجتذاب حوالى نصف مليون من هؤلاء المنبوذين إلى حظيرة الاسلام .. بل بقى هؤلاء المنبوذون فى نهاية السلم الاجتماعى، وانحصرت أعمالهم- كما هو الشأن فى الهند فى جمع القمامة وفى تنظيف الشوارع والمنازل من بقايا الانسان وفضلاته القذرة .

وأذكر والمرارة تملأ قلبى أننى كنت فى زيارة إلى مقر جماعة اسلامية مشهورة أن شاهدت إمرأة تقوم بتنظيف دورات المياه فى مقر هذه الجماعة وحين سألت عنها . قيل أنها منبوذة ، ومن الطبقة الدنيا المحتقرة ..

لقد كدت أصعق ... ولولا الحياء والأدب لقطعت لسان هذا الجاهل الأحمق ..

إن أبجديات الاسلام فى مقر هذه الجماعة غائبة ، وإذا كان هو الشأن بالنسبة لمثل هذه القضية فكيف يكون الحال بالنسبة لقضايا أخرى أشد خطورة ..

* * *

إن قضية هؤلاء " المنبوذين " شغلت الكثيرين من المفكرين المسلمين منذ فترة طويلة ، ومنذ حوالى ستين عاما قام الزعيم التونسى المسلم "(عبد العزيز الثعالبى)" برحلة إلى الهند ، وسجل خواطره وانطباعاته حول هؤلاء " المنبوذين " فى كتاب سماه " (قصة المنبوذين فى الهند) " .

* * *

وفى عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م نشرت جريدة " البلاغ " المصرية مقالا ضافيا عن أحوال هذه الطائفة ، وطالبت المسئولين فى الازهر وفى الدول الاسلامية بسرعة العمل والتحرك لجذبهم إلى الحظيرة الاسلامية . وبخاصة أن زعيم المنبوذين فى هذا الوقت وكان اسمه الدكتور "(بيدكار)" قد أعلن أن المنبوذين يفكرون فى تغيير دينهم الهندوسى إلى دين آخر يحقق لهم

المساواة والعدل وكان هذا الزعيم يقصد الاسلام الذى يحقق لهم هذه المساواة وهذا العدل

كان شيخ الازهر فى ذلك الوقت هو الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى لم يكن شيخا كشيوخ هذا العصر بل كان قمة فى العزة والعلم، وكان ذا رؤية ثاقبة بالنسبة لقضايا الاسلام والمسلمين فى الشرق والغرب .يكفى أنه قال - حين سئل عن موقف الاسلام والمسلمين من الحرب العالمية الثانية قال - إن هده حرب لا ناقة للمسلمين فيها ولا جمل

لقد فزعت بريطانيا ومعها حلفاؤها من هده الكلمة التى كان يمكن أن تغير سير الحرب وحين احتج الانجلير على شيح الازهر عند رئيس الوزراء فى هذا الوقت "(حسين سرى باشا) اتصل رئيس الوزراء بشيخ الازهر وطلب منه ألا يدلى بتصريح قبل أن يراجعه رئيس الوزراء نفسه ..

فقال له الشيخ المراغى

- من أنت حتى تراجع كلامى أنى استطيع أن اسقطك بخطبة واحدة من فوق منبر الحسين أو منبر الازهر

***

لقد جمع الشيخ المراغى هيئة كبار العلماء ،وكانوا فعلا ممن يستحقون هذا الاسم - وفى هذا الاجتماع قرر الازهر ما يأتى

أولا إرسال بعثه إلى الهند لدراسة أحوال المنبودين ، ولمعرفة أحوالهم والوسائل الناجعة لهدايتهم إلى الاسلام

ثانيا أن يكون عدد أفراد البعثة مكونا من ثلاثة من كبار العلماء يكون معهم سكرتير يجيد اللغة الانجليزية

ثالثا ألا يقتصر عمل أعضاء البعثه فقط على دراسة أحوال المنبوذين بل يقومون بدراسة أحوال المسلمين من كل ناحيه ايضا

وقد وقع اختيار فضيلة الاستاذ الأكبر على أصحاب الفضيلة الشيخ إبراهيم الجبالى، والشيخ عبد الوهاب النجار، والشيخ محمد أحمد العدوى ، وقام بسكرتارية البعثة الاستاذ محمد حبيب أحمد المدرس فى كلية أصول الدين ، وساعده فى هذه المهمة الاستاذ محمد صلاح الدين النجار .

***

لقد استقبل أعضاء البعثة فى جميع الموانى البحرية التى مروا بها استقبالا رسميا وشعبيا حافلا . وبخاصة فى ميناء عدن الذى هرع إليه السلاطين ومختلف طبقات الشعب للترحيب والاحتفال بشيوخ الازهر ..

أما فى ميناء "(بومباى)" فكان الاستقبال فوق الوصف .. وكان أول تصريح لرئيس البعثة بعد نزولهم فى ميناء "بومباى" تصريحا استقبل بالارتياح والتقدير من المسلمين وغير المسلمين فى الهند ..

" (إن البعثة الازهرية قد قدمت إلى الهند تحمل صداقتها وصداقة الشعب المصرى لسكان الهند كافة . وقد جاءت إلى هذه البلاد لزيارة المؤسسات العلمية على وجه العموم ، والمؤسسات الاسلامية على وجه الخصوص وهى ترجو من وراء هذه الزيارة إلى دعم أواصر الاخوة والمحبة بن المسلمين فى الهند وأخوانهم المسلمين فى مصر ..

***

ولكن .. هل يترك الانجليز هذه الفرصة .. ؟

هل يسمحون بادخال ٧٠ سبعين مليونا من سكان الهند فى العقيدة الاسلامية ؟ إن معنى هذا تحويل الهند إلى دولة اسلامية كبرى .. ؟ وإذا أصبحت الهند كذلك .. فقل : سلاما على بريطانيا العظمى .. !

لقد حدث فى عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م أن دخلت قرية من قرى المنبوذين فى جنوب الهند اسمها "(ميناكشى)" دخلت فى الاسلام لقد وقفت الدوائر الصليبية والهندوسية المتعصبة على رأسها منذ ذلك اليوم .. ومنذ

ذلك اليـوم أيضـا والمذابح ضـد المسلمـين لم تتـوقف . فى "(بيـهـار)" وفى "(اسام)" وفى "(دلهى)" وفى "(راجبور)" حتى فى "(بورما)" ..

ونحن لا نلوم هؤلاء ولا هؤلاء .. إنما نلوم حكام المسلمين الذين أهملوا الدعوة بين هؤلاء التعساء على امتداد سبعة قرون ونلوم العلماء والدعاة الذين لم يوجهوا جهودهم إلى أخوانهم فى الوطن من هؤلاء المنبوذين .

لو حدث هذا لتغيرت الصورة .. وتغير مجرى التاريخ ..

* * *

وعندما نتكلم عن انتشار الاسلام فى شبه القارة الهندية فإننا نعنى انتشار الاسلام فى المرحلة السابقة قبل تقسيمها إلى ثلاث وحدات سياسية مستقلة هى الهند . وباكستان . وبنجلاديش والدول أو الدويلات التى تحيط بها .

إن هذه المنطقة تضم داخل حدودها ٤٥٠ اربعمائة وخمسين مليونا منها ١٥٠ مليون مسلم فى الهند و ١٢٠ ومائة وعشرين مليونا فى بنجلاديش و ١٢٠ مائة وعشرين مليونا فى باكستان .

وبالرغم من الحكم الاسلامى الذى استمر حوالى سبعة قرون للهند فإن الحكومة الاسلامية فى الهند لم تحاول أن تكره السكان على اعتناق الاسلام. باستثناء حالات قليلة يمكن أن يحدث مثلها بين أصحاب الدين الواحد كما حدث مثلا بين الكاثوليك والبروتستانت .

بل كان من بين الحكام المسلمين الذين حكموا الهند ملك يدعى (اكبر) كان عدوا للاسلام ، كما كان سوط عذاب على المسلمين . حتى أنه حاول صياغة دين جديد يجمع بين الاسلام والهندوكية وغيرها من ديانات الهند ، كما حرم تسمية أحد باسم " محمد " ! ومنع الأذان فى المساجد ! وحرم التحية الاسلامية المعروفة " السلام عليكم " وأحل مكانها تحية أخرى هى "(الله أكبر)" أى أن الملك الاكبر هو الله ذاته !

وقد قيض الله للاسلام فى هذه الفترة عالما ربانيا جليلا هو الشيخ

"(أحمد السرهندى)" الذى تصدى لهذه الفتنة ، وجمع الشعب والعلماء للوقوف فى وجه هذه الردة . وكان من فضل الله أن هلك "(اكبر)" وخلفه ابنه "جهانجير" .. وكان فى بداية نشأته متلافا منصرفا إلى شهواته وملذاته فأمر بحبس الشيخ "(أحمد)" فتحول كل المسجونين على أيدى هذا الشيخ الزاهد المجاهد الورع إلى دعاة وأئمة ولم يلبث السجن أن تحول إلى جامعة فكتب مدير السجن إلى "(جهانجير)" يقول له :

إن هذا الشيخ أحمد ليس بشرا . أنه ملك هبط من السماء إلى الأرض . ولابد من إطلاق سراحه فورا .

وخضع "جهانجير" وأمر باطلاق سراح الشيخ الذى انطلق بدعوته إلى مختلف أرجاء الهند ليطفىء نار الردة والفتنة حتى عاد الأمر إلى ما كان عليه ، وخفقت راية الاسلام من جديد فوق ربوع الهند . وأصبح الملك نفسه من أتباع الشيخ !

وتقول احدى الروايات :إن داعية اسمه مالك بن دينار ترك أثرا كبيرا فى انتشار الاسلام ... إن مالك بن دينار هذا نزل فى ولاية مليبار جنوب الهند فى منطقة اسمها "جانجابور" وحين سمع به الراجا أو الحاكم استدعاه ومن معه، فلما حدثوه عن الاسلام وعن ظهور النبى محمد أسلم وأسلم معه شعبه كله .

ومن أشهر الدعاة الذين تركوا أثرا كبيرا فى حياة مسلمى الهند شيخ معروف فى مدينة "(لاهور)" عاصمة اقليم البنجاب فى باكستان . إن لهذا الشيخ مكانة كبرى فى هذا الاقليم الكبير من أقاليم باكستان . وتصل مكانته إلى مكانة السيد البدوى هنا فى مصر . !

يقال عن هذا الشيخ أنه كان صاحب صوت جميل فى الذكر والدعاء فكان إذا تحدث اجتمع حوله الناس من كل الديانات . ومن هنا . كان الشيخ ينتهز هذه الفرصة ليدعو الجميع إلى الاسلام فيستجيبون له دون أية مشقة أو عناء . !

* * *

إن فى صلاح العَالِم صلاح العَالَم وإن من أكبر الآفات التى قعدت بالمسلمين عن اللحاق بركب الحضارة والتقدم هذا التناقض الصارخ بين الكلام والعمل ، وبين القول والعقل .

يقول تاريخ الدعاة المسلمين فى الهند :إن رجلا عالما وداعية اسمه الشيخ آدم البنورى كان يأكل على مائدته كل يوم ألف رجل . فإذا سار هذا الشيخ سار حوله أكثر من عشرة آلاف رجل .. !

وأن أكثر من مليون رجل وإمرأة أسلموا على يدى هذا الداعية المسلم .!!

* * *

ومن الروايات الشائعة بين مسلمى جنوب الهند فى ولايتى كيرالا (خير الله) ومليبار إنه كان هناك داعية اسمه "بابا فخر الدين" وأنه كان قبل اسلامه ملكا على إمارة "(سيستان)" فلما أسلم سمى نفسه "فخر الدين" ثم ترك الملك وتفرغ للدعوة، واستقر به المقام وجماعة من أصحابه بجوار معبد هندوكى وحين سمع بهم حاكم الولاية أراد أن يختبرهم . فجمع بين الشيخ بابا فخر الدين وبين كبير كهنة الهندوس . وأعلن - أى الملك - أن الذى ينتصر على الآخر فإنه يكون على حق . ثم أمر الملك أن يوضع كل من الكاهن والشيخ فى كيس مملؤ بالكلس ..(أى الجير) !

ثم يلقى بهما بعد ذلك . فى النهر .

وتمضى هذه الاسطورة فتقول: إن الكاهن تحللت جثته ولم يعد له أثر . أما الشيخ " بابا فخر الدين " فشوهد واقفا على قمة تل وهو يؤذن .. فأسلم الحاكم ثم أمر بتحويل المعبد إلى مسجد .. !

كما يقول هذا التاريخ أيضا :

إن الشيخ غلام الدهلوى كان يتوب ويسلم على يديه كل يوم ألف رجل وإمرأة . !

وكان من مآثر هؤلاء المصلحين الروحيين الكبرى أنهم قاوموا أحيانا

كثيرة اتجاهات بعض الملوك الخطرة وأنقذوا الدولة والمجتمع من بعض الأخطار الهائلة المحدقة بها ، وذلك بابداء آرائهم بصراحة، وانتقاد التيارات الفاسدة، وانحراف " البلاط" عن جادة الحق والصواب، ان تربيتهم وأمثلتهم العلمية الحية ألهبت فى الناس جذوة الجراءة والشجاعة، والنشاط والطموح، وتاريخ الهند الاسلامى زاخر بهذه الأمثلة، إن هؤلاء المشايخ غامروا مرارا بحياتهم وآثروا الموت على الحياة وعملوا بمبدأ " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" كلما دعت إليه الحاجة واقتضته الظروف .

وتقدم فى هذا المكان مثالين من عهد "الملك الجبار" محمد تغلق، يدلان على شجاعتهم وصرامتهم واستهانتهم بمظاهر الأبهة والغطرسة واحتقارهم للقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .

" لما مر السلطان محمد تغلق بزاوية الشيخ قطب الدين منور[١]، كان شيخا كبيرا فى الطريقة الجشتية يعيش فى عزلة عن الناس لم يحضر عند السلطان لتحيته فطلبه السلطان فى دهلى، ولما حضر البلاط ودخل الديوان رأى الأمراء والوزراء والحكام ورجال البلاط واقفين سماطين [٢]، متخشعين مسلحين فى هيئة تنخلع منها القلوب، وكان معه ولده نور الدين، وكان حديث السن لم يزر "بلاط" الملك فى حياته ففزع لهذا المنظر الغرب وامتلأ رعبا .

فناداه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلا يا ولدى العظمة الله ! يقول نور الدين إنى استشعرت فى نفسى قوة غريبة بعد هذا النداء ، وزالت الهيبة من نفسى وذابت ، وبدأ الجميع عندى كأنهم قطيع من ضأن أو معز !

وسأل الملك الشيخ وعاتبه قائلا " إننا مررنا بزاويتكم فلم تشرفونا بزيارتكم وموعظتكم .؟!

فأجاب الشيخ إن هذا الفقير لا يجدر بمقابلة الملوك، إنه يعيش فى

(١) له مسجد كبير يعرف به فى العاصمة نيو دلهى .

(٢) أى فى صفين .

عزلة، ويدعو للملك ولجميع المسلمين فعليكم أن تعذروا فى هذا الأمر وبعد انصرافه قال الملك لوزرائه .

إنه صافح كثيرا من الشيوخ والعلماء فكانت أيديهم ترتعش خوفا واشفاقا، أما هذا الشيخ فما وجدت فى كفه لينا وضعفا ، وما رأيت فى يده ارتعاشا بل صافحنى بقوة وحرارة زائدة واعتزاز نفس .!!!

وقدم إليه الملك مائة ألف "(قطعة ذهب)" فقال الشيخ سبحان الله، تكفينى أقتان من أرز ، وسمن بفلس واحد ماذا أفعل بهذه الآلاف من الروبيات ، ولكن قيل له إن الملك يسخط إذا لم يقبل هذه الهدية، وينقم عليه ، فقبل الشيخ روبية وقسمها بين اخوانه وأصحابه وذوى الحاجة (١) . ثم التفت الشيخ إلى أبنه وقال له :

" لا أحب أن أبيع خرقتى المتواضعة وثيابى البالية برايات الملوك وأعلام السلاطين، ولا أرضى بأن أهجر "فقرى" حرصا على مملكة "سليمان" إن هذا الكنز الذى اكتشفته فى قلبى بفضل المجاهدة لا أريد أن أبادله برخاء الملوك وراحتهم وتنعمهم " ؟!

ورحم الله العز بن عبد السلام . خرج يوما إلى الازهر فرأى موكبا تتخلع من جلاله القلوب وانكفأت الخلائق كلها وراء هذا الموكب حتى وصل الازهر، وملأ الناس صحنه الرحيب وساحته الفسيحة، والطرق من حوله، وانكشف الغبار عن الملك الصالح أيوب، وقد انحنت له الرؤس . وخشعت له الأصوات، وحبست الانفاس، وإذا بصوت جهورى خرج من صف المشايخ ينادى الملك باسمه ويقول :

- يا أيوب ! يا أيوب !

ويتلفت الملك وإذا بالمتكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام .

قال يا أيوب ما حجتك عند الله إن قال لك ألم أبوىء لك مصر ثم تبيح الخمر ؟

(١) سير الاولياء ص ٢٥٣ - ٢٥٥ . مطبعة حيدر أباد الدكن . ١٣٠٧هـ .

قال : وهل جرى ذلك ؟

قال نعم : الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ؟!

قال : هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى !

قال : أأنت ممن يقولون : ﴿ **انا وجدنا أباءنا علي أمة . وانا علي آثارهم مقتدون** ﴾ .!

فأمر الملك برفعها .

وانقضى الموكب وما للناس حديث إلا حديث الشيخ . ولما رجع الشيخ إلى بيته قال له تلميذ من تلامذته :

- يا سيدى ما هذا الذى صنعت ؟

قال : رأيت السلطان فى تلك العظمة فخفت عليه الهلاك من الكبر فأردت أن أصغر عليه نفسه وأعينه عليها ، ولا يكون العالم عالما يا ولدى إلا إذا علم أنه كالطبيب فالطبيب تزداد الحاجة إليه كلما اشتد على الناس مرض الجسم ، العالم يحتاج إليه كلما قوى فى الملوك مرض النفس !

قال : وما مرض النفس ؟

قال : العظمة يا ولدى .. فمن لم ينصح الملك يوم يشتد سلطانه وتقوى نفسه، ويبين له طريق الحق لئلا يجانبه، وسبيل الخير لئلا يعدل عنه. لا يكون عالما . بل غاشا وخادعا .

قال تلميذه : لكن أما خفته ؟

قال الشيخ : يا بنى استحضرت هيبة الله - .. فصار السلطان قدامى كالقط !!!

* * *

تقول اسطورة هندية .

إن حكيما هنديا وقف على شاطىء نهر " الكنج " المقدس عند الهنود

وقف يخاطب النهر الساكن سكون الموت ويقول :

أيها النهر المقدس ..! لقد جفت عيوننا على شطأنك من كثرة الدموع .

لم يبق فى مآقينا بقية من دمع ..

فمر أمواجك أن تثور وتقذفنا إلى مياه المحيط ...

هناك حيث يصارع موجه الفناء ويلقى بقواقعه على الشاطىء ..

فربما نجد فى بعض أصدافه نبضة حياة تعيدنا مرة ثانية إلى شطآنك كى نذرف دموعنا من جديد ..!

* * *

وماذا يمتع من السفر شرقا إلى مياه المحيط .. هناك حيث تتراءى عبر الافق والسحب جزيرة " سرنديب " وجزر المالديف .. سنخطو وراء " ابن بطوطة " وهو فى طريقه إلى هذه الجزر .. وسترى . وتقرأ ما قاله فى هذه الرحلة وهذا السفر ...

وصلنا إلى جبل سرنديب وهو من أعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع ، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا قد حال بيننا وبين رؤية أسفله .

وفيه كثير من الأشجار التى لا يسقط لها ورق ، والأزاهير الملونة والورد الأحمر على قدر الكف .

ويزعمون : أن فى ذلك الورد كتابة يقرأ منها أسم الله تعالى وأسم رسوله - عليه الصلاة والسلام - ! وبالجبل طريقان إلى القدم : أحدهما يعرف بطريق (بابا) والآخر (ماما) يعنون آدم وحواء عليهما السلام ، فأما طريق ماما فسهل ، وأما طريق بابا فصعب وعر المرتقى وفى أسفل الجبل مغارة تنسب أيضا للاسكندر وعين ماء ونحت الأولون فى الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها أوتاد الحديد وعلقوا فيها السلاسل ليتمسك بها من يصعده وهى عشر سلاسل ثنتان فى أسفل الجبل ، حيث الدروازة

وسبع متوالية بعدها والعاشرة هى سلسلة الشهادة لأن الانسان إذا وصل إليها ونظر إلى أسفل الجبل أدركه الوهم فيتشهد خوف السقوط .!

ثم إذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقا مهملا ومن السلسلة العاشرة إلى مغارة القبر سبعة أميال وهى فى موضع فسيح عندها عين ماء تنسب إليه أيضا ملىء بالحوت ولا يصطاده أحد وبالقرب منها حوضان منحوتان فى الحجارة على جنبى الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين إلى أعلى الجبل حيث القدم .!

* * *

وأثر القدم الكريمة قدم أبينا آدم صلى الله عليه وسلم فى صخرة سوداء مرتفعة فى موضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة فى الصخرة حتى عاد موضعها منخفضا وطولها أحد عشر شبرا وأتى إليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه وجعلوه كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من أقصى البلاد وفى الصخرة حيث القدم - تسع حفر منحوته يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب واليواقيت والجواهر فترى الفقراء إذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لأخذ ما بالحفر ولم نجد نحن بها إلا بعض حجرات ذهب أعطيناها الدليل .

العادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها إلى القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا ، ولما تمت الأيام الثلاثة عدنا على طريق ماما ، ثم إلى قرية "جير كاوان" ، وهنالك كان يشتى الشيخ أبو عبد الله بن خفيف وكل هذه القرى والمنازل هى بالجبل ، وفى هذا الطريق "درخت روان" وهى شجرة عادية لايسقط لها ورق ولم أر من رأى ورقها ويعرفونها أيضا بالماشية لأن الناظر إليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك ورأيت هنالك جملة من الجوكيين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهى بحيث لا يمكن التوصل إليها ألبتة .

ولهم كلام طيب فى شأنها من جملتها أن من أكل من أوراقها عاد له

الشباب إن كان شيخا وذلك باطل وتحت هذا الجبل الخور العظيم الذى يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر فى رأى العين شديد الزرقة ورحلنا من هنالك يومين إلى مدينة دينور " مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجار وبها الصنم المعروف بدينور فى كنيسة [1] عظيمة فيها نحو الألف من البراهمية والجوكية ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود ويغنين كل ليلة عند الصنم ويرقصن والمدينة كلها وقف على الصنم وكل من ، بالكنيسة ومن يرد إليها يأكلون من ذلك والصنم على قدر الآدمى فى موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أخبرت أنهما تضيئان بالليل كالقنديلين ثم رحلنا إلى مدينة " قالى" وهى صغيزة على ستة فراسخ من دينور وبها رجل من المسلمين يعرف بالناخوذة إبراهيم أضافنا بموضعه ورحلنا إلى مدينة كلنبور (CALENPOR) وهى من أحسن بلاد سرنديب وأكبرها وبها يسكن الوزير حاكم البحر ومعه نحو خمسمائة من الحبشة .

* * *

لندع ابن بطوطة وذكرياته ومذكراته . فقد سافر وفد مصر لحضور الندوة العالمية الاسلامية تلبية لدعوة مسلمى سرى لانكا برئاسة الوزير الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الازهر وعضوية كل من :

الدكتور الحسينى هاشم : أمين عام مجمع البحوث الاسلامية .

الدكتور عبد الودود شلبى : الامين المساعد .

وها نحن فى طريقنا إلى "سرنديب " أو " سيلان " أو سرى لانكا " ولم يبق غير قليل حتى تهبط بنا الطائرة فى " كولومبو " .

أى خيال يعش فيه الانسان وهو يحلق فى أجواء هذه البلاد النائية لقد أقلعت بنا الطائرة من مطار " كراتشى " قبل الفجر .. وها هى تشق طريقها عبر الوديان والجبال والصحارى الممتدة من الغرب إلى الشرق .. ثم تنحرف

(١) المقصود بالكنيسة هنا المعبد البوذى لانه لم يكن هناك مسيحيون أصلا .

قليلا إلى اليمين لتعبر المضيق الفاصل بين سرى لانكا والهند . هنا يولد النهار ويجاهد الليل ممسكا بتلافيف الظلام .

لقد ظهرت الجزيرة .. سرى لانكا تحتنا الآن...ولكنك لاترى أرضا .. اختفى الطين والتراب فى أعماق البحر .. وبقيت الخضرة اليانعة وحدها فوق السطح . إن الطائرة تعلو .. ثم تهبط .. متحسسة طريقها وسط طبقات السحاب، وخلجان الضباب . فى ثانية ترتفع فترى الشمس من بعيد متوهجة فى كبد السماء .. ثم تهبط ثانية وتختفى فى سجف العتمة والظلام .. إنها تشبه النفس فى صراعها بين الخير والشر وتبدو فى عين البصير معركة بين الباطل والحق ..!

وفى لحظة ترقب وقلق تلمس عجلاتها المدرج الناعم الأملس على الأرض .. نحن الآن فى " كولمبو COLOMBO .. أو البوابة الجوية لسرى لانكا .. مطار متواضع " ولكنه نظيف وجميل .. وقد احتشد فى ساحة المطار أعضاء سفارتنا يتقدمهم السفير وبجوار السفير يقف الوزير محمد حنيفة محمد الزعيم الاسلامى الكبير ..

الساعة السادسة صباحا بتوقيت كولومبو .. وقد بدأ المطر ينهمر بغزارة فى هذه المنطقة البعيدة عن العاصمة .. فلننتظر قليلا ريثما يهدأ الجو ، وتشرق الشمس ويعود الضياء والنور إلى الطريق الممتد بين أشجار النارجيل والموز ..

ولفت نظرى جندى فارع الطول ضخم الجثة .. من أين أتى هذا العملاق أغلب الظن أن هذا الجندى من أحفاد الذين سجنوا (عرابى) باشا وتولوا حراسته . ولولا الحياء لذهبت إلى هذا الحارس أسأله عن قصة حياته ونشأته..! إن المسافة بين المطار والعاصمة تستغرق نصف ساعة .. ولكن الوقت والزمان لا وجود لهما فى هذه الرحلة . إلا عند بعض الناس - على الأقل .. ففى مثل هذه الأماكن يسيطر على الانسان شعور غريب يفقد معه الاحساس بالزمن والوقت .!

أدينا صلاة الجمعة فى أحد مساجد "(كولومبو)" وألقى فضيلة الشيخ الوزير كلمة لخص فيها مبادىء الاسلام وكان ظهورنا فى هذا المسجد ، ومعنا بقية الوفود المدعوة إلى هذا المؤتمر مهرجانا دينيا أشعر المسلمين بأهميتهم فى هذه الجزيرة، وربط بينهم وبين أخوانهم فى العقيدة، وأثار فى الانفس لواعج الشوق والايمان والاخوة، وفى اعتقادى وتصورى أن الفائدة الأولى من عقد مثل هذه المؤتمرات لا تتجاوز هذه الدائرة .. فالمسلمون فى مثل هذه الأقطار فى شبه عزلة، وفى وحدة قاسية مرة .. ويزيد من قسوة هذه الوحدة ومرارتها عند الناس ما يرونه من تعاون الآخرين وتعاطفهم ..

فى دكان صغير بجوار الفندق الذى كنا ننزل فبه التقيت برجل عجوز اسمه محيى الدين ..لقد دخلت دكانه عرضا. كان معه صبيان يساعدانه فى العمل ..ومن كلمة إلى أخرى عرف أننى مصرى .ومن الازهر .. لقد أصابت الرجل وولديه نوبة عاطفية .. واستمر فى حاله هذا أكثر من خمس دقائق يرفع يديه بالتحية .. اللهم صلى على محمد . الله أكبر . الله أكبر .. !!!

* * *

ذهبنا إلى قاعة " بندرنيكه " لحضور جلسة افتتاح المؤتمر فى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة ٢٣ رجب ١٣٩٨هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٩٧٨م . كان وفد مصر هو أكبر الوفود وأهمها تمثيلا وحركة .. وقد دعى ممثلو الأديان جميعا لحضور حفل الافتتاح الذى شهده ممثلو عشرين دولة فى آسيا وأفريقيا وأوربا .

إن الصورة التى لم تغب عنى حتى هذه اللحظة هى موقف الرهبان البوذيين من رئيس الجمهورية . ففى صدر القاعة ومن فوق المنصة الرئيسية جلس ممثلو الديانتين الاسلام والمسيحية على يمين الداخل إلى القاعة وعلى اليسار جلس ممثلو الديانة البوذية بثيابهم الصفراء البسيطة ورؤسهم الحليقة اللامعة .. وعندما حضر رئيس الجمهورية وقف الجميع تحية لرئيس الدولة ..أما الرهبان البوذيون فقد بقوا فى أماكنهم بدون أية حركة ،

وعندما صعد رئيس الجمهورية الدرج إلى المنصة توقف أمام هؤلاء الرهبان الجالسين وركع أمامهم فى خشوع وتقوى .. !!

* * *

فى " صحن الازهر " منذ خمسين عاما لفت نظرى - ذات يوم - طالب غريب السحنة .. كان أسمه " الزبير " أو " الزبير باشا " كما عرفنى بنفسه ! قال :

انا من "سيلان "ومن خريجى كلية " الزاهرة " التى اسسها عرابى باشا اثناء نفيه إلى بلدنا .!

ولم ادع هذه الفرصه تفلت .. لقد دعوته إلى جلسة هادئة فى " صحن الازهر " وجلست امامه كمحقق يسأل ويستفسر .

س : لقد نفى عرابى إلى "سرنديب " لا إلى "سيلان " ؟

جـ : سرنديب هى سيلان وقد عرفت بهذا الاسم قديما عند العرب .

س : عرابى باشا اذن من الشخصيات المعروفه فى تاريخ بلادكم ؟

جـ : اقول لك شيئا سمعته من أجدادنا وهم يتحدثون عن قصه وصول عرابى باشا وزملائه إلى كولمبو " (COLOMBO)

- لقد خرج الناس جميعا مسلمون وغير مسلمين يستقبلون هذا البطل ورفاقه قبل نزولهم من المركب إلى البر .. مئات الزوارق و السفن الصغيرة خرجت إلى عرض البحر تهتف بمن فيها لأبطال مصر .

لقد اشترك المسلمون فى هذه المظاهرة بعاطفة دينيه وعاطفة وطنيه وشارك غير المسلمين فى استقبال هؤلاء الأبطال تقديرا لدفاعهم عن الحرية .

ولقد حمل الناس العربة التى استقلها عرابى على أكتافهم تحديا لقوى البغى التى نفتهم إلى هذه الجزيرة . وكان يوم وصولهم إلى " كولمبو " من أيام - التاريخ الخالدة فى تاريخ أمتنا ومنذ ذلك اليوم والمسلمون يرتدون

" الطربوش " تقليدا لهؤلاء الزعماء الذين شرفت بهم بلادنا .. !

* * *

لقد عرفت "سرى لانكا" باسماء مختلفة عبر التاريخ . فاليونانيون أطلقوا عليها أسم "تابروبين " (TAPROIN) وسماها البحارة العرب "سرنديب " (SERENDIB)وقد أطلق عليها الاسبان والبرتغاليون أسم سيلان (CEYLAN) بينما أطلق عليها البريطانيون أسم (CEYLON) وقد عرفت بهذا الاسم طوال حكم الانجليز حتى حصلت على الاستقلال والحرية ١٩٤٨م فاشتهرت باسمها القديم سرى لانكا .

يبلغ عدد السكان ١٣ مليونا ١٠٪ فقط منهم مسلمون أما الأغلبية الساحقة من السكان فهم بوذيون ، وهناك أقليات أخرى من الهنادك والمسيحيين .

فى كلية الزاهرة أو (ZAHIRA COLLGE) كما يسمونها هنا فى كولمبو أقيم حفل تكريمى لاعضاء الوفود المدعوة إلى المؤتمر .. لقد ذهبت إلى هناك ونفسى مفعمة بذكريات الماضى الحزينة لقد تخيلت عرابى باشا واقفا ينتظر قدومنا إلى هذه الساحة .. ! لقد مضى حوالى مائة عام على هذه الواقعة .. غير أن التاريخ لا يضيع بمضى المدة .. بل تبقى ذكراه وتتجدد أمام كل حادثة ، ويخرج أبطاله إلى الحياة بأعمالهم الطيبة ، ويغلب عليك الاحساس بالحب فتتخيل شخوصهم حية وباقية ..!

من القاهرة إلى كولومبو جىء بعرابى ورفاقه إلى هذه الجزيرة كانت الخيانة قد فجرت ، والمحاكمة قد انتهت ..

ترى أين كان يجلس عرابى وأين مكان البارودى وعبد العال حلمى ؟

لقد غبت تماما فى أعماق ذكرياتى الدفينة " (كنت مهتما بالبحث عن عرابى باشا .. أردت أن أسأله هنا وقد عز اللقاء بيننا وبينه بحكم الزمن والتاريخ ..

يا ابن الأزهر العظيم ...

إننا فى هذا المكان من أجلك .. فلولاك ما بنيت هذه الكلية وما أجتمع الناس فى هذه القاعة ..

وبدأت الكلمــات .. ووزعت الحلوى .. ولكن أية كلمــات هذه التى تستطيع ايقاظى من ذكريات الحزن . لقد وقف " البارودى باشا " يخاطبنى بحديث " (الغربة) " المر .

كفى بمقامى فى " سرنديب " غربة
نزعت بها عنى ثياب العلائق
ومن رام نيل العز فليصطبر على
لقاء المنايا واقتحام المضايق
يقول أناس أننى ثرت خالعا
وتلك هنات لم تكن من خلائقى
ولكننى ناديت بالعدل طالبا
رضا الله واستهضت أهل الحقائق
أمرت بمعروف وأنكرت منكرا
وذلك حكم فى رقاب الخلائق
فإن كان عصيانا قيامى فإننى
أردت بعصيانى اطاعة خالقى
وكيف يكون المرء حرا مهذبا
ويرضى بما يرضى به كل فاسق
فإن نافق الأقوام فى الدين غدرة
فإنى بحمد الله غير منافق !!!

* * *

لقد انتهى الحفل وانتهت الكلمات وبقيت نفسى غائبة فى أعماق هذه الذكريات ، وبحركة لا شعورية وجدتنى أنشد مع المنشدين :

صلى الله على محمد صلى الله عليه وسلم

* * *

ركبنا السيارة لزيارة الجامعة النظيمية فى مدنية " بيرويلا " على بعد سبعة وثلاثين ميلا من العاصمة كولومبو .

ما أجملك أيها الشرق ... لقد كان " (جوته) " على حق فى عشقه لهذه الحياة الغنية بالجمال والفتنة . هذه الطيور المغردة فوق أشجار - النارجيل .. وخرير المياه المتدفقة من المحيط إلى الأرخبيل .. والناس الودعاء الطيبون يقفون بأسمالهم البالية يحيون قافلة المسافرين ..

ما هذا الذى يتراءى هناك مبرقشا منمنما وكأنه يصل الربي بالسماء .. وما تلك الأهازيع القادمة من بعيد تخفق بها الأجواء ألا أيتها الرياح السوافى أغيثينى بغيثك ..

ولا بأس بالرعود كلها ترعد ، وبالسماء تتجاوب أقطارها بالبرق . فسرعان ما تنبعث الحياة .. وتشع روح خفية السر مباركة الأثر فإذا كل شىء ، فى كل ناحية ينتعش ويترعرع ، وإذا كل شىء يخضر وينضر . إن الحياة هنا تولد فى كل لحظة والجمال والفتنة يفيضان فى كل صورة .. !

* * *

وصلنا إلى " بيرويلا " لنجد فى انتظارنا حشدا من المسلمين سكان المدينة وفى الطريق إلى الجامعة وقف الطلاب صفوفا متراصة بملابس بيضاء ناصعة وباشارة خاطفة استدار هؤلاء الطلاب فى حركة سريعة وبدءوا - يمشون بخطوات منتظمة وانطلقوا جميعا يرددون هذه الأنشودة ..

الله أكبر ... الله أكبر

نحن طالبو سيلان

نحن مسلمو سلان

كتابنا القرآن ... ودينا الاسلام

حمدا لربنا ... شكرا لربنا

الله ربنا

واغرورقت عيون أكثرنا بالدموع فى هذا البلد الأعجمى ووسط هذه الغابات العذرية الكثيفة .. وعلى بعد آلاف الأميال من مكة أو القاهرة ينشد هؤلاء الطلاب بلغة عربية فصيحة ، وعاطفة دينية عميقة وبروح صافية شفافة ..!

* * *

فى فترة الاستراحة بين جلستى الصباح التقيت بالأخ الأستاذ إبراهيم شهاب وزير الزراعة فى جمهورية مالديف .. لقد فاجأنى الوزير أنه من خريجى الأزهر واستمرت المفاجأة فى حديثه حين أخبرنى بوجود ثلاثة وزراء أيضا من خريجى الأزهر .. وبلغت المفاجأة ذروتها وهو يقول : إن المرشح الجديد لرئاسة الجمهورية أيضا من خريجى الأزهر ..

لقد أنسيت آلامى كلها فى هذه اللحظة .. دولة كاملة يحكمها علماء الازهر ..؟؟ ما أروع هذه المفاجأة وما أسعدنى بهذه الانباء السارة .

* * *

إن جزر المالديف . أو " ذيبة المحل " كما سماها " (ابن بطوطة) " تقع قريبة جدا من سيلان أو سرى لانكا .

وتتكون جزر المالديف من ١٢٠٠ ألف ومائتى جزيرة صغيرة وعاصمتها تسمى " (مالى)" ورئيسها الآن شيخ أزهرى اسمه عبد القيوم . أو مأمون عبد القيوم ، كما أن معظم وزرائها من خريجى الأزهر . !

تقول احدى الوثائق الرسمية عن سبب انتشار الاسلام ودخوله إلى هذه الجزيرة .

حين أراد الله العظيم أن يحرر المواطنين من الظلام والجهل والوثنية وأن يهديهم إلى الصراط المستقيم . جاء إليهم الشيخ يوسف شمس الدين أشهر الدعاة فى منطقة المحيط الهندى . وقد دعا الشيخ الأهالى إلى الاسلام ولكنه فشل بعض الوقت حتى استطاع بمثابرته وتقواه أن ينجح فى دعوته وأن يدخل كل سكان الجزيرة فى الاسلام

وتقول الوثيقة عن هذا الشيخ :

إنه كان من أصحاب الكرامات ذلك لأن سكان الجزيرة كانوا يعتقدون فى الأرواح الشريرة ، وكانوا يتصورون " جنيا " يزور جزيرتهم فى كل شهر . فكانوا يقدمون أحدى بناتهم قربانا لهذا الجنى حتى لا تغرق الجزيرة ويموت كل من فيها من الناس .

وقد أكد " ابن بطوطة " هذه الرواية حيث قال : أن الشيخ الداعية يوسف حينما أراد أن يؤكد لهم بطلان هذه الخرافة طلب منهم أن يأخذوه إلى المكان الذى تلقى فيه الفتاة إلى الجنى . وهناك حبس الشيخ فى مكان الضحية وأخذ يتلو القرآن حتى طلع الفجر . بينما الناس يراقبونه فى دهشة وخوف فلما لم يظهر عفريت ولا جنى أيقن الناس بصدق دعوة الشيخ . ثم دخلوا جميعا فى دين الاسلام ولم يتخلف عن اعتناق هذا الدين أحد من سكان الجزيرة جميعا ..!

كان الملك الذى يحكم الجزيرة فى هذا الوقت اسمه " درمس كوبمالا " وقد اختار لنفسه اسم " (محمد بن عبد الله) " . بعد أن أسلم . كما أن الداعية الشيخ يوسف شمس الدين " أصبح معروفا هناك بالشيخ "(أبو البركات)" .. وهل هناك بركة أكمل وأحسن من بركة الايمان الذى حول سكان هذه الجزر من عبدة للشيطان إلى عبدة للرحيم الرحمن !!!

* * *

ان آسيا هى أكبر قارات العالم وأكثرها سكانا، وتبدأ آسيا من شبه جزيرة سيناء وتنتهى عند الحدود الشمالية الغربية لقارة استراليا عند ميناء دارون ... بل أن بعض الروايات تذكر أن استراليا كانت قبل ذلك جزءا من آسيا ولهذا كان يطلق عليها قبل ذلك اسم "استراليشيا" (AUSTRALISIA).

وهذه الكلمة استراليشيا تتكون من كلمتين " (استرال) " .. ومعناها كما يقول قاموس أكسفورد البلاد الجنوبية و "(اشيا)" ومعناها " آسيا ".

مساحة آسيا ٤٤,٤٢٥,٠٠٠ أربعمائة وأربعون مليونا وأربعمائة وخمسة وعشرون ألف كيلو مترا مربعا ..

كما أن عدد سكان آسيا ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف مليون نسمة ..

كما أن أكثر الأديان انتشارا فى آسيا هو الاسلام ويبلغ عدد أتباعه سبعمائة مليون نسمة.

أما الدين الثانى فى آسيا فهو الهندوسية ويبلغ عدد أتباعها حوالى ٤٦٠ أربعمائة وستين مليونا.

أما الدين الثالث فى آسيا فهو البوذية ويبلغ عدد أتباعها حوالى ٢٤٧ مائتين وسبعة وأربعين مليونا.

أما الدين الرابع فهو الكنفوشية ويبلغ عدد اتباعها ١٥١ مائة وواحد وخمسين مليونا.

أما الدين الخامس فهو الشنطوية ويبلغ عدد أتباعها ٣٢ اثنين وثلاثين مليونا.

أما الدين السادس فهو الطاوية ويبلغ عدد اتباعها ٢٠ عشرين مايونا.

كما يبلغ عدد الدول الاسلامية أى التى يمثل سكانها أغلبية اسلامية فى آسيا اثنتين وعشرين دولة، يدخل فيها الدول الاسلامية العربية الواقعة شرق قناة السويس حتى ماليزيا وأندونيسيا.

وقد سلك الاسلام ثلاثة طرق فى الدخول إلى آسيا :

أولا : طريـق الحـرير أو SILKROAD بدءا من تركيا والعراق ومرورا ببلاد فـارس فالولايات الاسلاميـة فـى آسيـا الوسطى فتركستان الشرقيـة أو سنكيبيانج فى بلاد الصين .

ثانيا : طريق جدة واليمن حيث كان للتجار وبخاصة الحضارمة دور كبير فى انتشار الاسلام فى بلاد الملايو والجاوة مرورا بمضيق "(مالقة)" ..

ثالثا: طريق جنوب الهند " (ماليبار) " إلى سرى لانكا والملاديف ، والملايو ...

* * *

فى اندونسيا..
وماليزيا
أو بلاد شركة
الأولياء التسعة ..!

في بلاد شركة الأولياء التسعة !

*** *** ***

نحن الآن فى طريقنا الى اندونسيا . وماليزيا . كان يطلق على هذه المنطقة قديما جزر الهند الشرقية . وأحيانا كان يطلق عليها اسم ماليزيا .. فاللغة الملايوية هى القاسم المشترك بين جميع شعوب هذه المنطقة . بل كانت الفلبين قبل أن يطلق عليها هذا الاسم الذى أطلقه الاسبان تعرف باسم عذراء ماليزيا . !

وهناك روايتان عن كيفية وصول الاسلام الى هذه المنطقة .

رواية اوروبية تقول : ان الاسلام أنتشر فى هذه المنطقة فى القرن السابع الهجرى .

أما الرواية الثانية وهى الرواية الاسلامية فتقول ان الاسلام وصل الى هذه المنطقة فى فجر الدعوة الاسلامية وهذه الرواية الاسلامية هى الى الأقرب الى الصحة والعقل للاسباب الاتية .

أولاً : أن الاسلام وصل الى الصين فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه . ولما كان الوصول الى الصين يتم عن طريق اندونسيا وماليزيا . فمن البديهى أن يكون أهل هذه البلاد قد عرفوا الاسلام قبل أن يعرفه أهل الصين .

ثانيا : أن علاقات أهل هذه البلاد بالعرب قبل الاسلام - كانت قائمة بسبب التجارة وتبادل الزيارات وبخاصة بين عرب حضرموت فمن البديهى والمنطقى أن العرب - بعد الاسلام - قد حملوا الاسلام الى هذه البلاد .

ثالثا : عثر على وثائق صينية تثبت انتشار الاسلام فى هذه البلاد فى الوقت الذى انتشر فيه الاسلام فى بلاد الصين .

رابعا: تقول الوثائق الاندونسية : ان اسطولا اسلاميا وصل إلى مملكة " سرى بجايا " سنة ٩٧هـ وأن أول ملك اسلم هو ملك مملكة " سرى بجايا " .

وهناك رواية عجيبة عن كيفية انتشار الاسلام فى هذه المنطقة ذكرها " توماس ارنولد " فى كتابه الدعوة الى الاسلام [1] .

تقول هذه الرواية :

قدم عالم عربى يدعى الشيخ عبد الله ، الى قويدة ، وزار الراجه ، وسأل عن ديانة البلاد ، فأجابه الراجه .

"دينى ودين رعيتى كلها ، هو الذى وصل الينا من الشعب القديم ، اننا جميعا نعبد الاصنام " .

فقال الشيخ : " اذن أما سمعتم جلالتكم قط شيئا عن الاسلام ، والقران الذى أنزله الله على محمد ، ونسخ به كل الديانات الأخرى ، وتركها فى حوزة الشيطان " .

فقال الراجه : " أذن أرجو منك ، ان كان حقا ما تقول ، أن تعلمنا هذا الدين الجديد ، وتهدينا بنوره " .

وتهلل الشيخ عبد الله تهلل الحماسة المقدسة لسؤال الراجه اياه هذا السؤال ، واحتضن الشيخ الراجه ، ثم فقهه فى الدين .

ولما اقتنع الراجه بتعاليم الشيخ ، أرسل فى طلب آنية الارواح (التى طالما عكف عليها) وأفرغ ما فيها على الارض بيديه ، بعد ذلك أمر أن تحضر كل الاصنام التى فى قصره ، فجمعت بين يديه أكوام من أصنام الذهب والفضة والطين والخشب ، وكسرها الشيخ عبد الله قطعا بسيفه وبفأسه ، وأحرقت الاجزاء فى النار .

وطلب الشيخ الى الراجه أن يجمع كل نساء القلعة والقصر . فلما قدمن جميعا فى حضرة الراجه والشيخ ، تعلمن عقائد الاسلام . وكان الشيخ مهذبا لطيف المعشر ، كما كان جذابا رقيقا فى لغته ، حتى انه جذب اليه قلوب ساكنى القصر .

---

(١) الدعوة إلى الاسلام ص ٤١٢ .

ولم يلبث الراجه أن أرسل فى طلب وزرائه الاربعة المسنين . ولما دخلوا البهو ، استولى عليهم الدهش حين رأوا شيخا يجلس الى جوار الراجه . فأبان لهم الراجه المهمة التى جاء من أجلها هذا الشيخ . وعندئذ أظهر الزعماء الأربعة استعدادهم للاقتداء بجلاته ، وقالوا .

" اننا نأمل أن يعلمنا الشيخ عبد الله كذلك " . ولما سمع هذا الأخير هذه الكلمات ، احتضنهم ، وقال لهم انه يأمل ، لكى يبرهنوا على اخلاصهم أن يستدعوا شعبهم بأسره الى بهو الاستقبال ، ويحضروا معهم كل الاصنام التى تعودوا أن يعبدوها ، والأصنام التى انتهت اليهم عن طريق آبائهم الأولين .

وأجيب الشيخ الى طلبه ، وأحضرت فى الوقت المحدد كل الأصنام التى كان الشعب يحتفظ بها ، وهناك حطمت وحرقت وأصبحت رمادا تذروه الرياح . ولم يأسف واحد منهم على ما أصاب آلهتهم الزائفة من الخراب والدمار ، وكانوا جميعا فرحين مستبشرين بدخولهم فى حظيرة الاسلام .

ثم سأل الشيخ عبد الله الوزراء الأربعة :ما اسم أميركم ؟ قالوا : " اسمه پرا أونج مها وانجسا " . قال الشيخ :

" فدعونا نستبدل باسمه اسما بلغة الاسلام " .

وبعد تبادل الرأى ، طلب الراجه نفسه أن يحول اسمه الى السلطان مزلف الشاه ، لأن الشيخ قد أكد أنه اسم مشهور وأنه ورد فى القرآن [١] .

وقد بنى الراجه المساجد فى البقاع الآهلة بالسكان ، وأمر بأن يلحق بكل مسجد أربعة وأربعون شخصا على الأقل من السكان ، على أن يكونوا جماعة تقيم فى المسجد وتعكف على العبادة ، ومن ثم بنيت المساجد ، وألحقت بها طبول كبيرة تدق لدعوة الناس الى الصلاة الجماعة . وظل الشيخ عبد الله ، وقتا ما ، يفقه الناس فى الدين ، وانثالوا عليه من

(١)مزلف لم ترد فى القرآ ن بهذه الصيغة ، وربما كانت الإشارة الى قوله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ (سورة ٢٦ آية ٩٠) .

جميع سواحل قويدة ومقاطعاتها وما جاورها ، وتعلموا على يديه صيغ الاسلام وشعائره .

وقد وصلت أخبار تحول سكان قويدة الى الاسلام على يد الشيخ عبد الله إلى " أتجيه " ، فأرسل اليهم سلطان هذه البلاد ، ورجل يدعى الشيخ نور الدين وهو داع عربى ، كان قد قدم من مكة ، بعض كتب ورسالة

وهذا نص الرسالة :

(هذه الرسالة من سلطان أتجيه ونور الدين إلى أخينا سلطان قويدة والشيخ عبد الله اليمنى الذى يقيم الان فى قويدة أرسلنا إليكم كتابين من كتب الدين ، حتى تتأكد دعائم العقيدة الإسلامية ، ويتعلم الناس واجباتهم وشعائر دينهم تعلما كاملا .

وأرسل الراجه والشيخ عبدالله رسالة يردان فيها على هذه الرسالة ويشكر انهما على ما أنعما به عليهما . ومن ثم ضاعف الشيخ عبد الله جهوده وبنى زوايا فى كل القرى على اختلافها بالإضافة الى ما فيها من المساجد ، ليكون الانتفاع عاما ، وعلم الناس كل أحكام الدين وشعائره . وكان الراجه وزوجته ملازمين للشيخ ، يتعلمان قراءة القرآن . وبحث هذان الزوجان عن إمرأة من نسل الراجات لتكون زوجة للشيخ .

ولكن لم يرغب أحد فى أن يهب ابنته زوجة للشيخ ، لأن هذا الرجل المقدس كان يوشك أن يعود الى بغداد ، وأنه كان لا ينتظر إلا أن يفرغ من تعليم شخص تعليما كافيا يقوم مقامه بعد مغادرته البلاد . وكان للسلطان فى ذلك الحين ثلاثة أولاد : راجه معظم شاه ، وراجه محمد شاه ، وراجه سليمان شاه ، أسدى هذا الشيخ النصح اليهم بأن يصطنعوا الصبر والأناه وألا يسرع اليهم الغضب فى معاشرتهم عبيدهم والطبقات الدنيا ، وأن ينظروا بعين الشفقة والعطف الى عباد الله أجمعين ، والى الفقراء والمعوزين .

* * *

لقد كان التجار والدعاة طليعة المجاهدين فى نشر الإسلام فى بلاد الشرق الاقصى . ويقول المؤرخون لحركة انتشار الإسلام فى هذه المنطقة أن هؤلاء الدعاة والتجار كانوا يعتمدون فى نشر الدعوة الإسلامية على وسائل ثلاث :

أولا: تعلم لغة الشعوب الشائعة ولهجاتها المختلفة .

ثانيا: الزواج من بنات هذه الشعوب وإقامة علاقات أسرية وثيقة .

ثالثا: شراء العبيد والأرقاء ثم اعتاقهم بعد تعليمهم عقائد الإسلام وشعائره .

لقد كان هؤلاء التجار والدعاة أبعد نظرا وأكثر مرونة من دعاة هذا العصر . ! ذلك لأن تعلم اللغة يعنى الوصول الى العقول والقلوب فى أقرب فرصة ، كما أن التزوج أو المصاهرة . يربطان بين هؤلاء الدعاة وشعوب هذه المنطقة برباط قوى من الاخاء والمحبة ، كما أن شراء العبيد ثم اعتاقهم يعنى التضحية التى لا تنتظر ثوابا دنيويا من أحد ، كما يعنى الربط بين الإسلام والحرية فى صورة عملية غير مسبوقة فى تاريخ البشرية التى لم تعرف مثل هؤلاء الدعاة فى أى دين من قبل .

لقد سمى "جبل الأولياء" فى السودان بهذا الاسم . حيث قدم من جنوب الجزيرة العربية مجموعة من الدعاة الذين عاشوا وماتوا متجردين من حب الجاه أو الشهرة ، أو التنافس على مكاسب دنيوية أو الطمع فى منصب أو وظيفة كان همهم الأول الدعوة إلى الله وفى سبيل هذه الدعوة هاجروا من أوطانهم ليموتوا غرباء فى أرض الله الواسعة .

ان الذين تركوا بصماتهم فى تاريخ انتشار الإسلام فى اندونيسيا وماليزيا كانوا مجموعة من هؤلاء الدعاة ، وكان عدد هؤلاء الدعاة تسعة وبسبب ما رآه الناس من تصرف هؤلاء الدعاة ، وتجردهم لله ، وإخلاصهم وتفانيهم فى الدعوة الى الله أطلقوا عليهم

اسم " شركة الأولياء التسعة " أو "والى سونجو WALY SONGO " كما تقول اللغة الملايوية .. ! .

* * *

فى الفليبين يطلق على المسلمين كلمة "مورو" وهى كلمة استخدمها الاسبان ضد المسلمين فى مرحلة الطرد الجماعية التى أعقبت خروج المسلمين من بلاد الاندلس ، ونقلها الاسبان معهم فى أى مكان ذهبوا اليه فى أقصى الشرق وهذه الكلمة " مورو " تذكرنا أيضا بما اصطلح عليه الاورربيون فى عصر الخلافة العثمانية حيث كانوا يطلقون كلمة " تركى " على أى مسلم ..

ان عدد المسلمين فى " الفلبين " أكثر من ثمانية ملايين يمثلون الأغلبية الساحقة فى جزر " سيبوتو" ، و "تاوى تاوى " و " منيداناو " ، و" بالا وان" و "تابول " و "صولو" كما أن معظم ثروات الفليبين توجد فى المناطق الإسلامية كما ان عدد المسلمين فى الفليبين واندونسيا وماليزيا تجاوز المائتى مليون وكما يقول : " بيرينج " المبشر الامريكى . لم تثبت حاله واحدة ، لارغام أحد على اعتناق الإسلام . والزعم بأن الاكراه أو القهر كان وسيلة للإيمان . يقال عن أى دين غير دين الاسلام ..

عندما وصل الاسبان الى جزر الفلبين وجدوا هناك ممالك إسلامية راسخه ، كانت الحملة الأسبانية بقيادة ماجلان . فغامر بالدخول فى حرب ضد الولايات الإسلامية . فدارت رحى معركة رهيبة سقط فيها ماجلان صريعا على أيدى المجاهدين المسلمين الذين سارعوا الى خوض معركة مقدسة دفاعا عن الحرية والعقيدة .

وحين يئس الاسبان من الانتصار طالبوا بجثة " ماجلان " لأخذها معهم فى طريق العودة . ولكن هذه الجثة كانت تلاشت فى أفواه الكلاب والوحوش الجائعة . !!!

ان "مانيلا " اسمها فى الأصل "أمان الله" .. كما أن " كيرالا " فى جنوب الهند اسمها الأصلى "خير الله " .

***

أن عدد الجزر التى تتكون منها اندونسيا حوالى ١٣٦٦٠ ثلاثة عشر ألف وستمائة وست وستين جزيرة .

كما أن تاريخ الإسلام فى هذه المنطقة ملئ بالمثل والنماذج الطيبة.كما امتزج الإسلام في هذه الاقطار ببعض العادات والتقاليد القديمة فأمام لوحة محفورة على أحد جدران قصر السلطان "خليفة الله عبد الرحمن هامنجومونو " وقفنا نستمع الى الدليل وهو يحكى قصة اللوحة ويقول [١]:

نحن مسلمون .. ولكن فى أعماقنا ظلال من الهندوكية التى كان يؤمن بها أجدادنا .. وهم يحكون أن " يوديستا " كان ملكا طاغية من " البانداوا " ، وكان يطل شامخا في زهو من فوق عرشه ، وقد امتلأت رأسه بهدير صاخب وكأنه يقول لنفسه:" أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض .. أنا أعلى من جميع الكائنات .. أنا الكل فى الكل .. أفعل ما أريد .. وأصنع كل ما يخطر لى .. لأنى أنا حقيقة الحقيقة .. أنا يوديستا " .

واقترب منه رجل صالح ، ينصحه أن يخفف من غلوائه ويهديه الى الطريق السوى . ولكن الطاغية دفعه فى خشونة وزراية . وضرب رأسه بقوة وهو يهتف فى سخرية :

- اغرب عن وجهى .. أسرع .. إمض فى طريقك عليك اللعنة .. والتفت اليه الرجل المقدس وهو مسطوح على الأرض ينزف دما ، وقال فى صوت هادئ :

الحق أقول لك .. سأذهب سريعا أما أنت فستبقى .. ولسوف تهيم على وجهك فى الارض حتى يغفر لك الرب الذى فى السماء .. وحتى تدرك أن هناك من هو أكبر منك وأعظم .. وأن قدرك مكتوب فوق رأسك الذى تشمخ به على العالمين .. !

(١)مجلة العربى .

ومنذ تلك اللحظة ، انصبت اللعنة على يوديستا ، فقد أسلم الرجل الروح وارتفع سريعا .. أما هو فقد بقى طويلا .. طويلا جدا .. لمئات كثيرة من السنين .. يتمنى أن يموت ولا يستطيع ! ! ! .

والتقى اخر الأمر برجل نزل بالبلاد قادما من الارض المقدسة ، هو أول الدعاة المسلمين،وأحد أولياء الله التسعة المشهورين ، اقترب منه متوسلا :

أيها الرجل الصالح .. أريد أن أموت .. وقد بلغت من الكبر عتيا ولكن مقدر على ألا أموت حتى أتمكن من قراءة ما هو مكتوب فوق رأسى .. فهلا استطعت أن ترسلنى الى الموت ؟

وأحنى الولى الصالح رأس يوديستا وقرأ ماهو مكتوب ثم قال يخاطبه :

سأقرأ وعليك أن تردد خلفى . الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا اله إلا الله .. وأشهد أن محمدا رسول الله ..

وعندما قالها يوديستا من أعماق قلبه .. انتهت عذاباته .. واستطاع أن يموت . !

وكما يقول الرحالة الإيطالى " ماركو بولو " ان للاسلام فى هذه المنطقة سحرا لاتشعر بمثله فى أى مكان آخر من الدنيا .. !

وقد زرت هذه البلاد كلها اكثر من مرة .. وكانت آخر هذه الزيارات الى " بروناى " . وماليزيا . والفليبين واستراليا .

***

فى ماليزيا " لا تشعر بالغربة .. وبخاصة . فى الولايات البعيدة عن العاصمة " كوالا لمبور ". فالعاصمة " كوالا لمبور ؛ كأى عاصمة فى العالم . يتصارع فيها المال والسياسة . ! وتتصارع فيها المصالح تصارع الديكة المتوحشة . ولكن أخرج الى ولاية " كلينتان" Kelantan على سبيل المثال والى عاصمتها " كوتابارو Kootabahro بالذات .. هناك ستجد نفسك فجأة فى مدينة القاهرة . ! فالقرآن الكريم تتردد تلاوته فى كل مكان .. بل

أحيانا تسمع أغنيات أم كلثوم أو عبد الوهاب . ! فاللغة العربية منتشرة هناك كما أن هناك ثلاث كليات لتعليم أصول الدين والشريعة واللغة .. وقد سافرت الى " كلينتان " قبل خمس عشرة سنة للاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات لافتتاح هذه الكليات .

لم أشعر أننى فى أقصى الشرق..!وجدت نفسى فجأة فى حى الازهر والحسين .! كل ما حولك ومن حولك ينقلك عبر " الخاطر" الى القاهرة المحروسة..ويؤكد لك انك لم تغادر.! حى السيدة زينب أو حى الجمالية !.

كنا ننزل ضيوفا على حكومة الولاية .. لم تكن هناك فنادق فخمة .. بل توجد " شاليهات " صغيرة تقع داخل غابة كثيفة تمتد عدة أميال داخل بحر الصين الجنوبى . اسمها شاطئ الغرام .. !

ولأننى من عشاق التاريخ والجغرافيا فقد خطر ببالى أن هذه المنطقة كانت أصلح مكان لنزول القوات اليابانية فى الحرب العالمية الثانية .

قلت للوزير : داتو محمد عسرى - رحمه الله ..

اعتقد أن هذا المكان شهد معارك طاحنة بين اليابانيين والانجليز . !

فقال الوزير:لقد دارت معركة طاحنة فعلا فى هذا المكان قتل فيها الالوف .!

- يا خبر اسود ! قلت هذا محدثا نفسى . ! اذن فألوف العفاريت ستطاردنا نهارا وليلا .. ولن تجد نفسى الى الراحة سبيلا . !

قلت هذا باحساس طفل القرية الذى كان يسمع أقاصيص العجائز عن عفاريت القتلى . ! وعن " الجنيات " اللاتى يخرجن من نهر النيل الى الشاطئ ليلا . !

لم أنم نوما مريحا طوال ثلاث ليال قضيناها فى شاطئ الغرام . ! أو شاطئ العفاريت الإنجليزية واليابانية التى تنتشر فى كل مكان . !!!

وكيف أنام بعد أن تجمعت كل عفاريت الدنيا فى مخيلتى . !

ان الجهل .. أحيانا .. قد يكون نعمة .. ففى الوقت الذى كان فيه " شخير " بقية الوفود يمتزج بصخب أمواج بحر الصين .. كنت الوحيد الذى ينتظر دخول عشرة من عفاريت الإنجليز . واليابان . !

ألم يقل الشاعر العربى قديما .

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله

واخو الجهالة بالشقاوة ينعم .. !!!

سألت الوزير مرة ثانية

لكنى لماذا سمى هذا المكان بشاطئ الغرام ؟ فقال رحمه الله :

فى ربيع كل عام تتحرك آلوف السلاحف البحرية الضخمة من شاطئ استراليا على بعد حوالى ألفى ميل .. تتحرك إلى هذا المكان لإقامة حفلات الزواج .. زواج السلاحف لا زواج المشايخ . !!

وبعد أن تضع السلاحف بيضها فى هذه المنطقة تعود مرة ثانية الى الشواطئ الإسترالية .. ثم يتكرر هذا الزواج والرحيل بين السواحل الماليزيه والإستراليه فى فصل الربيع من كل سنه .. !!

***

فى قريتنا .. كانت هناك بئر مهجورة يقول عنها الفلاحون أن احدى الجنيات تسكنها .. ولا يقترب أحد من البئر حتى تجذبه هذه الجنية اليها .

كنا نخاف ونجرى عند مرورنا قريبا من هذه البئر .. ومنذ سنوات ذهبت الى القرية فى مناسبة طارئه .. وحين مرورى قريبا من " بئر الجنية " أردت أن أسأل عنها وأطمئن عليها . !!

فإذا بى أفاجأ .. أن " البنى آدم " قد استولوا على البئر وأن " الجنية " هربت من " بنى آدم " الذى فاق الشياطين وفاق الجن !!!.

***

فـــى اليابـــان

أو

بلاد الشمس المشرقة

في اليابان أو بلاد الشمس المشرقة

*** *** ***

فى فندق " جبل العطر The Fragrant بمدينة " بكين " التقيت برجل أعمال يابانى حضر إلى الصين فى مهمة تجارية خاصة بإحدى شركاته . لقد ظن الرجل في بادئ الأمر أننا من الخليج وأننا فى مهمة خاصة لبيع النفط أو الزيت . !

وحين علم أننا من مصر . ولا صلة لنا بالزيت أو النفط ! انفجر من شدة الضحك . وانحنى بجسده ورأسه حتى كاد يسقط على الأرض !

ثم نهض قائلا : جومين ناساى .

أى معذرة وعفوا .. !

لقد بدأت معرفتى باليابان فى فترة مبكرة من العمر كانت الحرب اليابانية الصينية فى عامها الثانى .. لقد بدأت هذه الحرب عام ١٩٣٧م وكانت هناك صحيفتان تصلان الى القرية هما صحيفة المصرى والجهاد .

فى الصفحات الأولى لجريدة المصرى كنت أرى صورا لجنود الجيش اليابانى وهم يقتحمون مدنا صينية بسهولة ولأول مرة أسمع عن بكين وكانتون وشنغهاى .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية ، وانضمت اليابان الى دول المحور وانطلق الجيش اليابانى كاعصار مدمر نحو الهند الصينية وتايلاند أو مملكة سيام ، وبلاد الملايو ، واندونسيا ، وبخاصة بعد تدمير الاسطول الأمريكى فى بيرل هاربر (ديسمبر ١٩٤١) ..

وكان سقوط سنغافورة حدثا مدويا حين استولى الجنرال اليابانى "ياماشينا" على هذه القاعدة البحرية البريطانية بخدعة عسكرية أذهلت العالم كله .

وفى الأزهر الشريف فى السنة الثانية الإبتدائية كان لنا استاذ اسمه الشيخ مصطفى الصاوى ، والد الكاتبة الإسلامية المرحومة أمينة الصاوى كان هذا الشيخ يصدر جريدة اسبوعية اسمها وطنى أو بلادى وكانت كل صفحة فى هذه الجريدة تفيض حبا وتقديرا لليابان ، وكان يتغنى بانتصارها التاريخى الرائع على الجيش البريطانى ، كما كان يتغنى بانتصارها فى مطلع هذا القرن على الاسطول الروسى .

كما كان يردد كثيرا قصيدة حافظ إبراهيم عن فتاة اليابان التى تتحدث عن نفسها والتى يقول مطلعها :

لا تلم كفي إذا السيف نبا — صح مني العزم والدهر أبي

أنا يابانية لا أنثني — عن مرادي أو أذوق العطبا

هكذا الميكاد قد علمنا — أن نري الأوطان أما وأبا

***

وفى عام ١٩٦٢ فوجئت بطلب من الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - وكنت فى هذا الوقت أعمل سكرتيرا فنيا فى مكتبة فوجئت به يطلب منى تدريس علوم الدين واللغه لعدد من الطلبة اليابانيين وكانت المفاجأة .. أن هذه المجموعة كانت تشمل طلبة من مختلف أقطار آسيا وبخاصة من تايلاند وبورما ولاوس وكمبوديا ، وطلبة أيضا من غرب أفريقيا .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ أول اتصال عملى وعلمى وشخصى مع الإسلام والمسلمين فى اليابان .

فكيف وصل الإسلام الى اليابان ..

أو بلاد الشمس المشرقة .. كما كانت تعرف فى غابر الزمان ..

تقول أحدى الروايات التاريخية :

ان أول لقاء بين الإسلام واليابان حدث فى نهاية القرن التاسع عشر

عندما زارت إحدى البواخر الحربية العثمانية - أيام السلطان عبد الحميد - زارت موانى اليابان زيارة مجاملة .. وفى أثناء عودة هذه البارجة تحطمت على صخور احدى الجزر اليابانية مما أدى الى وفاة الكثير من بحارتها . أما الذين نجوا من هذا الحادث فقد قدمت اليهم الحكومة اليابانية سفينة خاصة حملتهم الى " (إسلامبول) " عاصمة دولة الخلافة .

وقد أعقب هذا الحادث انشاء أول قنصلية يابانية فى بلد مسلم .

كما تقول هذه الروايات أيضا :

ان امبراطور اليابان طلب من السلطان عبد الحميد ارسال طائفة من العلماء والدعاة لنشر الاسلام فى أنحاء الجزر اليابانية .. غير أن السلطان عبد الحميد لم يجد العلماء الأكفاء لهذه المهمة المقدسة . !

وعندما قامت الحرب بين اليابان وروسيا فى بداية هذا القرن وبعد هزيمة الروس [1] هزيمة منكرة على أيدى اليابان .. لجأ بعض المسلمين الروس الى اليابان وكان منهم الداعية الكبير عبد الرشيد ابراهيم الذى كان على علاقة بالجنرال "أكاشى" رئيس أركان حرب القوات المسلحة اليابانية ، وقد أسلم الكثيرون على أيدى الشيخ عبد الرشيد ، وكان من أسلموا على يديه هم النواة الأولى لأول مجتمع إسلامى فى هذه الجزر .

ويقول اليابانيون :

ان أول من أسلم من اليابانيين رجل اسمه " شوكو أريجا " وقد سمى نفسه بعد ذلك " أحمد أريجا " .. كما أن أول من أدى فريضة الحج من اليابانيين " عمر ياما أوكا " ، وكان ذلك فى عام ١٩٠٩م .

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى..وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ..دخل كثير من اليابانيين فى الاسلام وبخاصة بعد أن تعرفوا عليه أثناء إحتلالهم لاندونيسيا وماليزيا فى الحرب العالمية الثانية ، وحين رجعوا الى

---

(١) سنة ١٩٠٥م .

بلادهم بعد انتهاء هذه الحرب كان أول ما فكروا فيه انشاء المساجد ، وتكوين جمعيات إسلامية لرعاية شئونهم الروحية والثقافية .. كما قام أشهر علمائهم الحاج "عمر ميتا" بترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وقد زرنا هذا الداعية المسلم فى مستشفى طوكيو أثناء زيارتنا لها لحضور افتتاح المبنى الجديد للمركز الاسلامى .

ولكن المفاجأة الكبرى التى فاجأتنا فى طوكيو كانت عن أول مصرى يصل الى اليابان كداعية إسلامى فى سنة ١٩٠٥م .

وكانت المفاجأة الأعظم أيضا : أن يقرر مسلمو اليابان بأن هذا الرجل لو استمر فى اليابان لتحولت اليابان الى دولة إسلامية . !

فهل سمع أحدكم بعظمة هذا الرجل ؟ أو بالعمل العظيم الذى قام به هذا الرجل ؟ أو بهذه الرحلة الفريدة التى قام بها هذا الرجل ؟

هذا الداعية اسمه " الشيخ على أحمد الجرجاوى " وهو صحفى مصرى سافر - على حسابه - الى اليابان فى رحلة شاقة وشيقة لنشر تعاليم الدين الحنيف وقد سجل هذا الصحفى أحداث رحلته هذه فى كتب سماه " الرحلة اليابانية " ولكن .. أين يوجد هذا الكتاب ؟ وكيف يمكن الحصول عليه بعد تسعين عاما تغير فيها كل شئ فوق هذا التراب ؟ ..

لقد أتجهت على الفور الى المكتبة الأزهرية القديمة فكانت مفاجأة أخرى جديدة فقد عثرت على كتاب آخر يحمل الاسم نفسه ولكن مؤلف هذا الكتاب كان مفاجأة أخرى .. انه الأمير " محمد على " آخر (ولى عهد) للأسرة الملكية فى مصر ..

كان بين الرحلتين فارق زمنى مقداره أربع سنوات . فقد تمت رحلة الشيخ على الجرجاوى سنة ١٣٢٥ هجرية الموافقة لسنة ١٩٠٦ ميلادية بينما قام الأمير محمد على برحلته سنة ١٣٢٩ هجرية الموافقة لسنة ١٩١٠ ميلادية ، وبينما كانت رحلة الشيخ " على " إسلامية مائة فى المائة كانت رحلة الأمير (محمد على) سياحية مائة فى المائة..

يقول الشيخ فى سبب قيامه بهذه الرحلة :

" ... من الناس من يخالف الأسفار فى سبيل الاتجار وانماء الثورة ومنهم من يضرب فى الارض ويقطع الطول منها والعرض . منقبا فى مجاهلها مفتشا فى مناكبها عن غامر أو معدن يكتشفه . ومنهم من يعاشر الأمم المباينة له فى الجنس والدين والعادة فينقل الى ساسة الأمم ومدبرى الممالك ما لا غنى لهم عنه حيال وظيفتهم فى المجتمع الإنسانى .

ومنهم من يتحمل ألم الغربة ولوعة فراق الأهل فى سبيل طلب العلم والاستنارة بنور العرفان ، ومنهم من يجوب القفار ، ويركب البحار لاكتشاف جيل من الناس لم يكن قبل معروفا ، ومنهم من ينتقل بين الشعوب العريقة فى الهمجية والتى لا دين لها لنشر تعاليم دينه وأصول مذهبه غير مبال بما يعترض طريقه من أنواع الخطر ، وصنوف وعثاء السفر .

فهذه كلها غايات حميدة ، وبواعث شريفة .. تبرر العمل على الوصول اليها ، والحصول عليها ، وان تفاوتت أقدارها من حيث الفائدة العائدة منها عل الانسان .

هذا وقد كنت اقرأ فى الصحف المحلية ما تنقله من الأنباء المتواترة بانعقاد مؤتمر دينى فى بلاد اليابان بأمر " الميكادو " [1] الحاكم على تلك البلاد وتوجه البعثات الدينية من المسلمين وغيرهم لحضور هذا المؤتمر الذى تنحصر أعماله فى البحث فى أصول كل دين فكنت أتابع الكتابات فى كثير من أعداد جريدتى " الارشاد " حاضا على تأليف وفد من أفاضل العلماء المصريين للاشتراك مع الوفود الأخرى لحضور جلسات هذا المؤتمر ونشر التعاليم الدينية الإسلامية بين أمة الشمس المشرقة .

إذ مسلمو مصر أولى بأن يحوزوا هذه الفضيلة لوجود الأزهر بين ظهرانيهم وهو المدرسة الدينية الوحيدة فى العالم الإسلامى التى يقصدها الطلاب المسلمون من كل قطر ومن كل بلد .

(١) الميكادو هو الاسم الملكى لامبراطور اليابان .

كما أن غيرى من أرباب الصحف الإسلامية ضم صوته الى صوتى ولكن لما لم أجد فى الهمم انبعاثا ولا فى العزائم نشاطا ، طفقت أبحث عمن يرافقنى من إخوانى المسلمين فى الرحلة الى اليابان للدعوة الى الإسلام فكان ذلك أندر من الكبريت الأحمر ! .

وبينما أنا كذلك وإذا برجلين فاضلين من علماء وحكماء بل وفلاسفة هذا العصر الحاضر وفقهما الله لى أن يذهبا معى إلى هاتيك البلاد ..

أحدهما صاحب الفضيلة العلامة الشيخ أحمد موسى المصرى المنوفى أمام المسجد الكبير بكلكته [1] عاصمة الهند ، وثانيهما من أفاضل المملكة التونسية فى الأصل (لم يرد ذكر اسمه) هذان الفاضلان كانا خاطبانى فى هذا الخصوص ورغبا فى مرافقتى الى اليابان لهذا الغرض الشريف والمقصد المنيف وقد قالا فيما خاطبانى به آنفا لا نقصد إلا وجه الله الكريم خدمة الدين القويم .

ولم أكد أسمع كلامهما هذا حتى أعلنت عزمى على صفحات الجرائد العربية اليومية والاسبوعية التى نقلت عنها جرائد الاستانة والهند والأفغان وقازان وغير ذلك من الجرائد السيارة .

وفيما جاء فى إعلانى انى لا أقبل درهما واحدا من أحد من الناس على سبيل المساعدة المادية حتى ولا قيمة اشتراك فى جريدتى .

وهذه يدى رهينة بذمتى أنى لم أكن أردت باعلانى هذا شهرة وحسن سمعة وجميل ذكر ، ولكن توقعت من بنى وطنى اتهامى بأنى اتخذت هذه الرحلة لصيد الدرهم والدينار لا العمل لوجه الله الكريم فأردت نفى ما عساه يعلق بأذهانهم من اتهامى بهذه التهمة .!!!

***

وكتاب " الرحلة اليابانية " ليس كغيره من الكتب من حيث تقسيمها

(١) (كلكتا) ليست عاصمة الهند فالعاصمة هى نيودلهى .

الى أبواب وفصول انه أشبه بالمذكرات اليومية للزعماء والمشاهير ، وفى عرضنا لهذا الكتاب - أو المذكرات - سنكتفى باشارات هامة الى بعض المواقف التى تستوجب منا الإيضاح والتفصيل :

يقول (١) المؤلف : "... لما وفدنا الى اليابان ووصلنا طوكيو شاع خبر وصولنا بين المبشرين المسلمين والمسيحيين ، وكان فى طوكيو أحد علماء وفضلاء مسلمى الهند يدعى السيد حسين عبد المنعم وهو شريف النسب ، فجاء الينا وأظهر لنا بشر زائدا وارتياحا من حضورنا الى اليابان وأخبرنا أنه قدم الى هذه البلاد على نفقة بعض أفاضل مسلمى الهند للتبشير بالإسلام وأن له نحو الخمسة شهور وهو متشوق الى من يعضده ويساعده من المسلمين فى نشر لواء الإسلام ولم أجد أحدا ولذلك كان يقاسى متاعب شتى شأن المنفرد فى عمل جليل يحتاج الى معين .

فاتفقنا جميعا على أن نكون يدا واحدة وأن نؤلف جمعية . وفعلا تم الاتفاق وصار هو الخامس لنا .

وبعد هذا الاتحاد والاتفاق قررنا أن نستأجر محلا لسكنانا أولا ، وليكون محلا للجمعية ثانيا ، ثم بعد ذلك أخذنا نبحث عن المحل الموافق وفى أثناء البحث حصل التعارف بين حضرة السيد حسين عبد المنعم وبين رجل يابانى من مشاهير التجار بطوكيو يدعى المسير " جازنيف " وهو على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وطيب النفس وكرم الاخلاق .

وصادف أنه سأل حضرة السيد حسين عن الغرض من أخذ المنزل فعرفه بأننا مسلمون ونريد أن نأخذ منزلا للسكنى وللجمعية فما كان من هذا الرجل الأريحى الا أن طلب من حضرة السيد حسين أن يقابله معنا .

ولما حضر معه قابلنا بالترحيب ولما استقر به المقام طلب منا أن نشرح له قواعد الاسلام ونبين له أمر تفضيله على سائر الأديان ، فكان حضرة السيد حسين يترجم باللغة الانكليزية ما تقرره جمعيتنا .

---

(١) أخبرنى الشيخ عثمان مراد الأزهرى المخضرم أنه ألتقى بشيخ أسمه على الجرجاوى كان يسكن فى شارع (كفر الزغارى) قريب من مسجد الإمام الحسين وكان ذلك فى عام ١٩٤٥ .

فلما وقف هذا الياباني على حقيقة الدين الإسلامي وذاق حلاوته في قلبه فلم يلبث إلا ريثما ان قال اعتبروني من الآن في عداد المسلمين . فلقناه الشهادة وهنأناه على خروجه من الظلمات الى نور الايمان وبذلك حصل لنا كلنا السرور التام واستبشرنا بنجاح الآمال .

وبعد أن أسلم قال لنا إنه على استعداد تام الى كل ما تكلفونني به من المصالح كم انى تبرعت لكم ولجمعيتكم بمنزل هو ملك لى لا أطلب منكم أجرته ما دمتم هنا وهذا كله إكرام لهذا الدين الذى باعتناقى اياه أصبحت أسعد السعداء ... ! " .

".. والذى سهل أيضا علينا هداية القوم الى ديننا القويم أن حالة اليابانيين الطبيعية ساعدت كثيرا على اعتناق الاسلام لانهم قوم عندهم استعداد طبيعى لقبول كل ما يوافق العقل ونفى كل ما يخالفه مهما أثبتوه بجميع أوجه السفسطة المواربه .

وأول دليل على انهم فى استعداد كاف لقبول الأوصاف الصحيحة حبهم لوطنهم هذا الحب النادر المثال لأن من كان هذا لشعور فيه طبيعيا فهو أقرب الى الهدى من الضلال والرشد من الغى .

فلو كان المسلمون أرسلوا وفودهم الى اليابان قبل هذا الأوان واستعملوا هذه الطريقة التى استعملناها لكان المسلمون منهم يعدون بالملايين لا بالالوف .. ؟ !

* * *

أما الذين اعتنقوا الاسلام على أيدينا فبلغ عددهم نحو الاثنى عشر ألف رجل . فلو كان المبشرون المسلمون وفدوا الى اليابان من زمن مديد كما بينت لكان عدد المسلمين أضعاف هذا العدد بكثير ، ومن الذين أسلموا على يدنا كثير من الحكام والتجار وذوى الحيثيات وكثير من الوسط فى الأمة ، وأول من أسلم على يدنا جناب المسيو " جازنيف " ثم "أترالكييو " ، و " انساتليزيو " و " كورفاى" وغيرهم من العظماء الذين لو كتبنا أسماءهم

لاحتجنا الى مجلد ضخم ، ومنهم من لم يرد تغيير اسمه الأصلى ولاتغيير اسم عائلته فعرفناهم ان هذا لاضرر فيه . والذين لهم زوجات تدين بالدين المسيحى لم يردن أن يغيرنه .. فعرفناهم أيضا أن هذا جائر فى الاسلام ، والذين لهم زوجات باقيات على الاعتقادات الفاسدة عرفناهم ان الاسلام يأبى ذلك كل الاباء ، مع أننا وطدنا الأمل بأن المسيحيات وغيرهن سيعتنقن الدين الاسلامى قريبا حيث هن مطبعات محبات لبعولهن . !

* * *

ومما يلفت النظر فى مذكرات هذا الداعية المسلم أن اليابانيين لم يتقبلوا المسيحية بالترحاب والقبول ، فالذين اعتنقوا المسيحية رجعوا بعد ذلك عنها الى نحلة " بوذا " و " كونفشيوس" ، وقد بحث المبشرون عن السر فى هذه الردة الجماعية بعد ما بذلوه وتحملوه فى سبيل المسيحية فى صفوف اليابانيين ..

وقد تعرض الرحالة المسلم لمناقشة هذه القضية فكتب يقول : ".. من المعروف لدى كل سياسى خبير بدخائل السياسة الأوربية أن الغربيين يتخذون الدين وسيلة توصلهم الى مقاصدهم السياسية وقد كانت حوادث الصين وثورة البوكسر أعظم درس لليابانيين فى هذا الخصوص لأن ثورة البوكسر أصلها ناشئ عن الارساليات الدينية المسيحية التى تجاوزت حد الاعتدال فى التبشير بالدين المسيحى حتى أوغرت صدور الصينيين فكان ما كان .

وقد حصلت أوروبا على أغراضها بهذه الوسيلة فصار لها نفوذ فى الصين بل امتلكت فيه بقاعا لم تكن تملكها بأية وسيلة غير الوسيلة الدينية .

***

ومن جميل ما يذكر عن هذا الرحالة أن الشيخ على الجرجاوى عندما قرر السفر الى اليابان لم يتجه اليها مباشرة . بل سافر على ظهر باخرة ايطالية أبحرت من ميناء الاسكندرية الى نابولى فى ايطاليا . ثم أبحرت

الباخرة بعد ذلك عائدة الى ميناء السويس وعدن وكلكتا .. ثم أبحرت بعد ذلك من كلكتا الى يوكوهاما .

يقول الشيخ على : حين كنت فى نابولى بايطاليا ارتديت ملابسى الأزهرية . وبينما كنت أتجول فى الشوارع اذ برجل ينادى بأعلى صوته :

يا محمد يا محمد .. !

فتعجبت أن يكون فى هذه المدينة رجل اسمه محمد .. وحين توقفت عن السير واقترب منى الرجل سألته :

من عرفك أن اسمى محمد ؟ !

فقال له الرجل - وكان من المستشرقين - اننا نعتبر كل مسلم محمدا . !!!!

يقول الشيخ على : بعد السلام والتحية- سألنى الرجل هل أنت من أهل العلم .

فقلت نعم .. فقال لى أنى أستاذ فى المدرسة الشرقية وأحب أن تزور المدرسة لترى كيف نعلم لغتكم العربية فى مدارسنا .. فشكرته على شعوره وطلبت منه مرافقتى الى السفينة لألبس ملابس غير التى كانت على حيث كنت بملابس السفر فلبى طلبى وكنت أحادثه فى الطريق فإذا هو يتكلم بالعربية الفصحى بغير لحن وقد أعطانى (كارتا) باسمه (توليوبزوشى) كما قدمت له (كارتا) أيضا . !

ولما وصلنا إلى المدرسة قدمنى للرئيس والأساتذة فقابلونى بالحفارة وبالغوا فى الاحتفاء بى وكان حضرة المسيو (توليوبزوشى) خاليا من حصة الدراسة فى هذا الوقت فطلب منى اختبار التلامذة فى اللغة العربية وتاريخ العرب ، وهم خليط من الطليان والفرنسويين وغيرهم فاختبرتهم فى فصولهم كلها .. فدهشت لنجابتهم وذكائهم وسرعة أجوبتهم .. الأمر الذى جعلنى أتمنى لو يكون اهتمام مدارسنا المصرية بلغتنا العربية كاهتمام الايطاليين بها !! .

وكان التلميذ إذا تكلم بالعربية لا يلحن قط لانه تلقى اللغة بحسب القواعد النحوية .. فكان يجيد النطق إذا تكلم بجواب عن سؤال أو قرأ فى كتاب . !

ولم يقتصر القوم على تعليم اللغة العربية فقط .. بل أنهم يدرسون لهم تفسير القرآن بطريقة عجيبة .. حيث يحفظ التلميذ السور الصغيرة وبعض الآيات مع فهم المعانى ومعرفة كم من الأيات فى السورة مكية وكم فيها مدنية . فلينظر المصرى العربى الى هذه العناية العظمى بأمر اللغة العربية والقرآن الشريف من قوم ليسوا من العرب ولا ممن يدينون بالدين الاسلامى الحنيف وليقارن بينها وبين ما تلاقيه لغتنا فى نظارة المعارف من عدم الاهتمام بها وليتخذ له بذلك عبرة . !

وأقول معلقا على كلام الشيخ على :

احمد الله يا مولانا الجرجاوى أنك مت قبل أن ترى وتسمع ما جرى للغة العربية وعليها . ليس فى نظارة المعارف وحدها ..

بل وفى الأزهر الشريف أيضا . !!!

* * *

ومن الفرص التاريخية الضائعة .. انتشار الاسلام فى كوريا الجنوبية لقد كان أول تعارف حقيقى بين الاسلام وكوريا الجنوبية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حين تأزمت الأمور بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية .. فأرسلت الأمم المتحدة جيشا مكونا من عدة دول ، وكان من بين هذه الدول " تركيا " التى أسهمت فى هذا الجيش بكتيبة من الجنود الأتراك .

لقد لفت الجنود الأتراك نظر الكوريين وهم .

يرفعون أصواتهم بالأذان ..

وهم يتوضأون استعدادا للصلاة ..

وهم يكبرون قبل بدء الصلاة ..

وهم يولون وجوههم شطر الكعبة ..

وهم يتحرون فى صلاتهم النظافة والطهارة ..

ومن هنا بدأ الكوريون يتعـرفـون على الاسـلام .. ويدخلون فى دين الله منذ ذلك التاريخ .

* * *

إننى لازلت أذكر هذه الزيارة التى قـام بهـا سـفـير كـوريا الجنوبيـة فى القاهرة الى مـشـيخة الأزهر فى عهد الامـام الراحل عبد الحليم محـمـود كنت حاضرا هذا اللقاء بين السفير الكورى والامام الاكبر الذى وجه اليه السفير دعوة رسمية لزيارة كوريا ..

غـيـر أن الامـام الاكـبـر اكـتـفـى بـتـشـكيـل وفـد منى ومن شـيـخ الأزهر الأسبق المرحوم مـحـمـد بيـصـار وكـان آنذاك وكيـلا للأزهر وقد تمت اجراءات السفر بسرعـة . تذاكر الطائرة ، وتأشيرات الدخول ، وقـبل أن نتحرك بأربع وعشرين ساعـة . علم وزير الخارجيـة فى ذلك الوقت إسـمـاعيل فهّمى بخبر هذه الزيارة . فطلب من شيخ الأزهر الغاءها على الفور ! وكان المبرر الذى قدمه الوزير لإلغاء هذه الزيارة أن علاقات مصر بكوريا الشماليـة علاقات مـتينة .. وأن هناك أتفاقات " خاصة " بين الدولتين تقتضى الغاء هذه الزيارة . !

وفى بيت السفير الكورى الجنوبى فى ضاحية المعادى قال لى السفير : لقد فتحنا الباب واسعا أمام الازهر . وتفاءلنا خيرا بزيارتكم لنا فى كوريا . فالناس يريدون المزيد عن المعرفة عن الاسلام بعد أن أعلنت حكومتنا كوريا بلدا مفـتـوحـا أمام علمـاء الأديـان .. فـلا تضيعوا هذه الفرصة التـى قد لا تتكرر فى مستقبل الايام .. وقد ضاعت هذه الفرصة كما ضاعت فرص آخرى فى مختلف الاقطار والبلدان . !

***

فــــى الصيـــــن

مـــــن سنجيانج

الى نهر اللؤلؤ !

في الصين : من سنجيانج . .الى نهر اللؤلؤ !

*** *** ***

إذا كان الامام الشافعى يقول : سافر تجد عوضا عمن تفارقه فقد وجدت هذا " العوض " فى مدينة " كوتابارو " عاصمة ولاية " كلينتان " فى ماليزيا .

فى هذا المكان السحرى الغامض التقيت بالشيخ " الياس " أمام مسجد " أم المسلمين " فى الصين .. !

لقد فاجأنى الشيخ الياس أنه كان عضوا فى البعثة الصينية التى درست فى الازهر على نفقة الملك فؤاد . !

ثم فاجأنى ثانية بأن له أسما اخر فرضته الحكومة الصينية غير اسمه الذى يعرفه به الناس .. !

وقد تأكدت من هذه التسمية " الاجبارية " التى تفرضها الحكومة الصينية على المسلمين عند زيارتنا لنائب رئيس الجمعية الوطنية فى الصين ان اسمه الحقيقى هو " إبراهيم يزدى " أى مسلم . ولكن الحكومة تناديه باسم آخر لا صلة له باسم إبراهيم النبى !

الصورة تكررت مع المترجمين الذين كانوا يرافقوننا فى هذه الرحلة .

كانت المترجمة الأولى اسمها " زينب " وقد اعتقدنا جميعا أنها مسلمة ان لم تكن من محاسيب أم هاشم .. !!

فإذا بنا نكتشف أن لا صلة لها بالسيدة زينب ولا بالسيدة أم هاشم .

بل كانت شيوعية ملحدة لا تعترف بالنار كما لا تعترف بالجنة . !

فقد تركت الحكومة الصينية الحرية لكل مترجم أو مترجمة اختيار الاسم الذى تحبه أو تراه من اللغة التى تترجم منها إلى اللغة الصينية .

فالذى .. أو التى .. تترجم من العربية تختار لها أسما عربيا . والتى تترجم من الانجليزية تختار لها اسما سكسونيا . !

هل هى مجاملة ؟ أم خديعة ؟ أم حيلة من حيل المخابرات التى تستهدف الايقاع بالضحية أو الفريسة . !

نعود مرة ثانية الى مولانا .. أو .. الملا الشيخ الياس .

فقد سألته عن قصة مسجد " أم المسلمين فى الصين " ولماذا أطلق أسمها على هذا المسجد الكبير فى تانكين ؟

وهنا ابتسم الشيخ الياس . وعادت اليه حيوية شاب بالرغم من أن سنه قد بلغ الثمانين . !

قال : ان أحَدَ أباطرة الصين أعجب بجمال فتاة مسلمة فتقدم يطلب الزواج منها فاشترطت عليه " مهرا " تعجب منه الامبراطور ان الفتاة الجميلة المسلمة لم تطلب منه مالا ولا قصرا .. بل طلبت منه بناء مسجد ضخم كما اشترطت عليه تزويد هذا المسجد بالدعاة والأئمة من أهل العلم . !

الامبراطور وافق ! كما أمر بتزويد المسجد بجميع المرافق . ولم يكتف الامبراطور بكل ذلك بل زاد عليه الانفاق على جميع العاملين فى هذا المسجد من العامل . الى العالم .. !

المسجد تحول بعد ذلك إلى منارة .. فقد تضاعف فيه عدد المصلين بعد شهر واحد .. ! ولا يكاد يمر يوم حتى يزيد عدد المصلين فيه عن اليوم السابق . !

لهذا اختار المسلمون اطلاق هذا الاسم على المسجد . وبالرغم مما حدث أيام الثورة الثقافية . فلا يزال هذا المسجد - كما كان - منارة تهدى الحائرين الى طريق الحق ، وتنبه الغافلين والتائبين الى العودة الى الله بعد محنة الالحاد التى أساءت الى كل شئ مقدس وجميل بين طبقات الشعب! .

ان كلمة "الصين" كانت مألوفة ومشهورة فى قريتنا منذ أيام الطفولة :

فقد فرضت الصين وجودها واسمها على كل " طبق " يقدم فيه الطعام .. بل فى كل قدح من القهوة يقدم الى الضيوف الكرام .. !

وكيف لا تكون " الصين فى قريتنا مشهورة .. وفيها العشرات من اساتذة الأزهر وعلمائه الذين يرددون كل يوم تلك الكلمة المأثورة " اطلبوا العلم ولو فى الصين " .

وسواء أكان ذلك قولا مأثورا . أو حديثا نبويا . فقد ترك هذا كله فى خيالنا أثرا يشدنا إلى هذا البلد البعيد من أقطار الشرق وأشعل فينا جذوة العلم المقدسة الى حين التحاقنا بحلقات الدرس والعلم .

ان أسماء مثل "شنغهاى" و" بكين "و" كانتون "و" النهر الأصفر" ،و " نهر اللؤلؤ " ، ونهر "التنين الأسود " و " شاينج كاى شيك " .. لم تكن غريبة على مسامعنا فى هذه الفترة المبكرة من العمر .. كانت أحداث الحرب اليابانية الصينية من أهم الأخبار فى صحيفة " المصرى " اليومية .

ولا زال أذكر حتى هذا اليوم صور المعارك الطاحنة التى كانت تدور بين الصين واليابان فى هذه الفترة من أواخر الثلاثينات فى الصفحات الأولى من هذه الصحيفة . كما لا أزل أذكر التحليلات السياسية لأسباب هزيمة الصين فى هذه الحروب وكيف لعب " الأفيون " دوره فى إنهيار هذه الامبراطورية الشاسعة بملايينها الهائلة . بل كيف حاول الغرب الاستعمارى - بقيادة بريطانيا - تخدير هذا المارد العملاق حتى لا يفيق من نومه لحظة واحة . !

تقول كتب التاريخ [١] :

كان الأفيون يأتى من فارس وبلاد الهند الى التجار الانجليز فى ميناء كانتون .

وقد ذكر الممثل البريطانى [٢] فى كانتون ، فى عام ١٨٣٦م ، أنه كان " أهم جزء من تجارة وارداتنا " .

(١) الشرق الاقصى : دكتور جلال يحى . ص ٥٠ وما بعدها طبعة القاهرة .
(٢) أى المندوب السياسى . أو القنصل العام .

وكان التهريب يتم بتشجيع وبمشاركة من جانب " جمعية التجار" وبعض الموظفين الصينين .

وفى عام ١٨٣٩ رغبت حكومة الصين فى أن تطبق اجراءات المنع بشكل فعال ، ولا شك فى أنها كانت ترغب فى أن تظهر للتجار الانجليز أنها قادرة على حماية بلادها من هذا السم اللعين .

فقررت الحكومة الانجليزية إعلان الحرب على الصين لمحاولتها منع تجارة الأفيون . !

ولقد استمرت "حرب الأفيون" ثمانية عشر شهرا . وبعد أن كان الانجليز قد أملوا فى أول الأمر فى نجاح عملية بحرية - ضرب القلاع الموجودة عند مصب نهر " سى كيانج " اضطروا الى نقل العمليات الى منطقة "يانج تسى" واستخدام فرقة انزال . ولقد استولوا على شنغهاى فى شهر يونيو ١٨٤٢م ، ثم استولوا بعد شهرين من ذلك على نانكين ، دون صعوبة كبيرة .

***

فى زيارتى الأخيرة الى بريطانيا قدر لى أن أنزل فى فندق قديم قريب من جامعة (لندن اسمه " Russel Hotel ") لقد تراءات لى فى أبهاء هذا الفندق وقاعاته صور غلاة الاستعماريين من أمثال " (دزرائيلى) " و"جلادستون " و " تشرشل" وتصورت أن الهجوم على معظم بلاد الاسلام ، والشرق خطط له فى هذا الفندق ، وتصورت الأدميرال "سيمور " الذى أطلق مدافعه على مدينة الاسكندرية يقف شاهرا سيفه على ظهر البارجة قبل التحرك .. !

لقد كان شغفى بالتاريخ باعثا على استقصاء الحقائق عن هذا الفندق . وعن استكشاف غوامض الأحداث بين جدرانه التى يستحيل أن تنطق .. !

كان الشاعر الانجليزى " كيبلنج " يرى أن الشرق شرق وأن الغرب غرب . وأنهما لن يلتقيا ، وانما يمكن لهذا اللقاء أن يتحقق بقوة البوارج .. وغزو

الجيوش فقط .. وقد تحولت هذه المقولة أو النبوءة الى واقع فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . !!!

* * *

قبل هذين القرنين كانت العلاقات بين الشعوب ميسرة وسهلة فالرحالة المغربى " ابن بطوطة " جال فى مشارق الأرض ومغاربها دون عقبة .

و " ماركوبولو " الايطالى فعل ما فعله " ابن بطوطة " حتى السفاح البرتغالى " ماجلان " فعل بالعالم الإسلامى ما فعل بينما كان دليله فى رحلته المشئومة رجل مسلم اسمه " أحمد بن ماجد " من سلطنة عمان ومسقط .

كان طريق الحرير "Silk Road " ومضيق باب المندب ومضيق مالقا فى جزر الملايو كانت كل هذه الطرق . وكل هذه المضايق تقع فى بلاد الاسلام الذى أبت سماحته أن يمنع من العبور أى أحد ..وكان للمسافرين وعابرى السبيل - فى حضارة الإسلام - من الاكرام والرعاية ما يستحيل مثله فى أفخم فندق .

كنت مشوقا الى زيارة الصين بعد أن زرت معظم بلاد الشرق الأقصى التى تحيط بها من الشرق الى الجنوب .

وكانت أمنية غالبة لا تتحقق ما لم تكن هناك فرصة من تلك الفرص التاريخية التى يندر حدوثها فى زماننا العجيب وكانت زيارة الصين نفسها ضربا من المحال كالعنقاء والخل الوفى الذى تتحدث عنها الأساطير .. !

ولقد أتيحت لى هذه الفرصة على يد وزير الاوقاف الصديق فضيلة الدكتور محمد الأحمدى ابو النور ، فقد حرص على تمثيل الأزهر فى رحلته التى تمت بدعوة من حكومة الصين لزيارة المسلمين فى هذا البلد الذى يحرص على مودة العرب والمسلمين .

كانت رحلة تاريخية بكل المقاييس . وكان الأزهر على لسان كل الناس مسلمين وغير مسلمين .

كما كانت هذه الرحلة إمتداد لرحلة أخرى قديمة قام بها الاستاذ المرحوم الشيخ / أحمد الباقورى قبل عشرات السنين .

* * *

فماذا عن الاسلام وكيف وصل إلى الصين ... ؟

وماذا عن المسلمين ومكانتهم فى بلد تتكون مساحته من أكثر من أربعة ملايين وثلاثمائة ألف ميل .. ؟

وماذا عن عدد المسلمين فى بلد يزيد سكانه عن بليون ومائتى مليون ؟

* * *

كيف وصل الاسلام الى هذه الافاق البعيدة من الشرق ؟

بل كيف ارتفع صوت الأذان على قمم الجبال فى " كانصو" و"سنيانج " ؟

يقول المرحوم الأمير شكيب أرسلان :

" .. .. أن الاسلام قديم بالهجرة فى بلاد الصين ويذكر الصينيون أن أول ظهوره كان فى عهد السلطان " تانج " وذلك فى القرن السابع للمسيح وأن أول من دخل من المسلمين الى تلك الديار رجل من عصبة النبى يقال له : " ابن حمزة " جلا الى الصين بثلاث آلاف مهاجر ونزلوا فى "سنفان فو" وأنه جاء على أثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر وأقاموا بجهات " يونان " .

وقد روى المسعودى فى تاريخه قصة نحكيها من بعض الوجوه . تقول هذه القصة :

ان رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود ، خرج الى مدينة سيراف [1] وكان من أرباب البصيرة وذوى الاحوال الحسنة ، ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ، ولم يزل من مركب إلى مركب ومن بلد إلى بلد ، الى أن

(١) من أعمال فارس .

أنتهى الى بلاد الصين الى مدينة " خانقو " ثم دعته همته الى أن سار الى ديار ملك الصين .

وكان الملك يومئذ بمدينة " همدان " وهى من كبار مدنهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب .

فأمر بعد هذه المدة الطويلة بانزالة فى بعض المساكن . وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ، وسؤال التجار .

عما يدعيه من قرابة نبى العرب " صلى الله عليه وسلم "

ويظهر من كتب العرب أن أول صقع عرفوه من بلاد الصين هو " كاشغر " [1] وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة إذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهلى فى خلافة الوليد بن عبد الملك الأموى .

قال ابن الاثير الجزرى فى تاريخه : أنه سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمر قند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ! .

فكتب إليه ملك الصين ان أبعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم .

فانتخب " قتيبة " عشرة رجال لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بُعدة سنة ومتاع حسن من الخز والوشى وكان منهم " هبيرة بن مشمرج الكلابى " .

فقال لهم إذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا أنصرف حتى أطأ بلادهم و" أختم ملوكهم وأجبى خراجهم " . !

فساروا وعليهم " هبيرة " فقال لهم ملك الصين :

قولوا لصاحبكم ينصرف فأنى قد عرفت قلة أصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم . قالوا :

(١) وهو ما يعرف الآن باسم " سنيانج " .

كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون [1] ؟

وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا إذا حضرت فاكرمها القتل لسنا نكرهه لا نخافه . وقد حلف أن لا ينصرف حتى يطا أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية ! .

فقال : فأنا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطأه ونبعث إليه بعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها . ثم أجازهم وبعث بما ذكر الى " قتيبة " فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ! .

* * *

لقد وصل الاسلام الى الصين فى فترة مبكرة بعد شروق فجر الدعوة الاسلامية بل ... أن كثيرا من المؤرخين يؤكدون أنه كانت هناك علاقات بين الصين وبين العرب عن طريق التجارة .. وأن ميناء (كانتون) فى جنوب الصين هو المرسى أو المرفأ الذى القى فيه هؤلاء التجار مراسيهم قبل أن يبعث النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) وقبل أن يسمع العالم بكلمة إسلام أو كلمة مسلمين .

كما يذكر المؤرخون .. انه كان هناك طريق آخر .. يطلق عليه اسم طريق الحرير أو "سيلك رود Silk Road " يبدأ من "التركستان الشرقية" فى ولاية " سينكيانج " مرورا بالولايات الإسلامية فى آسيا الوسطى أو " التركستان الغربية " و" ايران " ، و " العراق " و " دمشق " ، و" بيروت " و "إسلامبول" [2]حتى مدينة "البندقية" أو التى تعرف اليوم باسم " فينسيا " فى ايطاليا ..

وفى أثناء حكم أسرة " تانج " كما يقول بعض مؤرخى الصين وصل أول مبعوث مسلم الى الصين وكان ذلك فى سنة ٣١هجرية فى عهد الخليفة

(١)يقصد بلاد الشام . سوريا . لبنان . والاردن . وفلسطين .
(٢)اسلامبول هو الاسم الاصلى لمدينة استنبول ومعناه " المدينة الممتلئة بالاسلام " ! .

الثالث عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، ثم توالت البعثات الإسلامية بعد ذلك الى الصين حتى بلغ عددها ٢٨ بعثة فى الفترة بين سنتى ٣١هـ - ١٨٤م ..

ومن ثم .. بدأ الإسلام ينتشر الى داخل الصين عن طريق التجار والدعاة الذين بدءوا يفدون الى غرب الصين من الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا أو عن طريق ميناء " كانتون " الذى عرفه المسلمون والعرب فى مرحلة مبكرة جدا قبل ظهور الإسلام ..

ومعنى هذا كله أن الإسلام انتشر سلميا فى بلاد الصين ، والحملة التى قادها القائد المنتصر " قتيبة بن مسلم " توقفت عند الحدود الغربية لمنطقة " سنكيانج " واكتفى هذا القائد العظيم بالجزية أو الهدية التى قدمها اليه امبراطور الصين ، ولم يتوغل بجيوشه الى الداخل ، بل اكتفى بحفنة من التراب الصينى التى أرسلها اليه امبراطور الصين (ليبر قسمه) حين أقسم أنه لن يرجع إلى " سمرقند " حتى تطأ قدمه تراب الصين وكانت هذه حكمة من الامبراطور .. كما كانت دليلا على سعة أفق القائد المسلم الذى اكتفى بهذا الحل السلمى الجميل ..

وقد يكون من المناسب - لتسليط مزيد من الضوء على انتشار الإسلام وتغلغله بين الصينيين - أن تسير مع شيخنا " ابن بطوطة " فى تجواله وترحاله داخل الصين [1] . يقول :

" (. . ركبت النهر على العادة نتغدى بقرية ونتعشى بأخرى الى أن وصلنا بعد سبعة عشر يوما الى مدينة " الخنساء " واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة . ولا أدرى أعربى هو أم وافق العربى .

وهذه المدينة أكبر مدينة رأيتها على وجه الأرض طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهى على ما ذكرناه من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بستانه وداره .

(١) رحلة ابن بطوطة - جـ٢ص٢٠٢ - ٢٠٣ ..

وهى منقسمة الى ست مدن سنذكرها وعند وصولنا اليها خرج الينا قاضيها " فخر الدين " وشيخ الإسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم أبيض والأطبال والأنقار والأبواق وخرج أميرها فى موكبه ودخلنا المدينة وهى ست مدن على كل مدينة سور ومحدق بالجميع سور واحد .

فأول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم . حدثنى القاضى وسواه أنهم اثنا عشر ألفا فى زمام العسكرية وبتنا ليلة دخولنا فى دار أميرهم .

فى اليوم الثانى دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثير وأمير هذه المدينة من أهل الصين وبتنا عنده الليلة الثانية .

وفى اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسنة واسواقهم مرتبة كترتيبها فى بلاد الإسلام ، وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار أولاد عثمان بن عفان المصرى وهم على ما كان عليه أبوهم من الايثار على الفقراء والإعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافا عظيمة .

وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت إقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يختلفون فى أطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى أقطار المدينة وركبوا معى يوما فدخلنا إلى المدينة الرابعة وهى دار الإمارة وبها سكنى الأمير الكبير " قرطى " ولما دخلنا من بابها ذهب عنى أصحابى ولقينى الوزير وذهب بى الى دار الأمير الكبير " قرطى " فكان من أخذه الفرجية التى أعطانيها ولى الله جلال الدين الشيرازى ما قد ذكرته .

***

ان مـا ذكره ابن بطوطة من حفـاوة بالغـة قوبل بها فى كل مكان ذهب اليه تذكرنا بتلك الحفاوة التى قوبلنا بها من الاخوة الصينين فى " كانصو " و " سنكيانج " و " كانتون " و " بكين " ..

هناك فى مدينة " لانشو " عاصمة ولاية " كانصو " .. وعلى شاطئ " النهر الأصفر " الذى يطلقون عليه " أبـو الصين " صعدنـا الـى مسجد "تونكانى" الواقع على شاطئ هذا النهـر .. وكـانت المفـاجـأة التى لم تخطر لاحدنا على بال منذ فارقنا أرض مصر ..

صفّان من صغـار أطفال المسلمين وقفوا يستقبلوننا بالتكبير والهتاف النابع من القلب .

وبلغـة عـربيـة واضـحـة بـدءوا ينشـدون نشـيـد الإسـلام الاول الذى استقبل به " الانصار " قدوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة "طلع البدر .." .

لقد خنقتنا العبرات ، وطفرت من أعيننا الدموع ، وطغى هذا المشهد الإيمانى على الجميع فلاذوا بالتأمل والصمت ..

* * *

فى مدينة " قوانجشو " عاصمة ولاية " كانتون " .. ذهبنا لأداء صلاة الجمعة .. وكانت المفاجأة .. أن المسجد الذى أدينا فيه صلاة الجمعة أطلق عليه مسجد " المشتاق الى النبى " .. ؟ !

شئ يهز المشاعر والعواطف ويثير فى النفس أنبل الاحاسيس المغعمة بأجمل المشاعر .. !!

ولكن تعـالوا نقـرأ مـا كـتب فى مـدخل هذا المسـجد ، وبلغـة عـربيـة فصيحة واضحة المعنى والمقصد ..

تقول هذه الكلمات :

هذا أول مسجد بنى فى الصين بناء وقاص " رضى الله عنه " اذ دخل

هذه الديار لاظهار الإسلام بأمر سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم جدده المتأخرون .. مرة .. بعد مرة ..

والى الآن حفظه الله تعالى ..

وهو فى الصين مبدأ الإسلام ، ومنبع العلوم ..

فينبغى على مسلمى الصين أن يزينوا ظاهره بالعمارة الحسنة . ويصلحوا باطنه بإقامة الجماعة .. !!

لقد أدينا صلاة الجمعة فى هذا المسجد ، وقد ناقشنا موضوع هذا المسجد وحقيقة من بناه ، فليس معقولا أن يكون " سعد بن أبى وقاص " هو الذى بنى المسجد ، والشئ الأقرب الى الصحة أن يكون هناك شخص يحمل اسمه هو الذى بناه وأطلق اسمه عليه ..

وقد زرنا بعد الصلاة المقبرة الإسلامية القريبة من المسجد .. صورة مكررة من المقابر التى نشاهدها حول مسجد الإمام الشافعى أو السيدة نفيسة أو قايتباى بمدينة القاهرة .. ما يؤكد أنه كان للمسلمين فى هذه المنطقة شأن كبير سواء فى حركة الحياة .. أو فى توقف هذه الحركة بعد هذه الحياة .. !! ؟

لقد كان فى الصين - كما تقول إحصائية نشرت سنة ١٩٣٥م حوالى ٤٠٠٠٠ أربعين ألف مسجد [1] ، وكان ملحقا بكل مسجد من هذه المساجد معهد لتعليم علوم الدين واللغة العربية ..

وفى ولاية " كانصو " على بعد حوالى ١٠٠ مائة ميل من العاصمة " لانشو" توجد فيها منطقة اسمها " مكة المكرمة " .

حتى هذه اللحظة لم تغب عن ناظرى دموع الشوق التى ذرفتها عيون نائب رئيس الجمعية الإسلامية فى هذه المنطقة وهو يدعونا لزيارة " مكة " الصينية .. !!!

(١) تقويم البلدان الإسلامية - المركز الإسلامى - كراتشى - باكستان ..

ترى هل سمع أحد منكم بهذه القصة ، وهل خطر ببال أحدكم أن توجد فى الصين " مكة أخرى " غير " مكة المكرمة " . ؟

والسؤال الصعب بالنسبة للمسئولين فى الصين هو :

كم عـدد المسلمـين - فى هذه الدولة العظمى - بالرغم من تواضع حكامها الذين يصرون على أنهم دولة نامية .. !! ؟

نعم : كم عدد المسلمين ؟

ان التقارير الرسمية تقول بأن المسلمين موزعون بين عشر قوميات هى قوميات :

" هوى " ، " ايجور " ، " قازاق " ، " أوزيك " ، " قرعيز " ، " تتار " ، " طاجيك " ، " سالا " ، " تشيانغ " و " باوان " ..

ولكن من يقول ان الإسلام كان دين قوميات فقط ..

ان الهداية الإلهية - لا تعرف اللون أو الجنس أو الطبقة والنور حين يشع لا يتوقف ضوؤه على جهة دون جهة .

والسؤال : مرة ثانية : كم عدد المسلمين فى الصين ؟

ثلاثة عشر مليونا أم عشرون مليونا ، أم سبعون مليونا ، أم مائة من الملايين .. ؟

كلها أرقام تتردد .. فالرقم الرسمى يقول :

ان عدد المسلمين هو ثلاثة عشر مليونا فقط..بينما تقرر مصادر أخرى بأن عددهم يتجاوز أكثر من سبعين مليونا . ان لم يكن مائة مليون ..

* * *

فـى حـديث نشرتـه جريـدة " الاهرام " على لسان محـررها الشيخ عبد السلام العسكرى مع أحد مبعوثى الصين الى الازهر دار هذا الحوار :

ما عدد المسلمين فى الصين ؟ - أى فى عام ١٩٣٧م

وما عدد غيرهم من الطوائف الأخرى ؟

وهل هناك تنافس دينى بين المسلمين وغيرهم من تلك الطوائف ولأى سبب يرجع ذلك التنافس ، إذا كان موجودا ؟

قال :

أما عدد المسلمين فى الصين فخمسون مليونا ، وعدد السكان أربعمائة مليون ، والمذاهب الدينية فى الصين متعددة كالكونفوشيسية فالبوذية ، فالمسيحية ، ومع ذلك أكثر أهل الصين لادين لهم وهم يعبدون أشياء متعددة ، كالجمال والنور والنار وبعضهم يعبد الماشية والدواب ، وهناك مذهب دينى قليل الانتشار يسمى " التوصينية " نسبة إلى رجل يقال له " لوتزا " وأصحابه هم المتصوفة المتقشفون الزاهدون الذين لا يتزوجون طوال أيام حياتهم ، ولا ينظرون الى المرأة ولا يتصلون بها أى اتصال وانى أقرر لك ان بين المسلمين وبين أفراد الطوائف الاخرى تنافسا دينيا بعيد المدى شديد الأثر وذلك لأن طوائف غير المسلمين متعصبون ضدنا كثيرا . ويرجع السبب فى أغلب المعارك الدموية الداخلية الى ذلك التعصب الدينى ولكن الاديان فى الصين أمام القانون سواء وحرية المعتقدات مكفولة والحكومة لا تناصر طائفة على طائفة أو تؤازر مذهبا دون مذهب فهى لا دينية ولا تتبع خطط دين معين .

قلنا :

وهل يوجد بين الموظفين فى الحكومة أفراد مسلمون وما هو عددهم ؟

قال :

نعم يوجد بين الموظفين فى الحكومة أفراد مسلمون ، منهم خمسة قواد فى الجيش ومحافظ لاحدى عواصم المقاطعات ، وبعضهم يشغل وظائف فى المجالس البلدية والمحلية وبعضهم فى وظائف التدريس ، وهناك مسلمون كثيرون فى الجيش كجنود لأنهم مشهورون بالشجاعة والاقدام ، وأما فى الوظائف الملكية المدنية فعددهم قليل جدا ..

قلنا :

أليس هناك قانون عام للتجنيد ، وكيف تكون أكثرية الجنود من المسلمين مع أن القانون عام ينفذ على الجميع ؟

قال :

المسألة نسبية . والقانون حقيقة عام ولكن عدد المسلمين فى بعض المقاطعات الصينية أكثر من عدد أية طائفة من الطوائف الأخرى لأنى إذا قلت لك أن عدد المسلمين فى الصين خمسون مليونا لوجب أن يكون عدد كل طائفة من بقية الطوائف الأخرى أقل من ذلك بكثير من خمسين دينا ومذهبا [1] .

* * *

وفى حديث آخر أجرته هذه الصحيفة كان هذا الحوار :

اسمى (واى ون كين) وترجمته بالعربية " سعيد الياس " وصناعتى عالم إسلامى وامام بلدى (تنسين) ومحرر جريدة " تنسين " وقد سافرت من بلدى منذ عام وغايتى من هذه السياحة الاطلاع على أحوال الاقطار الإسلامية والإستنارة بالأفكار الجديدة الموجودة فى الشرق الأوسط والشرق الأدنى فزرت بلاد الهند وها أنا فى مصر وسأزور سوريا والاناضول والإستانة ثم أعود الى وطنى " ..

قلنا :

ما عدد المسلمين فى بلادكم وما حالة تعليمهم وشئونهم الإجتماعية.. ؟

أجاب :

يبلغ عدد المسلمين فى الصين نحو سبعين مليونا وكلهم يقومون بواجباتهم الدينية ، وفى بلدى نحو أربعين مسجدا ومعظمهم يقرأون الكتب العربية بنطق صينى ما عدا العلماء الذين يتعلمون العربية منذ الصغر ،

(١) حاضر العالم الاسلامى جـ٢ ص ٢٦٥ .

ويؤدون الصلاة باللغة العربية . وتعدد الزوجات وان يكن مباحا بالشرع فى الدين الإسلامى إلا أنه مفقود من عاداتنا فلكل رجل إمرأة واحدة بحكم عاداتنا والطلاق نادر جدا ويكاد يكون معدوما .

وقد درست فى صغرى وشبابى الفقه والحديث والسنة وعلوم الكلام ، والتصوف ، والتوحيد واللغة العربية .

* * *

ولتوضيح هذه الصورة ننقل هنا ما نشرته مجلة الهلال فى عددها الصادر فى إبريل ١٩٣٩م عن (العرب والإسلام فى العصر الحديث) تقول المجلـة :

" (.. الإسلام فى الصين قوة يعتد بها وله شأن عظيم ويبلغ عدد المسلمين حسب آخر احصاء نحو ٥٠ مليونا ينتشرون فى المقاطعات الشمالية ، وفى ربوع الصين من الجمعيات الدينية التى تسعى الى نشر الثقافة الإسلامية عشرات ومن المدارس الإبتدائة الإسلامية هناك مئات وترى فى أعلى الصورة [١] - كلية ومدرسة إسلامية فى مقاطعة يونان وفى الزاوية العليا صورة الجنرال المسلم "عمر باى جونغ سى" الذى يتولى رياسة أركان حرب القوات الصينية و الرئيس الأعلى للاتحاد الإسلامى العام وأقوى شخصية فى الصين بعد المارشال "شانغ كاى شيك" ..) " .

وقد أسس الجنرال عمر مدرسة حربية قصر دخولها على الشبان المسلمين ويبلغ عدد طلابها الآن نحو ١٣٠٠ الف وثلاثمائة طالب وقد اتصلت جمعية الثقافة هناك بوزارة المعارف فى مصر وبمدرسة دار العلوم ويشرف على هذه الجمعية الاستاذ نور محمد يوسين الذى زار مصر لمناسبة عيد الزفاف الملكى وأكرم جلالة الملك فاروق وفادته وأحسنت جمعية الشبان المسلمين مثواه .. !

وقد تأسست فى مقاطعة (شين نان) عام ١٩٢٧ مدرسة جيندا

(١)بالإشارة الى الصورة الموجودة فى المجلة .. .

للمعلمين ويشرف عليها السيد عبد الرحيم ماسونغ تين الذى زار مصر عام ١٩٢٨م وعام ١٩٣٦م وعرض على مسامح المغفور له الملك فؤاد الاول حالة مسلمى الصين فتفضل رحمه الله باهدائه مجموعة قيمة من المطبوعات العربية كانت أساس " مكتبة فؤاد الأول بالصين " [١] .

* * *

وإذا كان المجال لا يمكننا من الاستطراد التاريخى فتكفى الإشارة هنا إلى مبادرة الدكتور[٢] "صن يات صن" رئيس أول جمهورية صينية عام ١٩١٣م عندما اعتبر المسلمين أحد العناصر الخمسة التى تقوم عليها البلاد وأعطاهم حرية الاعتقاد وحفظ لهم حقوقهم المدنية ، ومن البديهى الا يأتى هذا الاعتراف من فراغ بل جاء مكافأة لهم على موقفهم من الثورة والثمن الذى دفعوه بسبب هذا الموقف .

ولقد واصل المسلمون الصينيون دورهم الإيجابى فى صراع الصين مع الاستعمار الغربى والقوى المضادة للثورة وقام تعاون وثيق بينهم وبين ماوتسى تونج الذى قال :

من المستحيل علينا أن نحقق رسالتنا ومهمتنا إذا لم نكسب المسلمين الى جانبنا ونضمهم الى جيشنا ! .

ويؤكد خط سير الجيش الأحمر الذى انطلق من الجنوب واستقر فى الشمال الغربى وسط تجمعات المسلمين أهمية الدور الذى قام به المسلمون فى الثورة فوعد ماوتسى تونج المسلمين بإقامة حكومة إسلامية مستقلة ذاتيا والغاء الديون والفوائد القديمة وحماية حرية العقيدة وحماية الثقافة والتراث الإسلامى وقد حرم جيش الثورة على جنوده من غير المسلمين أربعة أمور تحريما قاطعا :

(١) التزام المحاربين بعدم دخول المساجد .

(١) العدد الممتاز من مجلة الهلال الصادر فى شهر ابريل ١٩٣٩م .

(٢) من كتاب " التلوث الفكرى " - حسن التل - ص ٣١١ - ٣١٢ طبعة عمان - الاردن .

(٢) عدم أكل لحم الخنزير أو نطق كلمة خنزير أمام المسلمين ! .

(٣) عدم دخول أى بيت من بيوت المسلمين بغير استئذان فلا ينظر الى النساء ولا تنهك حرمتهن بأى صورة .

(٤) عدم جمع تبرعات أو مصادرة ممتلكات المسلمين .

* * *

ومن أعجب العجب أن تقع عيناى - مصادفة - على هذا النص العجيب فى كتاب " الرحلة اليابانية " الذى كتب منذ حوالى تسعين عاما . وفيه يقول المؤلف :

" (.. ومن الأسف الشديد الذى لا أسف بعده أن نحو الخمسين مليونا من المسلمن فى الصين لايوجد علماء من الطبقة العالية ينفرونهم عن الخرافات والبدع وأن من التقصير الفاحش أن العلماء من المسلمين يعلمون بمثل هذه الأحوال ولايؤلفون الوفود منهم للذهاب إلى الصين وبث العقائد الصحيحة الدينية هناك) "[(١)] .

وفى ضوء هذه الارقام يمكن أن نقرر أنه لا يمكن الاتفاق بين مختلف الاطراف على تزوير عدد المسلمين فى الصين-ومن الصينين أنفسهم وأن تنشر هذه الأرقام دون التعليق عليها من أى مسئول . فى حكومة (صن يات صن). أو " شيانج كاى شيك " .

ثم أن الأرقام (الرسمية) لا تتفق مطلقا مع حجم الولايات الإسلامية فى الشمال الغربى للصين .

فمساحة ولاية (ستيانج) فقط تعادل مساحتها سدس مساحة الصين وكان فيها - كما قيل - ١٢,٠٠٠ اثنا عشرألف مسجد .. وتكمن فى باطنها أهم ثروات الصين الطبيعية وتمتد حدودها - الى مسافات بعيدة مع حدود روسيا . وآسيا الوسطى .

---

(١)تأليف على الجرجاوى - القاهرة - ١٩٠٦م .

وفى ولاية (كـانصـو) وعلى بعد حـوالى أربعـين مـيلا من عاصمتهـا " لانشو " توجد منطقة كاملة أطلق عليها اسم (مكة المكرمة) لكثرة ما فيها من مساجد ومعاهد .

وليس من المقبول - ولو شكلا - أن يكون للمسلمين فى تاريخ الصين هذه المكانه ، وهذا التأثيرحيث يصبح منهم وزراء وقوادا للجيش ، وحكام ولايات . ومنذ أيام الامبراطورية الى قيام الجمهورية على يد(صن يات صن) . الى حكم " الثورة " على يد (مـاوتسى تونج) وأن تكون نسبتهم بالنسبة الى عدد السكان ما يزيد قليلا عن الواحد فى المائة . !

لقد ذكر بعض المؤرخين الصينين [1] :

إنه كـان للمسلمين الصينين - فيما مضى ٤٠,٠٠٠ أربعون ألف مسجد كانت تقام فيها صلاة الجمعة ، كما كان ملحقا - بكل مسجد مدرسة لتعليم الدين واللغة العربية ! .

ومثل هذا العدد من المساجد والمدارس لا يوجد إلا فى الدول ذات الغالبية المسلمة .

ومن المنطق أيضا . ألا نأخذ هذه الأرقام مسلمة كلها - نظرا لعدم وجود إحصائيات وثيقة تصنف الناس حسب دينهم ومعتقداتهم .

ولكن من المنطق أيضا . أن تقرر أن تحديد عدد المسلمين فى الصين بـ ١٣ (ثلاثة عشر مليونا) - كما تقول الدوائر الرسمية - غير مقبول ولا منطقى أيضا . فليس من المعقول أن تكون إحصائيات المسلمين فى الصين قبل الثورة تتراوح بين الخمسين والسبعين مليون . ثم تهبط التقارير الرسمية بهذا العدد إلى ما يزيد عن العشر .

والرقم الأقرب إلى الحقيقة . أن عدد المسلمين فى الصين يتراوح ما بين مائة مليون أو مائة وعشرين مليونا ..

* * *

(١)تقويم البلاد الاسلامية - المؤتمر الإسلامى - كراتشى ١٩٦٥م .

فى بلاد التركستان

وما

وراء النهريــــن

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

في بلاد التركستان .. وما وراء النهرين

***   ***   ***

" تركستان كلمة مركبة من كلمتين " ترك " و " ستان " !

كلمة "ستان" معناها أرض أو وطن . والتركستان معناها أرض الترك . !

كذلك كلمة " ازبكستان " معناها أرض " الازبك " أو وطن " الأزبك "

فى باكستان والهند تسمع كلمة " الله أباد " " آن كلمة " الله " معروفة طبعا . و " أباد " معناها مدينة أى مدينة الله ! .

و " اسلام أباد " معناها مدينة الإسلام .. وفى الزمان القريب . كانت كلمة " استنبول " فى الاصل اسمها " اسلام بول " أى المدينة الممتلئة بالاسلام ! وقس على هذا مدنا كثيرة آخرى فى الهند وباكستان أو فى افغانستان وطاجيكستان !

وقد زار الرحاله "ابن فضلان" هذه البلاد قبل أن ينتشر فيها الإسلام . ويصبح دين الغالبية العظمى من السكان .

فقد خرج هذا الرحالة المسلم الى هذه البلاد فى قافلة ضخمة من التجار . وفيما يلى تسجيل لما رآه وشاهده فى هذه البلاد من العجائب والاحوال ..

يقول ابن فضلان :

(... سارت قافلة الوفد فى بلاد الترك أياما [1] وليالى ، وقد فوجئت ببرد كان برد خوارزم بالنسبة له " نسيم صيف " وتهيأ لمن فيها أنهم على وشك الموت ، وأنه لا خروج من هذا المأزق أبدا . !

وبعد خمسة عشر يوما وصلت القافلة الى جبل عظيم كثير الحجارة وتسيل منه عيون الماء ، وتستقر فى بحيرة عظيمة .

(١) دكتور احمد شوقى - شمس الاسلام - ص ١٨٣ وما بعدها .

وما ان تجاوزوا هذا الجبل حتنى وصلوا الى بلاد الاتراك الغزية .

وكانوا يقيمون فى أكواخ من الوبر ، يسهل حملها . وهم كما يقول ابن فضلان " كالحمير الضالة " لا يدينون لله بدين ولا يرجعون الى عقل بل يسمون كبراءهم أربابا . وكانوا يقولون : لا اله إلا الله . محمد رسول الله تقربا بهذا القول الى من يجتاز بهم من المسلمين ! .

وإذا وقع ظلم على أحدهم رفع رأسه الى السماء وقال : " بيرتنكرى " بالتركية وتعنى : الله الواحد . وهم لا يقربون الماء للاغتسال وخاصة فى الشتاء . ونساءهم يخالطن الرجال ، ولا تستر المرأة شيئا من بدنها عن أحد من الناس . !

ومع ذلك فهم لا يعرفون الزنا ، ومن يقترفه منهم يربطونه الى شجرتين ويفسخونه . ولما استمعوا الى القرآن أنصتوا اليه وطلبوا معرفة ما فى هذا الكلام من معان . وسأل بعضهم :

هل لله عز وجل زوجة ؟ فاستعظم ابن فضلان السؤال وسبح واستغفر ففعل الرجال مثله .

أما عادات زواجهم ، فتتم بالاتفاق على المهر الذى يكون بالثوب الخوارزمى أو الجمال أو الدواب ، فإذا ما أدى الرجل ما عليه ، يدخل الى منزلها ويضاجعه بحضرة أبيها وأمها واخوتها ، ولا يمنعونه من ذلك . !!!

ومن يمر فى بلادهم عليه أن يتخذ صديقا له منهم ، يعطيه الهدايا ، ويأخذ منه المأكل والشراب وأمن الإقامة ، وإذا ما أراد الاتجار أو الترحال يأخذ من صديقه ما يحتاجه ويترك لديه ما لا يريده ، حتى يعود فيتبادلا ما لهما .

والتركى منهم شجاع صدوق أمين ، فإذا ما طلب الغريب منه مالا ودواب أعطاه إياها ، وانتظر قافلته حتى تعود . فان لم يكن فيها ، أخذ حقه من كبير القافلة وقال له :

" ذلك ابن عمك ، وأنت أحق بدفع ما عليه لى " .

أو قال : "ذلك مسلم مثلك ، خذ أنت منه عنى" . أو يسأل عن بلاده ، ويمشى اليه ، فإذا وجده أخذ ماله ، وهديته أيضا .

وإذا مات التركى لدى صديقه المسلم، فويل للقافلة التى تمر بعد ذلك ، فإنهم يقتلون الصديق إذا كان فيها ويقولون : " أنت قتلته بحبسك إياه . ولو لم تحبسه لما مات " ! .

وكان لهم ملك اسمه " ينال " ، وأثناء رحلة ابن فضلان كان قد أسلم ، وأثار ذلك حفيظة قومه ، وكانوا يطالبونه بالتخلى عن منصبه لخروجه عن ملتهم ، ويقال أنه رجع عن إسلامه . !!

وقد رفض " ينال " السماح لهم بالمرور ، حتى أعطوه الهدايا والثياب . فسجد لهم ، وهذه عادتهم إذا أكرم الرجل الرجل .

وبينما هم فى الطريق ، إذا برجل يوقف القافلة وكانت مكونة من ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ، فقالوا له انهم أصدقاء نائب الملك كوذركين ، فرد عليهم قائلا :

" بكند " أى الخبز ، فأعطوه خبزا ، فتركهم وشأنهم . !

وعن عادات موتهم ، قال ابن فضلان .

ان الرجل إذا مات دفنوا معه ماله كله ، ووضعوا فى يده كأسا خشبية مليئة بالنبيذ ، وذبحوا من ماشيته ما تيسر .

وقالوا : " هذه دوابه يركبها الى الجنة " ! .

وإذا كان فارسا ، صنعوا التماثيل بعدد الرجال الذين قتلهم وقالوا :

" هؤلاء خدمه يخدمونه فى الجنة " ! .

والملك عندهم اسمه : يبغو ، ونائب اللك لقبة : كوذركين .

ودخل ابن فضلان على قائد جيشهم ، وأهداه ثوبا من الديباج ، فخلع

ديباجته ليرتديها ، فإذا بثيابه الداخلية ممزقة متسخة . وكانت عادتهم ألا يخلع أحدهم عن جسده ثوبا حتى يبلى تماما .

وحدثت أزمة كبيرة وقتها للوفد بسبب أحد قواده ويدعى " طرخان " .

وكان طرخان هذا : أعرج أعمى أشل ، ولكنه كان شجاعا نبيلا مسموع الكلمة ، فقد خاف " طرخان " أن يكون الوفد متوجها الى الخزر - اليهود - لعقد تحالف بينهم وبين ألمش بن فلاديمير من أجل مهاجمتهم .

وراحوا يتداولون فيم بينهم أسبوعا كاملا ، حتى أقتنعوا بأن الوفد لا يبغى الاضرار بهم ، أو الوقيعة بينهم وبين ألمش ، فتركوهم ينصرفون .

* * *

وخرجت القافلة فى سفينة ، فمرت على أقوام من الأتراك ، يسمون :

البجناك ، وهم أصلا من تركستان الصينية سمر فقراء يرعون الغنم الذى يسمن من أكل الثلوج ويصيبه الهزال من أكل الحشائش !!

وهم يعبدون الأخشاب ، وبعضهم له اثنا عشر ربا ، وبعضهم يعبدون الحيات ، وآخرون يعبدون السمك أو يعبدون طيرا يسمى " الكركى " ذلك أنهم أثناء حرب انتصروا فيها وجدوا " الكراكى " تصيح خلف أعدائهم متهللة ، فعبدوها !!

وللسلافيين عادات غريبة ، فهم يتبركون بعواء الكلاب ، ويعتبرونه بشير خير وبركة .

وبلادهم مليئة بالحيات ، والناس لا يفزعون منها ولا يخافونها .

وهى بلاد مليئة بالأشجار والحدائق ، فيها أشجار الرمان والتفاح الأخضر ، وأكثر الأشجار كانت أشجار البندق .

وهم يأكلون الجاورس، وهو حب يشبه الارز، يدر البول ويمسك الطبيعة ، ويأكلون اللحم والقمح والشعير .

ولايأخذ الملك من زراعتهم شيئا ، ولكنهم يعطونه عن كل بيت جلد " سمور " ، وهو حيوان يشبه الثعلب وفراؤه ثمين .

ومن يولم وليمة أو يقيم عرسا أو يريد كفارة عن ذنب ، يؤدى للملك ما يناسب مقامه من هذا .

وهم لا يعرفون غير دهن السمك للطهو ، ولذلك فطعامهم زفر ! .

ويرتدون "القلانس" - أى الطاقيات - ويخلعونها عند الملك ويجعلونها تحت آباطهم .

ومن عاداتهم أن ابن الرجل يأخذه جده ليربيه . وإذا مات الرجل ورثه أخوه ولم يرثه ابنه ! .

وقد علمهم ابن فضلان نظام المواريث فى الإسلام ، فاهتدوا به ، وأعحجبوا بما فيه ، وطبقوه .

هم يعرفون القصاص . ولكنهم يقتلون الرجل أيضا إذا رأوا أنه يعرف الاشياء وقوانينها ، ويقولون : هذا حقه أن يخدم ربنا !!

ومن أغرب ما عندهم أن الرجال والنساء يستحمون فى النهر معا ، عرايا ... ولا يستتر بعضهم عن بعض . ولكنهم يقتلون الزانى ويقتلون السارق .

ومن طرائفهم أن الرجل إذا بال وعليه سلاحه سرقوه ، وإذا وضع سلاحه جانبا أولا ثم بال ، فلا غبار عليه ، ولا يقرب أحد منهم أشياءه !! .

وفى غاباتهم يكثر النحل وعسل النحل ، وهم تجار للغنم ويشترون السمور والثعالب .

ومن بينهم توجد قبيلة تسمى : برنجار . عددها يصل إلى خمسة الاف نسمة ، كلهم من المسلمين ، يعيشون معا فى بيت واحد ، ويصلون فى مسجد من خشب رغم أنهم لا يعرفون القراءة والكتابة .

ولما أسلم رجل على يدى وكان اسمه طالوت ، أسميته عبد الله . ولكنه

أراد أن يسمى بمحمد، فأسميته محمدا، ولما أسلمت امرأته ، وأمه وأولاده ، فوجئت بأنهم جميعا اسمهم محمد . وقد علمهم ابن فضلان الفاتحة والصمدية . ففرحوا بهما أيما فرح ! .

ومن عاداتهم فى الموت أنه إذا مات الرجل منهم وكان مسلما ، فإنهم يغسلونه كالمسلمين ، ويرسمون دائرة فى الارض ويحفرون له قبرا يضعونه فيه ولا تبكى النساء على الميت ، بل الرجال يبكون . الأحرار أولا ثم العبيد يضربون "أنفسهم بالسيور" . ولا تتزوج امرأة الميت إلا بعد مرور عامين على وفاته (١) .

* * *

والظاهرة العجيبة التى يقف أمامها المؤرخون طويلا .

أن انتشار الإسلام على نطاق واسع كان يتم غالبا فى فترات ضعف المسلمين وسقوط حكوماتهم ! .

أن فى الاسلام قوة خفية تجعل كل من يتصل به أو يعرفه . يؤمن به ويعتقده !

وهذا هو مصدر الخوف الذى يشعر به الغرب من المسلمين ! .

وهذا هو السر وراء حملات التشويه التى تقودها اجهزة الاعلام فى الغرب ضد الاسلام والمسلمين ؟ !

* * *

وقد كان انتشار الإسلام فى " التركستان الغربية " (٢) وفى جميع الولايات الإسلامية وجمهوريات آسيا الوسطى "معجزة إسلامية" بكل

(١) المصدر السابق .
(٢) التركستان الغربية – تعنى البلاد الواقعة فى آسيا الوسطى . والتى تتكون من ست دول هى : قيرغيزيا – طاجيكتان – ازبكستان – كازاخستان – اذربيجان – تركستان .
أما التركستان الشرقية – فيقصد بها اقليم " سينجيانج " فى الصين . ومساحته تعادل سدس مساحة الصين ..

المقاييس ، بل كانت أقرب الى الخرافة والخيال منها الى الواقع والحقيقة .

فالتتار أو المغول الذين دمروا العالم شرقا وغربا ، وزحفوا الى "بغداد " عاصمة الخلافة الإسلامية فلم ينج من قتلهم شيخ أو طفل أو رجل أو إمرأة .. هؤلاء التتار تحولوا الى الإسلام فجأة ، وفى ظروف ملك اليأس فيها قلوب المسلمين فى كل ناحية .

وكما يخرج اللبن من بين فرث ودم خرج التتار من همجيتهم ووحشيتهم الى الاسلام دين الرحمة والعدل .. حتى أقاموا أعظم حضارة شهدتها الهند كما حكموا الصين فيما بعد .

كان أول من أسلم من أمراء التتار الأمير " بركة خان " وكان رئيسا للقبيلة الذهبية التى حكمت روسيا وموسكو لمدة ٢٤٠ مائتين وأربعين من الأعوام .. !

وكان سبب إسلام "بركة خان" أنه التقى بتاجرين مسلمين شرحا له عقائد الإسلام ، فانفتح قلبه لإيمان ، ودعا اخوته وشعبه بعد ذلك لاعتناق الإسلام والإيمان برسالة محمد(عليه الصلاة والسلام) .

* * *

ومن الأشياء العجيبة . كما يقول المؤرخون - ان كل عسكرى فى جيشه كان يحمل سجادة للصلاة، وأنه لم يكن فى جيشه جندى واحد يشرب الخمر ، وأن هذا الأمير تحول بعد ذلك الى حكم شعبه بالرحمة والعدل ، وخصص لكل أمير أو أميرة أماما خاصا ، ومؤذنا خاصا . !

ويذكر "سيرتوماس أرنولد " قصة إسلام أخرى لأمير آخر من الأمراء أنه سمع رجلا يرفع الأذان لصلاة الفجر فأقلق هذا الأمير وأمر باحضار هذا الرجل لقتله .. وما كاد يدخل ليه حتى سأله :

كيف فعلت هذا وأنت غريب لا يحق له هذا العمل ؟

فأنطلق الرجل يشرح ويفسر له سبب قدومه اليه ، ولماذا رفع صوته

بالأذن حتى يستمع اليه ، ولم يترك هذا الأمير حتى كان قد اعتنق وكل من معه الإسلام .. !

لقد انتشر الإسلام على طول نهر الفولجا بواسطة دعاة الطرق الصوفية وبخاصة النقشبندية والقادرية ..

ومن الطرائف التاريخية التى لا يكاد يعرفها سوى القليل من مسلمى هذا العصر .. أن هؤلاء الحكام المسلمين حكموا روسيا حوالى قرنين ونصف قرن وأن روسيا كانت تدفع الجزية الى المسلمين فى سالف العصر .. !

وسبحان من يغير ولا يتغير .. وكل يوم هو فى شأن ..

بل حدث ذات مرة أن الجيش الإسلامى فى عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز دخل مدينة "سمرقند" فى دولة " أوزبكستان " دخلها دون إنذار وأسكن فيها المسلمين دون إذن من أهلها .

فشكا أهل "سمرقند" القائد المسلم "قتيبة الباهلى " الى عمر فأرسل قاضيا ليتحقق من هذه الشكوى .. أتدرون ماذا فعل القاضى ؟ ..

لقد تبين أن أهل "سمرقند" . كانوا على حق . فحكم القاضى بإخراج الجيش الإسلامى والمسلمين من هذه المدينة .. ! وحين رأى أهل "سمر قند " هذا .

قالوا والله لا يخرج أحد من المسلمين بعد ذلك ، ان الذى رأيناه لا يتصوره عقل ثم دخلوا بعد ذلك فى دين الله .. فوجا من بعد فوج !

* * *

وكلنا نسمع عن " سيبيريا " ان هذا الاسم اشتق من كلمة "سبير " وهو اسم مدينة ارتفعت فى سمائها المآذن ولعلعت فى أجواءها شهادة الإيمان . وعطرت ثلوجها وطرقها بأقدم المؤمنين الموحدين ..

لقد عثر فى فترة سابقة من التاريخ على جثث سبعة من الدعاة

مطمورة بين الثلوج بينما كانت إيديهم تتجه الى السماء ! كانوا فى طريقهم الى مجاهل سيبيريا للدعوة إلى الله ..

وعندما تسمع كلمة " ملاً " أو " نقشبندى " أو " قادرى " فأعلم أنها أسماء تطلق على العلماء والدعاة الذين كانوا ، ولا يزالون يتجولون فى فرغانة ، وسمرقند ، وبخارى وداغستان ، وتتاريا يتجولون هنا وهناك فى معركة صامته حفاظا على الاسلام وعلى اعلاء كلمة الايمان بين " الاوزيك " و " التتر " و " القرغير " و " الشاشان " .

فى الستينات من هذا القرن زار قارئ مصرى هذه الولايات الإسلامية فى صحبة أحد الزعماء .

أتدرون ماذا فعل الناس ؟

لقد خفقت القلوب ، وانهمرت من الأعين الدموع ، وخرج الرجال والنساء يهنئ بعضهم بعضا فى ضؤ المشاعل والشموع .. !!

***

" وقد حكى شيخ مسن من مدينة [1]" نمنجان " في وادي " فرغانه بأوزبكستان ، وهو رجل قد جاوز المائة بعشرين سنة أو تزيد ، ولا تزال به بقية من قوة ، وذاكرة حادة مستيقظة وفى عينه فرحة لا يمكن أن تغفلها أثناء حديثه معك ، فهو لم يكن يصدق أنه يعيش ليشهد اليوم الذى يعود فيه الاسلام الى هذه البلاد من جديد . ولم يخطر على باله - حسب ما قال - أن يعيش ليشهد اليوم الذى تنتهى فيه الشيوعية ، ولكنه كان على يقين من انتهائها يوما ما ، وقد قدر أن يكون هذا بعد موته ، ثم من الله عليه بنعمة شهود هذا اليوم ، ومن الله عليه أيضا برؤية الوافدين من بلاد العرب يقدمون المساعدات ، ويقيمون المساجد ويطبعون الكتب ويوزعونها على الناس ، لوصل ما انقطع من تاريخ المسلمين هناك .

---

(١) أحمد رأفت - شمس الاسلام - العدد صفر ص ٨٥ وما بعدها .

قال هذا الشيخ ضمن ما قال :

كانت هذه البلاد تحت حكم القياصرة الروس قبل الشيوعيين ، وكانوا أيضا من أعداء الاسلام ولا يحبون المسلمين. ويوما من الايام - وقد شهدت هذا الموقف بنفسي - هكذا قال - رأى أحد ضباط القيصر شخصا يسير فى الطريق ، وهو يتناول طعاما فى نهار رمضان ، فأمسك به وعندما علم أنه مسلم أخذه الى " المخفر " وأمر رجاله بضربه ضربا شديدا . وقال له :

ان أردت أن تفطر فى نهار رمضان فينبغى عليك احترام مشاعر اخوانك من المسلمين ، وأن تفعل ذلك فى بيتك وليس أمام الناس . !

أما فى عهد الحكم الشيوعى ، وعلى الأخص فى سنيه الأولى أيام لينين وستالين ، فقد كان الضباط يختبرون المارة فى نهار رمضان بتقديم الخمر لهم . ومن يأبى يذهبون به الى "المخفر" وقد يموت من الضرب هناك ، ذلك ان أصر على عدم الشرب منها . !

وتكلم الشيخ عن ارغام المسلمين على العمل فى تربية الخنازير والإقامة فى حظائرهم ، وكذلك العمل فى مصانع الخمور . وتحدث عن العقوبة البالغة لكل من يبدى تأففا أو ضيقا أو تبرما ، فعلى الجميع أن يقوموا بهذا العمل فى سعادة بالغة وحبور ظاهر أمام الكفرة والملاحدة من رؤسائهم.

وحكى لنا كشاهد على عصره ما ظهر له مما كان يسمى أيام ستالين بالمسألة الإسلامية ، وكيفية حلها ، والمقصود كيفية القضاء على الإسلام فى نفوس شعب قد شارك مشاركة لا تنكر فى تكوين الثقافة الإسلامية الأولى ، والمدونات الأساسية فى الحديث والتفسير والفلسفة والتاريخ . حتى أننا إذا نظرنا الى ما كتبه ودونه علماء آسيا الوسطى وما وراء النهر لوجدناه هو العماد الرئيسى لما بين أيدينا اليوم من فقه ومن سائر علوم الدين .

وقد ألتقيت بطبيبة شابة مسلمة فى " طشقند " عاصمة "أوزبكستان "

وهى كما عبرت عن نفسها مسلمة تعتز باسلامها ، ولكنها لا تتكلم العربية ولا تعرف غير عبارة واحدة تقوم على نطقها بلسان عربى هى :

لا اله الا الله محمد رسول الله .

وقالت أن أمها قد علمتها منذ كانت طفلة أن هذه العبارة لو قالتها عندما يأتيها ملك الموت فإنها تدخل الجنة ، وحتى لا تنسى هذه العبارة أبدا فعليها أن تكررها فى اليوم عشر مرات . وهناك شرط لكى تأتى هذه العبارة بمفعولها ألا تزنى أبدا ولو قتلت ، وهذا هو الصحيح فى نظر أمها . وذهبت معها ومع بعض الأصدقاء لزيارة أمها ، وسألتها عن معنى هذه العبارة ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فوجدتها تفهم معناها حق الفهم ، وسألتها عمن علمها هذا ، فقالت انها أمها رحمها الله قبل أن تموت . !

وأذكر أنه فى عشاء أقامه بعض المثقفين الذين يبغضون الشيوعية ويعتزون بالاسلام على النحو الذى ذكرت ، أنهم شربوا نخب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . !

وعندما أخبرتهم أن الخمر حرام فى الإسلام ، وجدتهم فى دهشة شديدة ، وكانت دهشتى أشد عندما عرفت أنهم لم يسمعوا بهذا أبدا من قبل ، وامتنعوا عن شربها فى ذلك الحفل اللهم الا اثنين أو ثلاثة كانوا يفكرون فى الكلام ، وكانوا أكثر الجالسين تفكرا ودهشة وسألوا عن سائر ما هو حرام وحلال .

وسأل واحد فيهم :

- إذن فالاسلام هو منهج حياة متكاملة ؟

وكانت إجابتى :

- هذا صحيح ، فالله سبحانه وتعالى قد أنزل الكتاب وأرسل رسوله ليعلم الناس الطريقة المثلى التى ينبغى أن يتبعوها فى حياتهم .

وكانت تلك الليلة حوارا طويلا حتى الفجر وكله يدور عن تعاليم الإسلام وما ينبغى للمسلم أن يفعله أو يمتنع عنه ليكون مسلما حقا .

وسألنى واحد منه وكان صحفيا :

- وهل هذا الكلام يعرفه العلماء والذين يعملون فى الإدارات الروحية أوالدينية ؟

وقلت له :

- نعم بطبيعة الحال ، يعرفون هذا حق المعرفة .

قال :

ولماذا لا يخبروننا به ؟

قلت :

- لأنكم لا تذهبون اليهم .

قال :

- ولماذا هم لا يأتون الينا ويبحثون عنا ، ويشرحون لنا ما غمض علينا ، فهذا الكلام نسمعه للمرة الأولى (١) ؟ !

* * *

وعندما تسمع كلمات مثل " بخارى " وسمرقند ، وطشقند وفرغانه وفاراب ونسف ، وخوارزم ، وزمخشر ، ومرو ، وترمذ ، وبيهق .. فاعلم أن كل هذه المدن وكل هذه البلاد قدمت للإسلام أعظم العلماء ،وأعظم الفلاسفة وكلها تقع فى جمهوريات آسيا الوسطى . أو التركستان الغربية أو بلاد ما وراء النهرين .

ومن منا لا يعرف الامام أحمد بن حنبل ؟صاحب المسند وصاحب المذهب؟ هذا الإمام الجليل الذى حج ماشيا خمس مرات ، وقضى فى السجن

(١) المصدر السباق .

والمحنة حوالى ثلاث سنوات ، وصبر على الفقر سبعين سنة ، وصلى عليه يوم وفاته مليون ونصف مليون مسلم ، وبكى عليه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس حيث تحولت بغداد يوم وفاته الى مأتم وحتى قال عنه : " يحى بن معين " .

أراد الناس أن نكون مثل أحمد بن حنبل . لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد ولا على طريقة أحمد .. !

أتدرون أين ولد هذا الامام .. أو من أين جاءت أسرته ؟

لقد ولد .. أو حملت به أمه ، وهو فى مدينة "مرو" أتدورن أين مرو ؟ أنها فى الولايات الإسلامية فى بلاد التركستان ولا تزال حتى اليوم توجد هناك قرية فى " أوزبكستان " قريبا من بخارى اسمها " عرب خانه " .

ومن منا لم يسمع أو يعرف الامام البخارى . صاحب أصح الكتب بعد القرآن ؟

ان اسمه الحقيقى " محمد بن إسماعيل " ، أما كلمة البخارى ، فهى نسبة الى مدينة " بخارى " التى ولد فيها ..

أتعرفون أين هذه المدينة ؟ انها فى " أوزبكستان " .

والامام " النسفى " صاحب التفسير المشهور .. !!

لقد ولد فى مدينة " نسف " وهى أيضا من بلاد ما وراء النهرين أو آسيا الوسطى .

و " الزمخشرى أبو القاسم محمود بن عمر " الملقب بجار الله صاحب تفسير " الكشاف " لقد ولد فى مدينة زمخشر وهى أيضا تابعه لاحدى الولايات الإسلامية فى هذه المنطقة .

وهل تعرفون أين ولد الامام " الترمذى " المحدث والمحقق ؟ وصاحب كتاب " سنن الترمذى " ؟

لقد ولد الامام الترمذى فى مدينة " ترمذ " فى الجمهوريات الإسلامية ولا يزال قبره موجودا هناك ..

وهل تعرفون أين ولد " الفارابى " .. !

الفيلسوف المسلم والذى كان يطلق عليه اسم (أرسطو) الشرق ؟

لقد ولد فى مدينة " فاراب " احدى المدن الإسلامية فى بلاد ما وراء النهرين ..

وهل تعرفون اين ولد " ابن سينا " العالم الطبيب الفيلسوف .. .. ؟

لقد ولد فى مدينة " أفشنه " بالقرب من مدينة " بخارى " حيث ولد الإمام البخارى ..

إنها أمثلة فقط للعظماء من رجالات الإسلام وأئمة الدين الذين ولدوا فى الولايات الإسلامية أو التركستان الغربية أو بلاد ما وراء النهرين ..

* * *

فـــى روســـا

أو

بلاد المسكوف ..!

فى روسيا أو بلاد الموسكوف .. !

*** *** ***

منذ سنوات نشرت مجلة التايم - عدد ١١ إبريل ١٩٨٨ م بحثا تاريخيا بمناسبة مرور ألف عام على دخول المسيحية الى روسيا ..

فقد أصبحت المسيحية الدين الرسمى فى روسيا منذ عام ٩٨٨م عندما قرر الأمير فلاديمير اعتناق المسيحية وإعتبارها الدين الرسمى للدولة .

ولكن قبل أن يحدث ذلك .. كانت هناك محاولات جادة من قبل الروس لاعتناق الإسلام .

وتقول الروايات التاريخية : ان من الأسباب التى صرفت هؤلاء الروس من المضى فى هذه المحاولة أنهم - أى الروس - عندما علموا بأن الإسلام يحرم الخمر . صرفوا النظر عن إعتناقه . لأنهم - كما تقول رواية سير توماس أرنولد لا يستغنون عنها ويعتبرونها متعتهم الوحيدة فى هذه الدنيا .

هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى ترجع فى مضمونها الى التقاليد الإسلامية العريقة وفى اسلوب الحياة الذى يجب أن يكون تطبيقا عمليا لأحكام الدين والشريعة .

كان الروس فى هذه الفترة أمة متوحشة ، كما كانت القذارة من صفاتهم الواضحة وقد وصفهم ابن بطوطة وصفا . لو عرفه الروس لأخرجوا جثثه من القبر بعد أن ينسفوه بقنبلة نووية ... !!!

ويقول الرحالة " ابن فضلان " فى وصف " الروس " :

" هم شقر حمر ، أجسامهم كالنخيل ، ويحمل الرجل منهم فأسا وسيفا وسكينا فى كل مكان [1] .

(١) د/ أحمد شوقى - شمس الاسلام - ص ١٩١ وما بعدها .

وهم ينقشون أجسادهم بالصور ورسوم الأشجار بطريقة " الوشم " من أقدامهم حتى العنق .. !

وتضع المرأة على صدرها ما يزينه من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد ويدل ما تضعه على صدرها على مكانة زوجها وثرائه . ويزينون الاثداء أيضا بحلقات فيها سكين . !

وأعظم الحلى فى نظرهم : الخرز الأخضر " .

وهم يعيشون جماعات ، لكل منهم سريره وجواريه ، ويتنكاحون نهارا جهارا بدون حياء . !

ويغسلون وجوههم من آنية واحدة وبنفس الماء دون تقزز أو قرف . !

وهم تجار ، يأتون الى بلاد السلاف يحملون معهم فى سفائنهم الجلود والجوارى واللحم والبصل واللبن والنبيد وغير ذلك .

ويعرض كل تاجر بضاعته ، بعد أن يصلى لخشبة معه لها وجه إنسان ، وحوله وجوه صغار ، ويمنحها هدية مما أتى به .

وكلما مر عليه الوقت دون أن يبيع ، ضاعف فى الهدية ، للكبير ، وأعطى أيضا للصغار ، حتى يتيسر له بيع ما معه . فإذا ما انتهى من تجارته فإنه يشترى بعض الغنم والبقر ، فيذبحه ، ويتصدق ببعضه ، ويضع الباقى أمام الخشب ، فتأكله الكلاب وهو يظن أن ربه قد قبل هديته . !

ومريضهم منبوذ مع طعامه وشرابه .

ولهم عادات غريبة مع الموتى .

فإذا كان الميت فقيرا ، صنعوا له قاربا صغيرا ، ووضعوه فيه وأحرقوه وان كان غنيا ، قسموا ثروته ثلاثة أقسام :

قسم لاهله . وقسم لكسائه ، وقسم لنبيذه يوم الحرق .

وهم دائمو الشرب والسكر ، ولا يموت كبير منهم إلا ورافقه أحد جواريه أو غلمانه .

وشاهد ابن فضلان طقوس دفن رجل . مع جاريته .

وكانت هذه الجارية قد أعلنت عن رغبتها فى مصاحبة سيدها الى قبره . وعندما أعلنت هذا ، أخذت الجوارى الاخريات يعتنين بها ، ويغسلنها ، ويشترين لها أحلى الثياب ، وهى فرحة مستبشرة .

فإذا جاء يوم الحرق ، وضعوا أخشابا على هيئة أركان ، ومدوا فوقها لوحا ، تنام عليه الجارية . ويلتفون حولها يتمتمون بكلام غير مفهوم .

ثم يأتون بسرير ، ويضعون عليه ثيابا ملونة فاخرة . وتأتى امرأة عجوز يقال لها : ملك الموت ، فتفرش على السرير الفرش والثياب . !

وتسير السفينة حتى مكان المقبرة ، فيخرجون الميت من الخشب الذى كان فيه ، ويخرجون ما معه من نبيذ وفاكهة ، فيلبسونه سروالا وخفا وعباءة من الحرير لها أزرار من ذهب ، ويضعون على رأسه طاقية من فرو السمور محلاة بالحرير ، ويحملونه الى السفينة ، ويجلسونه ويسندونه بالمساند ويضعون أمامه النبيذ والفاكهة والريحان : ثم يأتون بخبز ولحم وبصل فيجعلونه بين يديه . ثم يشقون كلبا نصفين . ويضعون جميع سلاحه بجانبه . !

وبينما يتم هذا على السفينة ، يكون هناك دابتان تجريان وهم يجرون وراءهما ، لا يجعلونهما تستريحان لحظة واحدة ، حتى تتعبا تماما ، فيقطعوهما بالسيف ويلقوا لحميهما فى السفينة .

وكذلك يفعلون ببقرتين ثم ديك ودجاجة .

وأثناء ذلك تتنقل الجارية من قبة لأخرى ، وفى كل قبة يوجد رجل ، يجامعها ويقول لها : " قولى لمولاك إنى فعلت هذا لمحبتك " .. !

* * *

وها نحن الآن نحلق فى سماء موسكو -

وقد ارتفع صوت المضيفة معلنا قرب وصولنا اليها وهبوطنا فى مطارها .

لم يكن ذلك ممكنا قبل أن تسقط الشيوعية ، ولا قبل أن ينسحب الاتحاد السوفييتى من أرض أفغانستان المسلمة .

وقد لا يعرف الكثيرون . من الاخوة أو القراء . أنه كان لى مع الشيوعية موقف ، وكان لهذا الموقف آثاره الخطيرة كما سوف تعرف . ففى عام ١٩٦٥م .. وفى شهر أغسطس من هذا العام بالذات ، نشرت فى مجلة " نور الإسلام " التى كنت أشرف عليها آنذاك نشرت " فتوى " تحرم الزواج بين الشيوعى وأية فتاة مسلمة أو بين المسلم وأية فتاة شيوعية .. !!

كانت هذه الفتوى ردا على سؤال من احدى المذيعات فى البرامج الموجهة من القاهرة وقد سألتنى هذا السؤال بعد أن تقدم لخطبتها شاب تعرف أنه شيوعى . وكان من الممكن أن تنسى هذه الفتوى كغيرها من فتاوى كثيرة فى أضابير المجلة ، أو فى عقول قرائها الطيبين الذين يعيش معظمهم فى " الكفر " أو العزبة ، أو " القرية " .. !!

ولكن الله - جلت حكمته - أراد لهذه " الفتوى " ذيوعا لم يكن متوقعا ، وانتشارا وضجيجا بلغ أركان الدنيا ..

لقد زارنى فى مكتبى مصادفة الاستاذ محمود الكولى محرر الشئون الدينية فى صحيفة الأهرام ، ما كادت عيناه تقع على صورة الفتوى وهى لا تزال " بروفة " قبل الطبع . حتى هجم عليها وطلب صورة منها . ثم طار بها الى صحيفة الأهرام التى نشرتها فى اليوم التالى وفى صدر صفحتها الأولى .. !

وفى الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم الذى نشرت فيه الصحيفة هذه الفتوى .. كنت أستمع الى النشرة المسائية فى محطة الإذاعة البريطانية .. فإذا بخبر هذه الفتوى يتصدر هذه النشرة بل كان الخبر الأول فيها .. !

لم أنم تلك الليلة .. ! وكيف أنام بعد أن تطايرت شظايا هذه القنبلة فى كل قطر وعاصمة .. وقد قامت الدنيا فى القاهرة المحروسة .. وانطلق زبانية الشيوعية يندِّدون بالازهر وشيخه فى ذلك الوقت الشيخ

حسن مأمون - وبالرجعية التى تقف فى وجه التحول الاشتراكى مع ماركس وانجلز ولينين .. !!

* * *

كان الرئيس عبد الناصر على موعد للقيام بزيارة الى موسكو بعد أسبوع .. وهذا الذى نشر يمكن أن يفسد هذه الزيارة أو على الأقل يبطل مفعولها وأثرها فى الاستجابة لمطالب مصر من الاتحاد السوفيتى الذى كان يمثل فى هذا الوقت " كل شئ " بالنسبة للقادة أو الساسة ؟ !

وأشهد .. أن نشر هذه الفتوى وبهذه الصورة . وفى جريدة الأهرام التى كان يرأس تحريرها محمد حسنين هيكل وفى الصفحة الأولى ، وفى العمود الاول منها ..

أشهد .. بأن " عبد الناصر " لم يكن شيوعيا .. !! والا .. لو كان هو كذلك .. لدفنت قبل أن يطلع الفجر ! هذا ان لم يختف البيت والشارع الذى كنت أسكن فيه من على ظهر الأرض .. !!

* * *

وأذكر وللتاريخ أيضا ..

أن الصديق اللواء - المرحوم - عاطف سعد السكرتير المساعد للمؤتمر الإسلامى قبل إختفائه .. حضر الى مكتبى بعد ثلاثة أيام من صدور هذه الفتوى . كان معه رجل أخافنى مظهره المتصلب .. وعيناه اللتان لا تطرفان بعد أن يصوبها الى وجهك . !!!

لقد قال لى اللواء عاطف - رحمه الله -

- من أصدر هذه الفتوى .. ؟

- قلت له مترددا .. ولماذا ؟

- قال اللواء عاطف جئت لأقبل يده .. !!!

- " (ياما أنت كريم يارب) " .. ؟ !!!

قلت ذلك في نفسي بعد أن أخبرني بأن التيار الأقوى في رئاسة الجمهورية يؤيد ويساند هذه الفتوى .. !!

وأن المعارضين لها قلة معروفة بالانحياز والولاء لموسكو .. !!!

***

بل حدث في معتقل " مزرعة طرة " . أن دعيت للاشتراك في محاضرة من تلك المحاضرات التي كانت تنظمها " المباحث العامة " لتوعية المعتقلين في هذا المعتقل .

لقد قلت في هذه المحاضرة : اننا مسلمون . وسنبقى مسلمين . ولن يكون للشيوعية والشيوعيين مكان فوق أرض مصر المسلمة .. !! وانني كمسلم .. أعتبر نفسي قريبا من المسيحي الذي يؤمن بوجود الله - من الشيوعي - حتى وان كان هذا الشيوعي يحمل اسما مسلما أو ولد في بيت مسلم !!!

***

لقد هاج الشيوعيون في المعتقل .. وكانوا مجموعة صغيرة من " الماويين" أي من الذين يعتنقون الشيوعية على مذهب " ماوتسي تونج " وسمعهم المعتقلون وهم يهتفون بسقوط " عبد الودود جونسون " .. وكان " جونسون " هو الرئيس الأمريكي في هذا الوقت .. !!!

فهل كان من الممكن أن أزور موسكو ولي عندها هذا الملف .. ؟ !!

وإذا كان الشيوعيون يهتفون بسقوطي في مصر .. وفي داخل سجن فماذا يفعل بي الشيوعيون في موسكو لو وقعت في الفخ ... !!!

ومنذ عشرة أعوام التقيت في حفل عشاء أقامته دار الشروق تكريما للمفتي "بابا خانوف" (١) .. التقيت بالمستشار السياسي السوفييتي في

(١) سفير أزبكستان في القاهرة حاليا .

القاهرة ..لقد سر الرجل بمعرفتي وتمنى لو قبلت دعوة لزيارة الاتحاد السوفييتي .. ؟

فاعتذرت بأدب .. ووعدته بالإستجابة لهذه الدعوى بعد إنسحاب الاتحاد السوفييتي من أرض المسلمين والعرب .. !!!

* * *

ان " موسكو " كمدينة .. لا أكرهها .. فروسيا .، وبالرغم من التصاقها بالغرب دولة نصف شرقية .. وشعبها خليط من شعوب وقوميات بريطنا بها إيمان وعقيدة .. حتى سيبيريا . التى كانت منفى لكل من يفكر فى الحرية أو يتفوه بكلمة يشتم منها رائحة التمرد أو الثورة .. سيبيريا هذه .. لنا فيها أشقاء واخوة ، وفيها مساجد ومعاهد ترفع صوت الإيمان والعقيدة ..

وبالرغم من هذا كله .. كنت أحب رؤية موسكو .. لم أكن أشعر بنفور داخلى من رؤية هذه المدينة . أما لماذا .. ؟ فلأن الكراهية والحب عاطفتان تتسمان بالتمرد ، ولا تخضعان لميزان العقل والمنطق .. ؟

مثلا..لاأجد حافزا واحدا يدعونى لزيارة أمريكا..!! أما لماذا فإنى .. لاأجد لهذا النفور حتى هذه اللحظة سببا واحدا معقولا ..

" فالرِّجْل " كما يقول المثل الشعبى (تدب مطرح ما تحب) وان كنت فى الواقع لا أكره الشعب الأمريكى .. الطيب القلب [1] . !

ان معظم من عرفتهم من الأمريكان .. يتسمون بالطيبة . . أقصد عامة الشعب - لا رجال الدين ولا المخابرات ولا السياسة .. ! !

بل ان كل أصدقائى الذين زاروا أو عاشوا فى أمريكا يؤكدون هذه الحقيقة .

(١) فى الوقت الذى اكتب فيه هذا الكلام يونيو ١٩٩٧ وصلتنى دعوة من امة الإسلام فى أمريكا لحضور مؤتمرها السنوى الذى ينعقد فى " شيكاغو " فاعتذرت عن السفر . ! .

ولكن ما الحيلة . إذا كان قلبى يتصور أمريكا (بعبعا) مخيفا ويتصور شوارعها ومدنها " غابة " تصول فيها الوحوش جيئة وذهابا .. !

لم أشعر بمثل هذا الخوف وأنا أخطو أولى خطواتى فى شوارع موسكو .

هذا وبالرغم من تحول هذه المدينة الى " مافيا " .. !! والى عصابات تهدد حياتك وأمنك نهارا وليلا .. !!!

فى فندق " كوزموس " أى الفضاء باللغة الروسية . وقد اختاروا لهذا الفندق هذا الاسم لوجود نموذج مجسم لاول صاروخ فضاء أطلق عليه هذا الاسم قريبا من الفندق .. كانت التعليمات من إدارة الفندق ألا تفتح الباب لأحد لا تعرفه .. ! وأن تتأكد دائما من اغلاق غرفتك بعد أن تدخل اليها أو تخرج ..

الشئ الوحيد الذى لم يكن عليه قيد هو " الهوى " .. !!!

كدت أبكى . حين رأيت فتاة صغيرة فى سن السادسة عشرة وهى تعرض نفسها علنا .. !!! اننى أنظر الى مثل هذ البائسة نظرتى الى أى فتاة أو امرأة فى هذه الدنيا .. ان " عرض " البشرية من وجهة نظر الاسلام واحد ! ... وان امتهان عرض أية فتاة أو إمرأة - تحت ضغط الفقر والحاجة - هو امتهان لـ " عرض" البشرية كلها .. !!!

* * *

وروسيا الاتحادية كما قال أحد المسئولين فى قاعة المؤتمر الذى سافرنا من أجله..روسيا الإتحادية . كما قال هذا المسئول دولة مسيحية إسلامية . !

فالمسلمون فى روسيا الإتحاية يمثلون حوالى١٤٪من مجموع السكان . ان فى موسكو العاصمة وحدها حوالى مليون مسلم .. وهناك جمهوريات إسلامية كثيرة تقع داخل روسيا منها جمهوريات : تتاريا . وبشكيريا . ومورروفيا . وتشوفاشيا ، وداغستان ، وجمهورية القرم ، وجمهورية

الشيشان ، وجمهورية كبارديا ، وجمهورية قرتشاى .. صحيح .. أنها جمهوريات صغيرة ، ولكنها بالنسبة لروسيا تمثل أهمية من حيث الموقع والثروة .

وقد حكم التتار المسلمون موسكو أكثر من قرنين وكانت ولاية موسكو تدفع الجزية لهؤلاء التتار سنويا .. ؟ !

ومن العجيب أن المسلمين التتار الذين التقيت بهم فى موسكو يختلفون عن " تتار " المغول الذين خرج من بينهم " هولاكو " و " جنجيز خان " و " تيمورلنك " أو تيمور الأعرج .. !!! يختلفون عنهم فى كل شئ فى طول القامة . وبياض البشرة وجمال الصورة .. لم أصدق وأنا أرى الفتيات المسلمات من تتار روسيا . وقد كساهن الحجاب جمالا فوق جمالهن .. وكن أشبه بالفراشات اللاتى يبهرك خفتهن ورشاقتهن .. !! لم أصدق أن هؤلاء تتار أبدا .

سألت " إلدار " الشاب التتارى المسلم الذى يعمل فى إذاعة "الرسالة" التى أنشأته " لجنة مسلمى آسيا "

قلت له : الدار .. - أى يا صاحب الدار باللغة التتارية . من أنتم ؟ ومن أين جئتم ؟

فقال لى : نحن تتار بلغاريا .. لا تتار منغوليا .. ولا يحتاج المدقق الفاحص الى دليل للتمييز بيننا وبين تتار منغوليا .

ومن العجيب أن " تتار " روسيا هم الذين قاموا بنشر الاسلام فى معظم الولايات الإسلامية الداخلة ضمن اتحاد روسيا . بل أن هؤلاء التتار هم الذين حملوا الإسلام الى " سيبيريا " وغيرها من الأطراف البعيدة فى روسيا .

ولكن متى دخل الإسلام الى تتاريا ؟

يقول المؤرخون :

لقد وصل الإسلام الى (تتاريا) فى بداية القرن الرابع الهجرى عندما

وصل التجار المسلمون الى حوض نهر الفولجا ، بل تجاوزها إلى منطقة القرم في شمال البحر الأسود .

غير أن الدفعة الأساسية للدعوة الإسلامية في حوض الفولجا وصلت باسلام التتار ، فعندما احتلها قياصرة روسيا في سنة (٩٦٠هـ - ١٥٥٢م) كان الإسلام منتشرا بين سكانها ، واضطهد أهلها ، وحاول الروس جذبهم الى المسيحية بالقوة والقهر ولكنهم فشلوا ، ولقد بذلت الأمبراطورة كاترين الثانية جهودا جبارة في هذا المجال في سنة (٩٩٢هـ - ١٧٧٨م) فأمرت بأن يوقع كل الذين اعتنقوا المسيحية على قرار كتابي يتعهدون فيه بترك خطاياهم وتجنب الاتصال بالمسلمين الكفار . !

وقد طبق هذا بالقوة على التتار المسلمين ولكنهم كانوا مسيحيين اسما ، ثم تخلصوا من هذا التعسف ، وظلوا على إسلامهم ولقد دونت اسماؤهم في السجلات المسيحية زورا ووقف التتار في ثبات وقوة ضد المنصرين وحملاتهم وشهد القرن التاسع عشر الميلادي عدة قوانين تحد من انتشار الدعوة ، لدرجة أن القانون الجنائي الروسي كان يعاقب كل شخص يتسبب في تحويل مسيحي روسي إلى الإسلام بالاشغال الشاقة ، ورغم هذا انتشرت الدعوة بصورة سرية ولما صدر قانون حرية التدين في روسيا في سنة (١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) سنحت الفرص للدخول في الاسلام بصورة جماعية ، وقد بلغ عدد من أعلنوا إسلامهم في سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م) خمسين ألفا .

وهكذا أخذت الدعوة الإسلامية في الانتشار ، ودخل السكان في الإسلام أفواجا وسارت الدعوة الإسلامية قدما في حماسة بالغة وكان كل مسلم داعية الى دينه ، ولقد خدمت الدعوة الإسلامية هجرة جماعات ممن احترفوا الحياكة في القرى الإسلامية في زمن الشتاء ، واعتنق هؤلاء الاسلام ، وعند عودتهم الى قراهم تحولوا الى دعاة للاسلام ، وأثمرت دعوة التتار أنصارا في سيبيريا وغيرها ، وقبل إستيلاء السوفيات على السلطات كان في مدينة " قازان " . عاصمة جمهورية تتاريا جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين وكان بها مطبعة أخرجت

مليون نسخة من مائتين وخمسين كتابا فى سنة (١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م)، كما كان بمدينة قازان مكتبة إسلامية ، كان يزورها عشرون ألف قارئ سنويا وانتشرت المساجد حتى بلغت مسجدا لكل ألف مسلم فى جمهورية تتاريا ...!!

* * *

وهكذا كان الإسلام مزدهرا فى تتاريا قبل الثورة الماركسية فى روسيا ولقد نشأ فى قازان مركز للدعوة الإسلامية واجتهد علماء قازان فى الدعوة وطبعوا منشورات لها ، واهتموا بالتعرف على الإسلام باللغة التتارية ، وانتشر الدعاة (مليات) وطلاب جامعة قازان فى القرى والفياقى يدعون الناس للاسلام ونشطوا فى هذا الأمر بعدصدور قانون حرية التدين فى روسيا فى سنة ١٩٠٥م ونجحوا فى بث الدعوة الإسلامية بين تتار سيبيريا .

وبعد أن استولى السوفيات على الحكم تغيرت الأوضاع ، وواجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم ، فأغلقت المدارس الإسلامية ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية فى قازان عاصمة تتاريا ، وواجه المسلمون مواقف مؤلمة وثاروا ضد الاضطهاد الدينى ، وقدموا العديد من الشهداء ، حتى أولئك الذين تعاونوا مع الشيوعيين فى البداية ، مثل السلطان " على أوغلى " والذى دعاه السوفيات باسم عالياف ، وقد نادى بتوحيد المسلمين فى روسيا فى كيان دولة واحدة تتحد مع السوفيات على مستوى واحد ، فقبض عليه فى سنة (١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م) ، وأعدم فى سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) ولقد رفض السوفيات وحدة الأراضى الإسلامية بل أخذوا يجتهدون فى تفتيتها الى قوميات للقضا على هذه الوحدة ... !!!

* * *

ولقد أدمج الروس كل المناطق الإسلامية التى توجد فى روسيا الأوروبية فى إدارة دينية واحدة مقرها فى مدينة " أوفا " عاصمة جمهورية بشكيريا ، وتشرف على المسلمين فى سيبيريا أيضا ، وجردوا هذه الإدارة من كل السلطات فأصبحت أمرا شكليا ..

* * *

ان أكثر المذاهب الإسلامية انتشارا فى الاتحاد الروسى هو المذهب الحنفى يليه المذهب الشافعى ثم مذهب الشيعة الجعفرى .

وأهم الطرق الصوفية فى الاتحاد السوفيتى هى :

(١) الطريقة النقشبندية .

(٢) الطريقة الشاذلية .

(٣) الطريقة القادرية .

ولهذه الطرق الصوفية - فى وقتنا الحاضر - تأثير كبير على احياء الروح الإسلامية ، والاعتزاز بالشخصية الإسلامية ، وفى مواجهة التيارات الالحادية والمادية .

بل أن مجلة " التايم الأمريكية " نشرت تقريرا لها منذ سبعة أعوام سلطت فيه الأضواء على ما تقوم به هذه الطرق الصوفية من أنشطة حافظت على الروح الإسلامية وخرجت بها من محنة الالحاد الى روضة الايمان والعقيدة .

* * *

ان فى روسيا الآن أو روسيا الاتحادية حوالى خمسة وعشرين مليون مسلم وان فى موسكو وحدها اكثر من مليون مسلم .

وفى مؤتمر الحضارات الذى انعقد فى موسكو قبل عامين [1] اعلن أحد المسئولين أن روسيا تعتبر دولة مسيحية مسلمه .. !

ولكنه كلام للاستهلاك الدعائى .. فالواقع أن المسلمين فى الاتحاد الروسى لا يزالون معرضين للاضطهاد والمحن ، وفى الوقت الذى أعادت فيه الدولة بناء الكنائس التى خربت أيام الحكم الشيوعى لا تزال مساجد المسلمين تعانى من الاهمال والتجاهل . !

* * *

(١) سنة ١٩٩٤م .

فـــى استراليـــا

أو

بلاد الكنجرو الاسود !

فى استراليا أو بلاد الكانجرو

***　　***　　***

نحن الآن فى أقصى الشرق فى استراليا .. أو البلاد الجنوبية ..

الجنوبية بالنسبة لخط الاستواء .. أو الجنوبية بالنسبة لآسيا .. أوالجنوبية لقربها من القطب الجنوبى المتجمد ..

استراليا " Australia " هذه القارة الجديدة .. البعيدة .. ذات العشرين مليونا من الناس ..

ان استراليا تبلغ فى الحجم حجم الولايات المتحدة الأمريكية (١) ولكن تعداد سكانها أقل من عشر سكان الولايات المتحدة الامريكية وهى أكبر خمسة وعشرين مرة من بريطانيا وايرلندا .

واستراليا هى أصغر قارات العالم ولكنها أكبر جزائره وهى فى نفس الوقت أقل قارات العالم والجزائر كثافة للسكان (٢) ..

طول السواحل الاسترالية التى تشبه الكمثرى حوالى ٢١٠ , ٢١ واحد وعشرون ألفا ومائتان وعشرة اميال وأطول أنهارها هو نهر " دارلنج " الذى يبلغ طوله ألفا وسبعمائة ميل . ..

اكبر الولايات الأسترالية هى ولاية غرب أستراليا التى تساوى تقريبا ثلث مساحة أستراليا برمتها ومساحتها ٩٧٥٠٩٢٠ ميلا مربعا .

ولقد أنشئت الولايات المتحدة الأسترالية الراهنة كوحدات مستقلة على النحو التالى :

نيو سوث ويلز　　سنة ١٧٨٦

(١) لقد اعتمدنا فى هذه الاحصائيات على ما كتبه الدكتور محمد العريان الاستاذ بالجامعات الاسترالية .

(٢) كنت مبعوثا الى استراليا وجزر جنوب الباسفيكى فى احدى الفترات ..

تسمـانيـــــا	سنة ١٨٢٥
غرب أستراليـا	سنة ١٨٢٩
جنوب أستراليا	سنة ١٨٣٤
فكتوريـــــا	سنة ١٨٥١
كوينـز لانـــد	سنة ١٨٥٩
الاقليم الشمالى	سنة ١٨٦٣
العاصمة الأسترالية	سنة ١٩١١

وجدير بالذكر أن نيوزيلندا كانت فى وقت من الاوقات (١٨٤٠) تابعة لولاية نيوسوث ويلز ولكنها أصبحت مستعمرة قائمة بذاتها سنة (١٨٤١) .

ولقد سميت أستراليا بالقارة المجدودة والقارة المحظوظة وسميت بقارة المستقبل وسميت بالقارة اللاهية التى تعطى نصف وقتها للرياضة وكل وقتها للمقامرة والباقى للرحلات !

وسميت بالقارة البيارة (نسبة الى شرب البيرة) . !

ومن طريف ما يذكر أن من بين كل ٩٥ أما أسترالية فان واحدة منهن تلد توأمين وواحدة من كل ١٠,٣٠٩ أمهات تلد ثلاثة توائم .

وأن عدد النساء الأرامل يزيد على عدد الرجال الأرامل ثلاث مرات ونصف مرة .. !

كما أن متوسط العمر فى استراليا ٦٨ سنة للرجال و٧٤ سنة للنساء .

وخلال الحرب العالمية الثانية وأثناءها شهدت أستراليا حركة هجرة اليها وكان هؤلاء المهاجرون يسمون بالاستراليين الجدد ويستهلك الأستراليون فى المتوسط فى العام بالنسبة للفرد :

٢٢٥ رطلا من اللحم .

٢٩ جالونا من اللبن .

١٧٧٥ رطلا من الفاكهة .

١٧٧٥ رطلا من السكر .

٥٧٥ رطلا من الشاى .

٢٥٨ رطلا من البن .

٢٤ جالونا من البيرة .

وكان متوسط استهلاك الأستراليين من السجائر فى سنة ١٩٦٧ ... ... ٢١ بليون سيجارة فى السنة .

وتعتبر أستراليا خامس دولة فى العالم فى نسبة استهلاك البيرة وذلك طبقا لاحصاء سنة ١٩٦٧ . أما اليوم فربما تغير ترتيبها الى الرابعة أو الثالثة لأنها فى تقدم مستمر !

ومن الاقوال المأثورة لهنرى لوسون :

" أن البيرة الاسترالية تجعلك تشعر كما لا ينبغى لك أن تشعر بدون البيرة " . والاستراليون يستهلكون أربعة ملايين جالون من المشروبات الكحولية كل عام . !

وتعتبر أستراليا ثانى دولة فى العالم بعد أمريكا فى نسبة استيراد الويسكى ذلك أن أستراليا تستهلك عشرة ملايين زجاجة ويسكى فى السنة . !

ولا أذكر أننى جلست فى مطعم ووجدت دورق مياه على المائدة رغم أن حوالى ٣٩٪ من أستراليا محصور بين المدراين . بل والاعجب من ذلك أننى عندما أطلب الماء من النادل [١] ينظر الى وكأننى أتيت فعلا فاضحا ! .

وتشير الاحصاءات الى أن عدد الذين يموتون بأمراض القلب فى أستراليا يفوق عدد من يموتون بأى سبب آخر. وحسب احصاءات سنة ١٩٦٤

(١)النادل باللغة الفصحى هو " الجرسون " .

فان ٣٧٪ من جميع أسباب الوفاة فى استراليا يرجع إلى أمراض القلب ، كما أن فى استراليا أكبر نسبة فى العالم لسرطان الجلد الذى شكل ٧٠٪ من نسبة كل أنواع السرطان الاخرى . أما بالنسبة للاسنان فان ٦٢٪ من الاستراليين يعانون من عطب فى أسنانهم .

ومنذ سنة ١٩٥٠ فان أطفال المدارس يزودون باللبن بالمجان على سبيل الوقاية من أمراض الأسنان .

ان أكثر من أربعين بالمائة من سكان أستراليا اليوم مهاجرون وفدوا اليها بعد الحرب العالمية الثانية .

وأستراليا أمة تعددية - ثقافيا Multi - Culture ولهذه الظاهرة مضامين بعيدة المدى .

أما عن سكان أستراليا الاصليين المعروفين بالابوريجينيين .

فيحدثنا التاريخ أنهم وجدوا على أرض القارة منذ عشرة آلاف الى ١٢٥٠٠٠ سنة على أرجح الاقوال .

وتشير الدلالات الراهنة الى أنهم نزحوا الى أستراليا من جنوب شرقى آسيا عبر أندونسيا خلال طريقين رئيسيين : غينيا الجديدة ومضيق ستريت وكيب يورك وخلال تيمور وشمال غربى أستراليا .

وفى بداية استعمار الرجل الابيض لهذه القارة على نحو مستقر فى سنة ١٧٨٨ كانت توجد خمسمائة " لغة" أبوريجنية وحوالى ٦٨٠ لهجة من لهجات القبائل .

وكان متوسط عدد كل قبيلة يتراوح بين ٤٠٠و٤٠ شخصا وعددها الاجمالى ٣٠٠,٠٠٠ ثلاثمائة ألف .

وقصة إبادة الابورريجنيين خصوصا فى " تسمانيا " تلطخ الرجل الابيض المستعمر بوصمة عار أبدية .

وفى أستراليا اليوم دراسات ومحاولات جادة للنهوض بأحوالهم ورد

إعتبارهم ومساواتهم فى الحقوق والواجبات ببقية المواطنين . والمشكلة فى أساسها تربوية وإجتماعية وتحتاج الى وقت طويل .

وبالنسبة لكثافة السكان فى استراليا فجدير بالذكر أن أول تعداد رسمى لاستراليا كان فى سنة ١٨٢٨ .

وتعتبر أستراليا من أقل القارات كثافة فى السكان (٣,٨٧٪ نسمة فى كل ميل مربع) .

وأعلى نسبة هى - ٢٣١ - أوروبا .

و- ١٦٣- آسيا .

وأقل نسبة - ٢- ليبيا .

وكان تعداد السكان فى أستراليا سنة ١٨٥٨ حوالى مليون نسمة وأصبح خمسة ملايين فى سنة ١٩١٨ وعشرة ملايين سنة ١٩٥٩ . وخمسة عشرة مليونا فى سنة ١٩٨٣ .

كانوا يطلقون عليها من قبل اسم استراليشيا Australisia

وهذه الكلمة كما يفسرها لنا قاموس اكسفورد Oxford

كانت تطلق على أستراليا والجزر المجاورة لها .

ومعنى هذا .. أن أستراليا .. وجزر فيجى (Fiji) وجزر الهند الشرقية . المعروفة اليوم باسم اندونيسيا وبلاد الملايو .. أو ما يعرف اليوم باسم ماليزيا كانت تعتبر منطقة جغرافية واحدة .. وبالتالى فان تبادل الزيارات بين أستراليا وهذه الجزر كانت قديمة ووثيقة . وهى زيارات تقليدية لا تزال تحدث حتى هذا اليوم .. وسواء أكانت هذه الزيارات اختيارية لصيد السمك واللؤلؤ .. أم اضطرارية بفعل الأنواء والعواصف فقد وجد العلماء آثارا ومخلفات لزيارات قام بها بعض سكان الملايو واندونيسيا الى الشاطئ الشمالى الغربى من أستراليا .. الا أن هذه الزيارات توقفت عند الشاطئ الشمالى الغربى من أستراليا ...ووقفت الصحارى والقفار مانعا عن التوغل الى الداخل ..

وسنرى فيما بعد .. أن هذا المانع الصحراوى الذى وقف حائلا فى طريق التوسع الى الداخل .. كان هو السبب الحقيقى لانتشار الاسلام فى القريب العاجل ..

كان أول اتصال لأستراليا بالتاريخ الحديث فى أبريل ١٧٧٠ ففى هذا الشهر هبط الكابتن كوك [1] (Jamescook) الى الشاطئ الاسترالى فى منطقة تعرف اليوم بـ(خليج بوتانى Botany) أحد شواطئ مدينة سيدنى عاصمة ولاية نيوسوث ويلز) .

لقد أصبحت أستراليا - منذ ذلك اليوم - جزءا من ممتلكات التاج البريطانى أو الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس فى الواقع والحقيقة .

ولم يكد يمضى على اكتشافها عشر سنوات حتى تحولت الى منفى للمجرمين والخارجين على القانون .. كانت بداية سيئة من غير شك .. فقد مارس هؤلاء المجرمون هوايتهم السابقة مع سكان أستراليا الاصليين " الأبوريجنال " .

وكما حدث - للهنود الحمر - فى أمريكا تكررت المأساة نفسها هناك فى أستراليا ..

* * *

ان المجتمع الاسترالى جسم أنهكته العلل .. وتمكنت منه الأمراض التى تعرض بقاءه للزوال والخطر .

أول هذه العلل شرب الخمر ...

وثانى هذه العلل لعب القمار ...

وثالث هذه العلل .. الإجرام ...

(١)كان أول انجليزى نزل الى الشواطئ الاسترالية هو " وليم دامبير " الذى نزل على الساحل الشمالى الغربى ١٦٨٨م .

لقد نشرت احدى المجلات العلمية .. ان الجريمة كلفت أستراليا فى العام الماضى ... / .. / ... / ٣ ثلاثة بلايين من الدولارات الأسترالية .

وتقول المجلة [١] : (Bullin)

ان هذه النسبة أو الجريمة سترتفع فى هذا العام الى النصف .. وقد بدأ التسيب فى الإدارة البوليسية . يأخذ صفة المرض أو التواطؤ .. وقد عزل أكثر من ثلاثين ضابطا من كبار الضباط نتيجة لهذا الاهمال .. كما جاء فى جريدة صنداى تلغراف (Sun day Telegraph) .

وكما تقول هذه المجلة :

فان رجال البوليس كانوا يحملون السجناء الاغنياء الى بيوتهم . كل ليلة لقضاء هذا الليل فى بيوتهم..ثم يعودون بهم فى الصباح الى السجن .. وهكذا كان يتكرر هذا المشهد كل يوم .. !

ان معدل ما يشربه الاسترالى من البيرة والخمر شئ مفزع . وقد تنبهت هيئة الصحة العالمية الى هذه الظاهرة فحذرت من استبدال دم أى أسترالى بدم أى مريض آخر .. لان الدماء الاسترالية تحتوى على نسبة عالية من الكحول .

* * *

فى الطريق الى المسجد أو المركز الاسلامى الكائن بمنطقة سرى هليز "Surry Hills" فى شارع الكومنولث (Common Wealth) يواجهك مصنع من أكبر مصانع الخمور اسمه (Tcoheys) وعلى مسافة خمسين مترا من المسجد يوجد معهد أو مصحة لعلاج المدمنين اسمه ويليام بوث انستتيوت (William Booth) .. وبعد خمسين مترا من المسجد تفاجأ بالساقطين على قارعة الطريق من فرط الادمان والشراب [٢] .

---

(١) سنة ١٩٨٠م .

(٢) كان هذا فى عام ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م

وفى حديث آخر زيارة لاستراليا عام ١٩٨٨ هدم مصنع البيرة الذى أشرت إليه حيث نقل إلى مكان آخر .. !

قلت فيما سبق .. ان أستراليا بدأت تعرف فى تاريخنا الحديث منذ عام ١٧٧٠ م . ثم اتخذتها بريطانيا منفى للمجرمين والخارجين على القانون فى عام ١٧٨٨م .. الا أن الصورة تغيرت بعد ذلك حين أعلنت أستراليا بلدا حرا مفتوحا فى عام ١٨٤٠م .

لقد بدأت أستراليا مرحلة جديدة .. وبدأت الهجرة اليها بكثرة وتسابق الناس الى السفر اليها طمعا فى الثروة .

ولكن كيف ... ؟ لقد وقفت الجبال والقفار حائلا وسدا منيعا أمام هذا التحول .. وبقيت أستراليا لغزا أو طلسما ...

فمن الذى يفسر هذا اللغز ؟ ويكشف أسرار هذا الطلسم ؟

انها الجمال ... والرجال الذين يقودون هذه الجمال .. وبخاصة من بلاد " كشمير " و " بشاور " وبلاد " الافغان " .

وكانت هذه أول خطوة للاسلام فوق أرض الأسترال ..

كان أول من وصل إلى أستراليا من المسلمين ثلاثة رجال من أهالى " كشمير " نزلوا فى " ملبورن " ومعهم أربعة وعشرون جملا . ثم جاء من بعدهم اثنا عشر مسلما ومعهم مائة وعشرون جملا ... ثم تتابع وصول هؤلاء المسلمين فى موجات متتابعة ومعهم الالوف المؤلفة من الجمال ..

كان لهؤلاء المهاجرين الفضل فى اكتشاف أعماق هذه القارة وفى الربط بين أجزائها المختلفة .. وفى مد خطوط التلغراف . ونقل صناديق الطعام والمياه وفى حمل المعدات والآلات وبعبارة موجزة : كان هؤلاء المسلمون شريان الحياة وفرسان الأمل والنجاة ..

وقد حافظ هؤلاء المسلمون على عقيدتهم بحرارة ، وراحوا يبنون المساجد فى كل مدينة حتى بلغ عددها ستة وعشرين مسجدا ..

وكان منظرا مألوفا لدى الاستراليين الذين كانوا ينتظرون قوافل هؤلاء الجمالين بفارغ صبر .. أن يروا هؤلاء المسلمين ، وقد أذنوا للصلاة ووقفوا فى خشوع بين يدى الله ...

لقد حمل هؤلاء الاسلام الى كل بلد سافروا اليه من " أدليد "[1] جنوبا الى " داروين" [2] شمالا .. ومن " سيدنى " [3] شرقا الى " بيرت" [4] غربا ومن " برزين " [5] فى أعلى القارة الى " ملبورن" [6] فى أقصى الجنوب ..

لقد قرئ القرآن فى صحراء " فيكتوريا " قبل أن تقرأ الترانيم المسيحية وارتفع صوت " الاذان " فى " كوينزلاند" . قبل أن يدق الناقوس فوق الكنائس فى " أليس سبرنج" .!

* * *

ومن طريف ما يذكر عن تاريخ الجمل فى أستراليا أنه كان ثمة عوامل ارتباط بين نسبة الجمال فى أستراليا ونسبة الافغان ومن أشهر الأسماء اللامعة فى هذا الصدد تلك الشخصية الاسطورية التى دخلت فى الأدب الاسترالى التاريخى المعبر عن النصف الثانى من القرن التاسع عشر وهى شخصية " عبد الودى " [7] وغيرها مثل شخصية " على " الفيلسوف و" فايد محمد " الفارس وكلها شخصيات كان للجمل والناقة دور هام على مسرح أحداثها .

ومما يروى أن هذه الطائفة من الماهدين " لثقافة الجمل " Camel Culture " فى أستراليا والتى تجمع بين القومية الافغانية والدين الاسلامى وتقاليد الاعراب من أصحاب الجمال والنوق . أنهم احتفظوا بأزيائهم القومية الأولى ولم يغيروها كما احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم فى الضيافة والكرم .

وعندما قدموا لأول وهلة الى أستراليا يقودون جمالهم كانوا ذكورا بلا إناث ومن ثم اضطرتهم الظروف للزواج من نساء أستراليات مما أدى الى

(١) أدليد : عاصمة جنوب أستراليا ..
(٢) داروين : عاصمة الحدود الشمالية ..
(٣) سيدنى : عاصمة ولاية نيوسوث ولز وهى أهم مدن أستراليا ..
(٤) بيرث : عاصمة غرب أستراليا ..
(٥) برزين : عاصمة ولاية كوينز لاند .
(٦) ملبورن : عاصمة ولاية فكتوريا .
(٧) تحريف لكلمة عبد الودود !

سرعة الاندماج والتكامل فى مقامهم الجديد . ومما أدى أيضا فى المدى الطويل الى انتاج سلالة من الأستراليين تجمع بين خير ما فى هذا المزيج من صفات جسمية وسمات وملامح وسجايا وخلال .

ومن أعلام المسلمين الذين تركوا بصماتهم فى التاريخ الاسترالى مسلم أفغانى اسمه شيخ بيجاه درويش . وكان رئيس الجمالين فى حملة كالفرت " Calfert " بقيادة المستكشف ويلز "Wales " وقد كتب ويلز " فى مذكراته عن هذا الشيخ قصتشيقة تؤكد ما كان لهؤلاء المسلمين من فضل وأى فضل ..

يقول ويلز ..

لقد أظهر " شيخ بيجاه " قوة فائقة على الاحتمال وقد أنقذنى أنا ومن معى من هلاك محقق..وأنا أدين له بحياتى .. فقد ضلت القافلة الطريق ، ومضى على الجمال سبعة وعشرون يوما لم تذق فيها قطرة ماء ..

وهنا التفت الى شيخ بيجاه وقلت له :

هاقد نفد الماء .. وأوشك الطعام على النفاد ولم يبق الا أن تعرض على الجمال الصوم عن الطعام كما فرض عليها الصوم من قبل عن الماء ..

وبهدؤ وطمأنينة ولا مبالاة قال الشيخ " درويش بيجاه " ..

- وأنا سوف أصوم معها .. !

يقول ويلز :

كانت مفاجأة لى أن يبتسم ذلك الشيخ المسلم ونحن على أبواب كارثة .

ثم يقول ويلز :

وفى غمرة الألم والانفعال والخوف حاول اثنان من المكتشفين السير فى اتجاه معين للبحث عن ماء .. ولكن " شيخ بيجاه" .. حذرهما من السير فى هذا الاتجاه .. لأنه بحاسته الفطرية أدرك فشل هذه المحاولة ثم قال :

لا تفعلوا والا فالموت ينتظركم هناك ..

فلم يستجب له أحد..ثم مضيا فى الطريق الذى حذرهم منه الشيخ ..وعندما طالت غيبتهما خرج الشيخ " بيجاه" للبحث عنهما بعد يومين .. ثم رجع .. رجع ومعه ما تبقى من حطامهما التالف فى غمرة اليأس .. !

ويقول ويلز :

بعد هذه الحادثة اشركت معى شيخ بيجاه فى قيادة الحملة فسار بنا فى درب لم يكن يخطر لنا على بال .. ولم تمض سوى أيام قليلة حتى لاحت لنا من بعد مدينة أدليد (Adiliad) .

فوقفت ومن معى خاشعين أمام الرجل الذى وهبنا الحياة ..

ويتابع ويلز حديثه قائلا :

لم نشأ أن ندخل مدينة أدليد ونحن فى هذه الحال الرثة والضعف لقد آثرت الانتظار ريثما نسترد " أنفاسنا اللاهثة وقوانا المفقودة .. ثم أرسلت بمن يخبر حاكم المدينة ويحضر لنا شيئاً من الطعام .. ثم بقيت طوال الليل أفكر فى المصير الذى كان ينتظرنا ، وفيمن أنقذنا .

أهو " اله " بيجاه درويش ، وصلواته المخلصة أم ايمانه الذى أنتصر به على كل مشكلة ، أم هى حاسته الفطرية المرهفة ؟

لقد رد شيخ بيجاه ولم يتركنى أسترسل مع كل هذه التساؤلات .. حيث قال :

" أنه ربى الذى أسلمت له وجهى .. ومن يسلم وجهه الى الله باخلاص يهده إلى سواء السبيل ."

وفى الصباح تحركت القافلة الى أدليد (Adiliad) واستقبل الشيخ بيجاه درويش كأعظم فاتح . لقد أقيمت له مأدبة ملكية . وأنعم عليه بأرفع وسام وحفر اسمه فى تاريخ أستراليا بحروف من نور .. !

* * *

ومنذ ذلك التاريخ .. والإسلام ينتشر فى أستراليا...وكان هذا الانتشار مرتبطا بحركة هؤلاء المرشدين والأدلاء من مسلمى الافغان والهند ثم جاءت فترة ركود توقفت فيها هذه الحركة ، وانحسر فيها هذا العدد .

وذلك بعد صدور القانون الذى يحرم على الملونين والآسيويين دخول أستراليا فى سنة ١٩٠٢ .

لقد ارتفعت صيحات تطالب باستمرار استراليا كدولة بيضاء (Keep Australia Whwite) وطغت موجات العنصرية البغيضة لأى كائن ملون .

وكان هذا القانون بمثابة رتاج أحكم اغلاقه على ٦٠١١ ستة آلاف وأحد عشر مسلما هم جملة من وصل إلى هذه القارة .

وبمرور الزمن .. والبعد عن الوطن .. وفقدان الرائد المسلم . وضغوط الحيادة المادية واغراءاتها الشرسة .. بدأت هذه الألوف تتوارى .. وتنكمش ثم تذوب وتتأقلم حتى تزوجت المسلمة بغير المسلم .. ونشأ جيل مخلط ومهجن .. وشيئاً فشيئاً .. اختفت الشعائر .. وخفت صوت المؤذن من فوق المنائر .. ولم يبق للاسلام فى نهاية هذه المرحلة سوى ثلاثة مساجد لم يكن يدخلها سوى قلة لا تتجاوز العشرات (١) .

بعد الحرب العالمية الأولى ... وبالضبط فى عام ١٩٢٤م بدأت مرحلة جديدة من الهجرة الإسلامية الى أستراليا .. فقد سمحت الحكومة لعدد من الأوروبيين الذين شردتهم هذه الحرب بالهجرة اليها .. فجاء مع من جاء عدد محدود من المسلمين من شبه جزيرة البلقان "بلغاريا.. البانيا يوغوسلافيا .. تركيا" ولم يكن هؤلاء القادمون أحسن حالا من المستوطنين الأوائل .. كانوا أشتاتا من المشردين التائهين .. فقد كانت معرفتهم بالدين وتعاليمه محدودة وكان كل همهم موجها الى البحث عن لقمة العيش .

وبالرغم من تماسك البعض أمام مغريات الحياة الجديدة الا أن البعض

(١) دكتور على الحديدى مجلة العربى .

الآخر آثر الدعة . والاندماج فى المجتمع الاسترالى بكل مفاهيمه وعقائده .

* * *

ان أستراليا دولة علمانية .. والحرية الدينية فيها مكفولة .. ولكن الجمعيات التبشيرية تعمل هناك بنشاط وهمة .. ان الكنيسة الكاثوليكية مثلا .. تملك إذاعة خاصة .. ولها مدارسها وجامعاتها الخاصة .. هناك ستجد من يطرق بابك .. ثم يستأذنك فى الدخول لحظة .. وهناك تفاجأ بهذا الزائر يعرض عليك إيمانه .. ويغريك باقتفاء أثره .. وقبل أن ينصرف يترك لك كتابا أو صليبا على سبيل البركة . !

ان للكاثوليك نشاطا واسعا .. وبخاصة بين المهاجرين المسلمين لقد حدثنى مهندس مصرى مسلم أن أول من استقبله . واستضافه كان مندوبا عن الكنيسة ..

وشهود " يهوه " ان لهم نشاطا مكثفا .. قوم يتميزون بالبجاحة . والالحاح والشراسة .. انهم لا يكلون لحظة من النهار أو الليل ، ويذهبون الى كل بيت .. وقد حدث قبل أن أغادر أستراليا بأشهر قليلة أن اغتيل أحدهم بعد أن ارتفعت حرارة الجدال والنقاش بينه وبين الرجل الذى استضافه فى بيته .. !

ان بين يدى خريطة وضعتها الكنائس الاسترالية لتنصير المسلمين فى العالم كله .. وقد اختطت هذه المؤسسات أسلوبا جديدا للتنصير المقنع . أو الذبح بدون اراقة دم .. !

* * *

ولعل أكثر ما يشد انتباه الباحث فى الهجرات الإسلامية الى أستراليا سكان جزيرة " فيجى " وهى احدى الجزر القريبة من أستراليا وكانت إلى عهد قريب تحت الوصاية الاسترالية ثم نالت استقلالها .

فالجالية المسلمة فى هذه الجزيرة أقرب جاليات المنطقة الى الاسلام

الصحيح وأكثرها شبها بالعرب بملامح أفرادها وسمتهم العربى الخالص ، وقامتهم الفارعة وأسمائهم العربية واعتزازهم بالنفس والكرامة والدين .

من جزر " فيجى " كما يقول المسلمون فى هذه الجزيرة . يظهر أول ضؤ للنهار ويسمع أول أذان .. وقد انتشر الاسلام فى هذه الجزر على أيدى العمال المسلمين القادمين من باكستان والهند والذين كانوا يعملون فى مزارع المطاط وقصب السكر وحين رآهم الناس يصلون سألوهم عن أصل هذه العقيدة التى رآها سكان هذه الجزر لاول مرة ، ومن ثم بدأ تعرفهم واعتناقهم لهذا الدين .. كما يوجد فى جزيرة نيوكالدونيا (Calidon) التى تقع بين أستراليا وبين جزر فيجى حوالى ٢٥٠٠٠٠ مائتان وخمسون الف مسلم يرجع معظمهم إلى اصل صومالى أو چيبوتى ويتعرضون لغزو تبشيرى لا يملكون ازاءه حولا ولا طولا .

ان لسانى يعجز عن النطق .. وعقلى لا يتصور مثل هذه الغفلة فى الزعماء المسلمين والعرب ..

ان اسرائيل تتشمم رائحة أى يهودى فى العالم ، ثم تعمل .. لحمايته ورعايته بأى ثمن ، وفى أسوأ الفروض تنقله الى اسرائيل ليقاتل ضد المسلمين والعرب . !

بينما يعيش شعب مسلم كامل فى الاسر والحبس منذ القرن التاسع عشر . !

فى عام ١٩٨٠م كنت ذاهبا الى المركز الاسلامى فى شارع الكومنولث (Commonwealth) الواقع فى منطقة " سرى هليز" (Shrry Hills) بمدينة سيدنى .. فى مدخل المركز رأيت سيدة سمراء اللون تجلس وحيدة على مقعد . وفى المكتب الخاص بمدير المركز سألت السيدة عن سبب قدومها الى المركز .

لقد انفجرت السيدة فى البكاء .. ! ولم تجد معها أية محاولة للكلام .. انتظرت حتى هدأت .. ثم بدأت تشرح سبب قدومها الى المركز .

قالت : أنا من جزيرة " نيوكالدونيا" .. جئت موفدة باسم المسلمين هناك .. ان عددنا يمثل ستين فى المائة من مجموع السكان .. فنحن ننحدر من أصول عربية وافريقية ! ولكن لا أحد يشعر بنا من الافارقة ولا من العرب . ونكاد ننسى شعائر ديننا حيث لا يوجد هناك امام ولا مسجد .

لكن كيف وصل أجدادكم العرب أو الافارقة الى هذه الجزر البعيدة النائية ؟

قالت : لقد قدم أجدادنا من بلاد كانت تستعمرها فرنسا من " جيبوتى " - وكانت ملامحها جيبوتيه فعلا -

ومن السنغال . والجزائر .. والجابون . وغينيا . فقد قذفت بهم فرنسا الى هذا المكان لرفض أجدادنا استعمار فرنسا ، وتزعمهم حركة الجهاد والمقاومة ومنذ ذلك الحين لا يعرفنا أحد ولا نعرف أحدا . !

* * *

ان أوروبا واميركا تقيمان الدنيا من أجل أفاق واحد أوروبى أو أميركى .. ولكن شعبا مسلما بأكمله لا يشعر به أحد من الافارقة أو المسلمين . أو العرب .

ان عدد المسلمين فى استراليا يتراوح بين مائتى ألف أو مئتين وخمسين الفا .

وتعتبر " الجالية التركية " أكبر جاليه إسلاميه - خارج الاطار العربى - ولهذه الجالية مساجدها الخاصة بها ومن أهم مساجد هذه الجالية مسجد رد فرن (Red Fern) الذى كان كنيسة فى الأصل .. ثم مسجد أرسكين فيل (Arskinvill) ثم تأتى الجالية اليوغسلافيه فى الترتيب الثانى بعد الجالية التركية ولهذه الجالية مسجد خاص أيضا بها ..

وهناك بضعة ألوف أخرى - من المسلمين القبارصة والألبان وان كان عددها قليلا .. وأثرهم ضعيفا .

أما الجالية اللبنانية فتمثل أكبر تجمع إسلامى عربى فى أستراليا وفى ضاحية " لاكمبا " (Lakemba) شيدت هذه الجالية مسجدا كبيرا هو مسجد الامام على الذى يعتبر أكبر مسجد فى مدينة سيدنى وفى هذه الضاحية .. ضاحية " لاكمبا " يقيم أكثر المسلمين من لبنان وستفاجأ حين تسير فى شوارع هذه الضاحية باللغة العربية مكتوبة على واجهة المحلات والمطاعم .. وستجد الخبز اللبنانى والحلوى اللبنانية معبأة فى أكياس من النايلون .. !

وكما هو شأن اللبنانيين فى أى مكان . فقد استطاعت هذه الجالية اللبنانية (مسلمون ومسيحيون) أن تترك بصماتها فى أى مكان تذهب اليه .. بل ستفاجأ بصحف عربية تحمل أسماء - صوت المغترب - وصدى لبنان - والنهار والتلغراف .

وفى الأتوبيس .. والقطار - تفاجأ بالسيدات اللاتى يتجاذبن أطراف الحديث عن أقاربهن الموجودين فى بيروت أو طرابلس .. !

ولن تعدم فى وسط الزحام رجلا يمشى متبخترا فى شارع جورج ستريت (Gorgst) وقد وضع على رأسه الطربوش المائل على رأسه جهة اليمين كما كان يفعل رئيس وزراء لبنان الاسبق رياض الصلح . !

ان أيام العمل فى أستراليا . كما هى فى أية دولة أوروبية تبدأ صباح الاثنين وتنتهى مساء الجمعة . ومن ثم لابد من مضاعفة الجهد فى أيام السبت والأحد ومساء الجمعة وقد نظمت لذلك حلقات العلم . ودروس تعليم اللغة العربية .أما بالنسبة لى شخصيا فقد كانت الصحف تعلن مشكورة عن تواجدى فى المسجد من الساعة الحادية عشرة صباح كل يوم الى الساعة الخامسة ...

ولقد كانت هذه الفترة ... فترة عمل مستمرة .. اما فى تلبية الدعوة الى كنيسة أو اجراء حوار فى جامعة .. أو مناقشة الأستراليين الذين كانوا يحضرون الى المسجد من الكليات والمدارس الجامعية المختلفة .

* * *

لقد تبين لى .. منذ الشهر الأول بعد وصولى أستراليا .

أن قوة الاسلام وبقاءه رهينان بخطى دفاع أساسين لابد من إقامتهما بسرعة ..

أما خط الدفاع الأول فيتمثل فى دعم الروابط الأسرية والعائلية بين أبناء الجالية الإسلامية .. ولتوضيح هذه النقطة ، ولأهمية هذه الفكرة فقد تبين لى .. أن كثيرا من الفتيات المسلمات يتزوجن من غير مسلمين . وهو شئ منطقى فى مجتمع مادى .. وشئ طبيعى أيضا .. حين تتمزق أواصر الاخاء والتعارف بين أبناء العقيدة الواحدة فى بلد علمانى .

ومعنى هذا .. أن الجيل الثالث من المسلمين على الاكثر سينشأ جاهلا كل شئ عن دينه وعن أصله . وبالتالى .. سيعود الاسلام غريبا كما بدأ غريبا فى هذه القارة ..

إنك ستفاجأ أيضا عقب وصولك الى أستراليا .. ان كثيرا من المسلمين يتخذون لهم أسماء أسترالية مسيحية بدل أسمائهم العربية المسلمة .

ان " محمود " يسمى نفسه " مالكولم " .. و " أحمد " اختار لنفسه اسم " ألن " و " مصطفى " قد يسمى بـ " مايكل " ... ! .

أما " خديجة " فقد اختارت اسم " جوليا " .. وفاطمة أصبحت " فاى " أما " عائشة " فقد فضلت اسم " ريتا " ... !

* * *

أما خط الدفاع الثانى بالنسبة لبقاء الإسلام واستمراره فى أستراليا فهو التعليم .. التعليم الدينى وتعليم اللغة العربية ...

ان أكثر أبناء وبنات المسلمين لا يكادون يعرفون عن دينهم أو لغتهم شيئاً لقد سمعت من كثير من الآباء والامهات ان أولادهم قبل أن يذهبوا الى الفراش يؤدون صلاة معينة بعد أن يلوحوا فى الهواء بحركات ترسم صورة الصليب على صدورهم .. لقد سمع الاطفال هذا ورأوه صباحا فى المدرسة ..

أضف إلى ذلك ...

ان الوالد يخرج مبكرا الى العمل .. فإذا عاد .. خرجت زوجته هى الأخرى الى المصنع ..

ثم ان الوالد والوالدة أصلا .. لا يصليان .. أو يؤديان شعائر الدين لقد أصبح الدولار إلهاً .. وهم المهاجر من هؤلاء أن يشترى بيتا .. ويملك سيارة . !

فإذا علمت بعد ذلك .. ان أكثر المهاجرين الى أستراليا . هم من الطبقات الدنيا .. ومن العمال والحرفيين الذين وجدوا فى أستراليا ما لم يجدوه قبل ذلك أصلا .. يمكن أن تتصور مدى الاهتزاز النفسى فى أعماق هؤلاء الذين فوجئوا .. بأسلوب الحياة المتطور .. ومناخ الحرية المتقدم ..

ان هذه القضية .. قضية التعليم الإسلامى هى أخطر هذه القضايا جميعا .. صحيح أن هناك دروسا تلقى فى بعض الاماكن لتدريس مبادئ الدين واللغة ..ولكن التلميذ المسلم يتلقى هذه الدروس من غير أكفاء .. وفى وقت يشعر فيه بالضيق من كثرة الأعباء ..

وقد حدث أثناء مشاركتى فى مؤتمر الدعوة الإسلامية لمنطقة جنوب شرق آسيا والباسفيك الذى انعقد فى كوالالمبور فى مارس ١٩٨٠م ، أن التقيت بالشيخ الصالح الورع المرحوم عبد الله النورى من كبار علماء الكويت .. فعرضت عليه هذه المشكلة ... فأبدى استعداده لشراء بيت يستعمل كمدرسة فى البداية ... فوافق الرجل على هذه الفكرة .. ثم حضر فى شهر سبتمبر ١٩٨٠م ومعه مائتا ألف دولار لهذه المهمة ووعد بمائة ألف أخرى إذا ، كان فى العمر بقية ..

* * *

لقد تم شراء بيت كبير فى منطقة اسمها هبرفيلد Huberfield وسجلت المشروع كوقف .. واخترنا له مجلس أمناء من مختلف الجنسيات .. ونص

فى العقد .. إنه فى حالة عدم إتمام هذا المشروع تعود الأموال إلى أصحابها من غير نقص ..

***

إن العمل الاسلامى فى استراليا . بل وفى أوربا يتسم بالأنانية والضحالة إن فرسان هذه الحلبة صدفة خالية من اللؤلؤ ... ولك أن تتصور ماذا يفعل محام جاهل يترافع عن قضية برىء اتهم بالقتل .. إن المتهم البرىء يساق إلى ساحة الاعدام بدفاع هذا المحامى الذى لا يجيد حتى القراءة والنقل ..!

هل سمعتم بقصة المشعوذ .. الذى احترف الطب ..

لقد قرأ المسكين أن الحبة السوداء دواء من كل داء ... فاصطاد صاحبنا حية من هذا النوع الأسود وعالج بها المرضى من طالبى الشفاء فاودى بحياة كل من مد إليه يده من هؤلاء التعساء ... !

إن الاصل فى هذه المأساة .. هى " الحبة " لا الحية " إن نقطة واحدة تحت الباء قتلت من الناس ما لم تقتله الحرب فى المعركة .. !

ولأضرب لكم مثلا من أستراليا .

لقد ذهبت فتاة خريجة جامعة أسترالية .. تشغل منصبا حساسا فى مؤسسات الدولة ..

ذهبت إلى متزعم مسلم :

اليكم نص الحوار ..

- اسمى هيلين .. وأعمل ... وأريد أن أعتنق الاسلام ..

فقال لها متحمسا ..

مرحبا ... مرحبا ..

هل توافقين على قطع يدك إذا سرقت ؟

قالت : لا ... لا أوافق ..

فقال لها : هل توافقين على أن تقتلى بالحجارة إذا زنيت ... ؟

قالت : بالطبع لا ... وألف لا ...

وهنا سكت صاحبنا ...

فقالت له الفتاة ..

هل هذا هو الاسلام .. ثم قامت فزعة ..ولايعرف أحد الى أين ذهبت . ؟ !

* * *

ان أوروبا .. تنهار .. تنهار روحيا .. وأخلاقيا .. وإنسانيا وليس إلا الاسلام حلا لكل مشكلاتها وأمراضها وعللها ..

ولكن كيف ؟

ان التناقض الذى يعيش فيه المسلمون يقف حائلا .. وسدا منيعا أمام هذه الظاهرة وهذا التحول .

لقد تعرف شاب من أصل هندى بفتاة أسترالية . أحبها ثم اتفق معها على الزواج ..

ولكن لابد أن تسلم أولا وهذا شئ جميل .. فكيف عرض عليها الاسلام ..

لقد قال لها فى نوبة حماسة وغيرة ..

- الاسلام يحرم الخمر .. والخنزير ، والقمار ..

ووافقت الفتاة على الدخول فى الاسلام دون تردد ..

وبعد الزواج .. بعد شهر فقط .. دخل عليها صاحبنا وفى يده لفافة .. لقد كانت زجاجة ويسكى .. !

وفى أسبوع لاحق .. شاهدته يلعب القمار فى أحد النوادى ...

وعلى الفور أمسكت به وطلبت منه الطلاق ..

لقد أعلنت الفتاة فى ملأ .. وأمام شهود من الأصدقاء قالت :

أما أن يكون هذا الشاب كاذبا .. وأما أن يكون دينه هو الكاذب .. !!

* * *

وهذه هى مأساة الاسلام فى أستراليا .. وفى غير أستراليا وفى كل أنحاء الدنيا ...

* * *

أميركــــا

التــى لا أحبهــا !؟

أمريكا ... التى لا أحبها !

*** - *** ***

ولماذا أحب أمريكا . ؟

لقد تحولت الى " البلطجة " العالمية . بعد أن سقط " البلطجى " السوفيتى ! تحولت الى " فتوة " من " فتوات " القاهرة القدامى ولكن مع الفرق . !

فقد كان لفتوات " حى الحسنية " و " باب الشعرية " أيادى بيضاء لا يزال يذكرها عجائز الحى . !

كما كانت لبعضهم مواقف نبيلة مع الفقراء والعجزة ، والمستضعفين فى الارض . !

" البلطجى " الاميركى يختلف تماما عن " فتوات " القاهرة المحروسة فهو- أصلا- نشأ- فى دولة قامت على حروب الإبادة والاسترقاق والقتل . !

قتل اكثر من مائة مليون من قبائل " المايا " والهنود الحمر . !

واسترقاق قارة بأكملها لحساب " الوحش الأبيض " فى " شيكاغو " .. و.. " أورليانز" ! والطبع .. يغلب التطبع .. فجرو الذئب الذى أشفق عليه "البدوى" الطيب وأنقذه من موت محقق .. لم - ينس عندما كبر - أنه ذئب. فافترس " الشاة " التى تبنته وأرضعته من ثديها الحنان والحب . !!!

واميركا فقدت مصداقيتها تماما .. لم تعد صالحة لقيادة العالم والقوة التى " تعربد " بها ستنقلب عليها حتما . ! من الداخل لا من الخارج .. من الشعب الاميركى نفسه لا من الصين أو ايران أو حتى " منغوليا " !

" ويقولون متى هو . ؟ قال عسى أن يكون قريبا " .. وقريبا جدا . !

* * *

ان قصة اكتشاف اميركا تكاد تكون صورة مكررة لقصة اكتشاف استراليا أى أن المسلمين هم أول من اكتشف اميركا . !!!

ان المسافة بين اميركا واستراليا تكاد تكون قريبة .. ولكن ليس جدا فأميركا واستراليا متصلتان بالمحيط الهادى أو الباسفيكى احداهما من جهة الشمال . وهى اميركا . والأخرى من جهة الجنوب وهى استراليا .

ان الطائرة تقطع المسافة بين نيويورك . و .."سيدنى" مرورا بالقاهرة والشرق الاقصى فى حوالى يومين . ولكنى إذا ركبت الطائرة من " سيدنى " واتجهت فورا الى " سان فرانسيسكو" فى غرب اميركا فانك تصل اليها فى حوالى تسع ساعات . !

غير ان المفاجأة تنتظرك هناك .. فإذا كان سفرك يوم جمعة من استراليا فستجد أن اليوم هو الخميس فى " سان فرانسيسكو " . !!!

انها منطقة تتشابك فيها الجغرافيا مع الزمن .. ! وتتضاءل بينها المسافات مع حركة الشمس والقمر . والمد والجزر !

* * *

لقد أشار الدكتور ت.ب. ايرفنج [١] فى حوار ممتع نشر فى سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، أشار الى وصول المسلمين الى أمريكا اللاتينية قبل وصول الأسبان الى العالم الجديد ، وكان هذا الوصول المبكر من مسلمى شمالى وغربى أفريقيا ، ومن مسلمى الأندلس ، ودعم رأيه بالعديد من الأدلة .

منها التقاليد الموروثة عند الهنود بالأمريكتين ، ومنها التأثير الأفريقى فى الصناعة التقليدية لدى الهنود الأمريكيين ومنها ما عثر عليه من آثار مكتوبة فى الصخر فى ٩٠ موقعا بأمريكا الجنوبية والوسطى كتبت بحروف من لغة الماندنج بغرب أفريقيا .

---

(١) استاذ بجامعة " تنيسى" (Tenecy) فى الولايات المتحدة

ومن الأدلة تلكم البعثات الكشفية التى أرسلها ملوك دولة مالى الإسلامية فى غربى أفريقيا فى عهد مانسى أبو بكر ، وحكى قصتها السلطان مانسى فى حجه الى البقاع المقدسة ، حين مر بالقاهرة وقص هذا على سلطان مصر ، وأشار إليها المؤرخ العمرى .

ولقد سبقت هذه الرحلات الكشفية الإسلامية وصول كولمبس بـ ١٨٠سنة ، ومن الأدلة التى اعتمد عليها دكتور ايرفنج فى اثبات وصول المسلمين الى العالم الجديد قبل كولمبس ، ما وجد من عملة معدنية عربية ضربت فى سنة ٨٠٠هـ ، واكتشفها فى سواحل أمريكا الجنوبية ، وترجع الى الاندلس ، مما يثبت ان مسلمى قرطبة، وصلوا الى العالم الجديد قبل كولمبس .

ولقد أشار المسعودى فى مروج الذهب (كتب سنة ٣٣٩هـ - ٩٥٦م) الى كتاب له " أكابر الزمان " أشار الى رحلات المسلمين عبر الاطلنطى الى العالم الجديد : استفاد منها كولومبس فى رحلاته الكشفية ، فلقد ذكر فى سجلات رحلاته :

ان الهنود الأمريكيين حدثوه عن علاقات تجارية سابقة مع الأفريقيين ، ولقد شاهد " أمريكو فسبوشى " فى وسط الاطلنطى فى عودته زوارق الماندينج من غامبيا فى غربى أفريقيا ، وهكذا كان الوصول الأول للاسلام الى العالم الجديد مبكرا ، وتلا ذلك وصول آخر تمثل فى المسلمين الذين قدموا مع الأسبان والبرتغاليين ، أولئك الذين كانوا يكتمون إسلامهم خوفا من بطش محاكم التفتيش الأسبانية والبرتغالية .

ولقد جمع عدد من الباحثين " الانثروبوليجين " أمثال " تيدور دويت" و" وليم برون" ، و"جمس هاميلتون" بعض المعلومات عن الرقيق المسلم بالولايات المتحدة ، حيث التقى "تيودور دويت" " بأيوب سليمان ديياللو" ، وكان أميرا مسلما استرق فى سنة ١١٤٤هـ - ١٧٣١م .

وهناك العديد من الباحثين الذين كتبوا عن تجارة الرقيق ، وكتبوا عن قصص واقعية لبعض أفراد الرقيق المسلم فى الولايات المتحدة والعالم الجديد .

ومن هذه القصص حياة " أبو بكر صديق" من تمبكتو" " مالى " ، وكانت من مراكز الاشعاع الإسلامى فى غربى أفريقيا قبل الاحتلال الأوروبى لهذه المناطق ، والتقى به الباحث الانجليزى " مادن (Maden) فى جاميكا فى سنة ١٢٥٠هـ- ١٨٣٤م وسلمه أبو بكر الصديق مخطوطين باللغة العربية ترجما الى الانجليزية فيما بعد كنموذج لحياة الرقيق المسلم فى العالم الجديد .

وهكذا كانت هذه الموجه من الرقيق الافريقى المسلم الذى جلب الى الولايات المتحدة ، وأجبر على التخلى عن عقيدته نتيجة التحديات ، فلا غرابة أن يعود الأفريقيون الى الإسلام فى الولايات المتحدة بمثل هذه الأعداد الكبيرة[1] .

ومنذ حوالى ثلث قرن ، نشرت صحيفة " نيويورك تايمز New York Times) [2] وفى صدر صفحتها الأولى وتحت عنوان : المسلمون السود يزحفون على واشنطن ، هذا المقال الذى ننقل بعض فقراته بالحرف :

" وصل مالكولم اكس اليوم ليتولى قيادة المسلمين فى عاصمة الدولة حيث توترت العلاقات العنصرية بصورة تدعو للقلق .

ولقد صرح مالكولم اكس بأنه سيظل القائد للحركة فى مدينة نيويورك وسيحتفظ بمسكنه هناك بالإضافة الى مسكنه فى واشنطن ، وقد أعفى القائد المحلى للحركة من أعباء وظيفته بسبب فشله فى الاستفادة من الفرص السانحة لتوسيع الحركة فى واشنطن .

وصف مالكولم اكس العلاقات العنصرية فى الولايات المتحدة بأنها تنذر بالانفجار ، وقال انه مالم تعمل أغلبية البيض بسرعة على منح الحقوق السياسية الكاملة للزنوج فإن الوضع قد يؤدى إلى اراقة الدماء .

ان البيض لا يفتحون الباب للسود ابداً ، وعلى السود الاعتماد التام

(١) الاقليات الاسلامية – سيد بكر .
(٢) فى يوم ١٩٦٣/٥/١٠م .

على أنفسهم وعليهم أن ينهضوا لتحسين كافة أحوالهم الإنسانية .

وقال قائد المسلمين السود :

(ان الزنوج فى هذه البلاد قد فقدوا الأمل فى الرؤساء ويئسوا من أصرار البيض على عدم منحهم لحقوقهم المشروعة) .

وقال مالكولم اكس : أنه ينوى الاشراف على كل الاجتماعات الجماهيرية للسود التى تعقد فى أمسيات الأحد بواشنطن ، وقال أنه يمنع البيض من حضور هذه الاجتماعات ، ليستطيع السود مناقشة مشاكلهم بصراحة تامة وبدون أى خوف ، وبذلك يتوصلون الى النتائج المطلوبة ، وقال ان ٥٤٪ من سكان المدينة من الزنوج .

وقل ان حل أزمة الزنوج فى واشنطن هو فى اعتناقهم للاسلام - دين المسلمين - ان المسيحية هى دين الرجل الأبيض وهى دائما تركز اهتمامها بالدور الذى يلعبه الرجل الأبيض ، أما الإسلام فلا يعترف بالألوان ولكنه يعترف فقط بالشخصية الإنسانية .

وفى مناقشته للنسبة العالية للجريمة فى أوساط الزنوج ، قال : ان الظروف التى خلقها البيض هى السبب فى ذلك . ان كل منظمات الاجرام فى تجارة المخدرات ، والرقيق الأبيض والميسر يديرها البيض . انك لن تجد زنجيا واحدا يحتل منصبا كبيرا فى هذه المنظمات .. أن الزنوج لا يملكون السفن والطائرات التى تستخدم فى تهريب المخدرات الى هذه البلاد .. ان الزنوج هم فى الواقع من ضحايا المجرمين البيض . !!!

ان قادة التنظيمات الزنجية المعروفة قد فشلوا فشلا ذريعا ، وذلك قياسا بالنتائج التى تحصل عليها السود فى مطالبتهم بالحقوق المدنية .

إننا نحن المسلمين السود لا نتكلم كثيرا ، ولكن نفضل ان يحكم علينا الناس بأعمالنا .

اننا لا نبشر بالبغض والعنف ، ولكننا نؤمن أنه إذا هاجم كلب به أربع

أرجل أو رجلان أحد السود فينبغى أن يقتل الكلب . !!!! لكن من هو مالكولم اكس ؟ [١] .

لقد ولد مالكولم اكس فى قلب المجتمع الأمريكى حيث يعتبر الزنجى الأسود مخلوقا منحطا لا قيمة له ، وقضى أكثر من طفولته خادما لأسر أمريكية من البيض ، تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة للبيض فى مدينة (ماديسون) بولاية ميتشجان ، ولكن معاملة البيض له زرعت فى نفسه بذور الحذر منهم وعدم الثقة بهم منذ حداثة سنه .

فقد سأله مدرس اللغة الانجليزية مرة عن نوع المهنة التى يرغب مزاولتها فى المستقبل فأجاب مالكولم اكس " المحاماه " .. الا أن - مدرسه نصحه بالعدول عن الفكرة والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاولتها .

هذا مع أنه كان دائما أحد الثلاثة الأوائل فى فصله . ؟ !

ترك مالكولم ولاية ميتشجان فى صيف عام ١٩٤٠ وهو فى الخامسة عشر من عمره واتجه الى مدينة بوسطن على الساحل الشرقى من الولايات المتحدة ليعيش مع أخت كبرى له هناك .

وكانت تلك الرحلة نقطة تحول هامة فى حياة مالكولم كما يروى هو عن نفسه فى ترجمته الشخصية ، لقد كانت رحلته نقله الى فصل آخر من فصول " مدرسة الحياة " التى كان مالكولم اكس تلميذا من أشهر وأنجب تلامذتها .

دخل مالكولم المراهق - آنذاك - فى بوسطن عالم الليل ينظف الأحذية فى النوادى الليلية ويغسل الصحون فى المطاعم والقطارات . كما دخل أيضا عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب ، وحيث تبنى الحياة كلها على الخداع والممالأة والتحايل والمكر والدهاء .. دخل مالكولم ذلك الخضم .. وأخذ نصيبه كاملا .. ونزل الى

(١) نقلا عن مجلة (The Menaret) التى تصدر فى لندن وانظر فى هذا أيضا كتاب " مالكولم اكس " الذى كتبه " اليكس هيلى " مؤلف كتاب " الجذور " (Alex Haley) .

أعماق مواخير الحياة الأمريكية حتى صار مدمن مخدرات ، مما دفعه الى عالم الاجرام والسرقة وانتهى به الأمر الى السجن . !

يقول مالكولم عن نفسه [1] .

لقد صرت اعتقد أن المرء يجب أن يقوم بأى عمل يجد فى نفسه كفاية من المكر والسؤ أو الوقاحة تمكنه من القيام به .. وأن المرأة لا تزيد عن كونها شيئا من الاشياء .

قبض على مالكولم فى جريمة سرقة ، وحكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات فى فبراير ١٩٤٦ وهو ما يزال دون الحادية والعشرين من عمره ، وكان السجن أيضا نقطة تحول جديدة ، وفصلا آخر من فصول المدرسة التى تخرج منها مالكولم بتفوق عجيب ألا وهى مدرسة الحياة ..

فى داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصى .

وفى داخل السجن تعلم فن الخطابة والنقاش ..

وفى داخل السجن أيضا تعرف على الاسلام ، وآمن به فكان ذلك أخطر تحول فى حياته ، وبداية مرحلة جديدة شاء الله أن تستمر حتى انتقل مالكولم الى ربه مؤمنا مجاهدا مرضيا .

تعرف مالكولم على الاسلام عن طريق منظمة تدعو الى الإسلام بين الزنوج فى الولايات المتحدة تسمى " بدولة الاسلام " ويرأسها رجل يسمى " ألايجا محمد " يدعى أنه رسول الله .. وأن الله سبحانه وتعالى - قد جاء الى أمريكا فى هيئة رجل - فى عام ١٩٢٨ " يسمى والاس فارض " وقابل ألايجا محمد وحمله رسالة الإسلام لنشرها بين السود فى أمريكا من أجل تحريريهم من قبضة " الشيطان " الذى هو الرجل الأبيض ... !!!

(١) أنظر فى ذلك كتاب " مالكولم إكس " الذى كتبه " اليكس هيلى " مؤلف كتاب " الجذور " طبعة نيويورك .

كان مفهوم مالكولم للإسلام عند خروجه من السجن مبنيا على ما وصله عن طريق ألايجا محمد وأتباعه . وكان ألايجا محمد شخصيا يكتب الرسائل لمالكولم اكس أثناء سجنه ، ودخل مالكولم منظمة " دولة الإسلام " ليكون من أنشط رجالها العاملين . فقد كان إيمان مالكولم وحساسيته وشعوره القوى بالمشكلة يدفعه دفعا للعمل ونشر الإسلام بين السود ، وكان لحركته وقدراته ومؤهلاته التى حصل عليها فى السجن الدور الكبير فى جعله الرجل الثانى بعد ألايجا محمد فى " دولة الإسلام " . وزاد عدد أتباع ألايجا محمد عشرة أضعاف فى خلال ثمان سنوات بمجهودات مالكولم اكس وأنشطته ..

وأهم من هذا وذاك أن مالكولم قد بدأ إذ ذاك يعرف حقيقة الإسلام الصحيح وبدأ يتبين سمو هذا الدين . وأنه الطريق الوحيد لبناء مجتمع إنسانى راق ، لا محل فيه لتفرقة عرقية ، ولاستغلال فئة من البشر فئه أخرى ، ووضحت لمالكولم اكس انذاك تلك الشقة الهائلة بين حقيقة الإسلام ، وبين تلك الدعوة الشوهاء التى يدعو اليها الايجا محمد باسم الإسلام وهى ليست من الإسلام فى شئ ، وتفتحت فى مالكولم عندئذ رغبة أصيلة وقوية فى معرفة هذا الدين معرفة وثيقة كى يصلح ما ساعد على بنائه من حركة زائفة تتسمى باسم الإسلام .

وخرج مالكولم من الولايات المتحدة فى أوائل ربيع ١٩٦٤ ، ميمما شطر مكة وقاصدا أداء فريضة الحج .

وكان الحج تجربة هزت كيانه من الأعماق . فقد شهد فى عرفة ومنى ومكة حقيقة المساواة بين الناس التى ينادى بها الإسلام ، ويطبقها المسلمون ، وكتب الى صديق له يقول :

" لقد شهدت هنا ما لم أحلم به من قبل فى حياتى . لقد عشت أسبوعا فى خيمة واحدة مع أناس كانت شعورهم أشد صفرة من الذهب وعيونهم فى مثل زرقة السماء ، ولم ألمس شيئا فى حديثهم يدل على أن كلمتى " أسود "

و"أبيض" تعنيان بالنسبة لهم أى شئ أكثر من اشارتهم الى اللونين الذين تدلان عليهما ، ولقد تبينت أن ذلك انما ينبعث من التربية التى يعلمها الإسلام ......

قضى مالكولم اكس شهرين بعد الحج فى البلاد الإسلامية ، يعمل جاهدا على تعلم أكبر قدر ممكن عن الإسلام وتشريعاته التى يقوم عليها ، وعاد الى الولايات المتحدة ، وكتب يقول :

" ان مهمتنا الأولى هى تحطيم ما أنفقنا عشر سنوات فى بنائه " .

فقد هاله أن يكون عمله السابق إنما يسهم فى إقامة ذلك الزيف الذى يتسمى باسم الإسلام ويخدر السود بأحلام عذبة ، دون أن يكون وراءها شئ من الحقيقة ، وقد بدأ مالكولم اكس سعيه وجهاده فى هذا السبيل بتكوين منظمة أسماها " المسجد الاتحادى " تعمل على نشر الإسلام الصحيح وتقصر نشاطها على البرامج الإسلامية الصرفة .

وأخذ مالكولم من جهة أخرى يعمل فى سبيل تحرير السود فى أمريكا ورفع مستواهم فى المجالات التعليمية والاقتصادية والروحية وكون لهذا الغرض منظمة " الوحدة الأفريقية الأمريكية " وجعل من أوائل أهدافها رفع قضية السود فى أمريكا الى محكمة العدل الدولية والأمم المتحدة ، على أساس أن السود يطالبون بحقولهم الإنسانية .. لا بحقوقهم المدنية فحسب ، وكان يقول " إذا لم تعط حقوقك الإنسانية فان من المستحيل عليك أن تصل الى حقوقك المدنية " ..

بلغ نشاط مالكولم اكس ذروته بعد عودته من الحج وكانت طفرة هائلة . تلك التى نقلت الفتى المتشرد الذى سار شوطا واسعا فى طريق الإجرام وجعلت منه ذلك الانسان العملاق الداعية الى الخير والهدى والطريق المستقيم .نعم انها لطفره واسعة تلك التى وصلت بمالكولم اكس الى أن يكون تلميذا من تلامذة معلم الخير (صلى الله عليه وسلم) .

وأن يكون داعية الى الله على بصيرة وهدى من الله ..

وفى فبراير ١٩٦٥م وقف " مالكولم " ليخطب داعيا الى الله ... فإذا بالرصاص ينهال عليه ويخر " مالكولم " شهيدا فى سبيل الله [١] ؟ !!!

* * *

نعود مرة ثانية الى دعاة الإسلام الأوائل فى أمريكا ...

لقد ظهر فى حى السود الأمريكيين ببلدة " دترويت " رجل غريب فى صورة "ملا" [٢] يدعو نفسه " والاس فارد محمد " وجنسيته لم تكن معروفة أو محققة .. ويقال إنه من أصل هندى ..

كما قيل أنه فى بداية أمره كان يحدث السود بأنه جاء من مكة وأنه ابن ثرى من أثرياء قبيلة قريش .

ويقال أنه أصلا من بلاد جاميكا مولود من أب سورى مسلم .

كما يقال أنه من أصل فلسطينى شارك فى عدة حركات ضد التمييز العنصرى فى الهند وجنوب أفريقيا ولندن قبل مجيئه الى بلدة "دترويت" بامريكا .

ويقال أنه تثقف فى جامعة لندن وقد أعد نفسه لأن يكون دبلوماسيا يعمل فى الدولة الحجازية ولكنه ضحى بمستقبله ليحقق الحرية والعدالة والمساواة للسود فى أمريكا المتوحشة .

كما يقال بأنه من مواليد تركيا ومن عملاء النازيين الذين عملوا مع هتلر فى الحرب العالمية الثانية ..

ويحكى أحد أتباعه الأوائل قصة ظهوره فى بداية الأمر بقوله :

" أنه كان يطرق المنازل لبيع الملابس الواقية من المطر وبعد ذلك صار يبيع الحرير (وبهذه الطريقة استطاع أن يصل الى داخل المنازل حيث أن المرأة تحب أن ترى الأشياء الجميلة وتتطلع الى ما بأيدى الباعة المتجولين ، لتختار الأجمل والأحسن .. !

(١)كانت السى اى . ايه (C.I.A) وراء جريمة الاغتيال .

(٢)" الملا" هو العالم الدينى المسلم باللغة الفارسية .

لقد أخبرنا أن هذا الحرير الذى يبيعه هو مثل نوع الحرير الذى يلبسه أبناء جلدتنا من الأفريقيين فى بلادهم ، وأنه جاء به من هناك مما دعانا أن نسأله أن يخبرنا عن بلادنا الافريقية . استجاب لهذه الرغبة ولكنه أقترح أن يكون الاجتماع بمنزل أحد الأشخاص لسماع قصته .

يذكر أحد أوائل المستمعين اليه قوله :

(اسمى والاس فارض جئت من المدينة المقدسة مكة وسأحدثكم عن نفسى بأكثر من هذا ، ولكن ليس الآن حيث أن الوقت غير مناسب لذلك أنا أخوكم ، وأنتم لم ترونى فى عباءتى الملكية .. وهو فاتح اللون وملامحه شرقية تؤيد الاعتقاد بأنه من المسلمين) ..

وقد تابع والاس مقابلته للسود فى مجموعات صغيرة بالمنازل مصغيا لمشاكل المحرومين منهم ومشاركا لهم فيما يقدمونه ..

وكان يحدثهم بأن " رسالته هى : تحقيق الحرية والعدالة والمساواة لاخوانه السود فى شمال أمريكا الذين قال عنهم بأنهم ينتمون الى الجنس الذى ينتمى اليه ، وكان يعبر عن الأمة السوداء فى حديثه بأنهم أعمامه وعن مقابلهم من البيض بأنهم الشياطين ذو العيون الزرقاء ". !

انتشر خبر والاس فارض على أنه نبى مبعوث للسود وكثر المستمعون والتابعون له فأنشأ أول معبد سماه " معبد الاسلام" وكلما ازداد عدد أتباعه ازداد شجاعة وهجوما ضد عادات السود السيئة التى عرفوا بها فى امريكا والتى تستخدم ضدهم للضغط والتمييز ..

وأول ما بدأ تعليمه لاتباعه هو رفضهم لأن يسموا بالزنوج "Negro" لأن كلمة زنجى انما هى من اختراع الرجل الأبيض والتى أطلقها على الرجل الأسود ليتميز بذلك الاسم وليفصله عن اخوانه الآسيويين والأفريقيين ..

استمر "فارض" فى التبشير ضد الرجل الابيض ، ومما أخبر به أنه جاء فى كتاب الوحى وعد بأن ستكون حرب مصيرية بين الحق والباطل وأنها

ستكون فى جبل آرماجدون [1] من آسيا وأن فى التوراة رسالة خفية لانشاء ما يسمى بالاسلام الأسود ، وأن الحرب بين الحق والباطل هى الحرب بين البيض والسود ، وأن وادى " ايسدرلون" الذى ستكون به المعركة انما هو رمز للوحشية فى أمريكا الشمالية ، وأن حرب السود للبيض ستكون المواجهة الأخيرة للحرب العنصرية التى يرزح تحتها السود منذ وقت طويل . !

كما كان يخبر أتباعه عن تاريخ آسيا وأفريقيا فى صورة مشوقة ، وقد استطاع بمهارة عجيبة أن يستفيد من المؤلفات المكتوبة فى هذا الصدد ، كما استطاع أن يستفيد من القرآن والتوراة ليعرف أتباعه السود على أنفسهم من خلال ما يسرد عليهم من الأحداث التاريخية .

كما علم أتباعه أن كلمة "GOD" حقيقة لفظها هو لفظ الجلاله " الله "، وبطريقة هادئة بطيئة استطاع أن يحول أتباعه من التوراة والانجيل الى القرآن ، كما ازداد تحمسه ضد البيض ..

أما مبادؤه وعقائده السرية فقد أوضحها فى نص مكتوب بعنوان : " تعاليم أمة الاسلام المفقودة المكتشفة بطريقة حسابية " .

وهناك نصوص أخرى للطقوس والشعائر الخفية " لأمة الاسلام " والتى يتناقلها أفراد الجمعية بصورة شفهية ، يحفظها الطلاب فى مدارسهم عن ظهر قلب . ويوجد نص آخر يذكر فيه المبادئ السرية لجماعة : " أمة الاسلام " .

يذكر بعض أساتذة علم الاجتماع بجامعة " متشجن " بأمريكا أنه رأى هذه النصوص فى أواخر عام ١٩٣٠م ، وتجمل هذه المبادئ فى الآتى :

" الرجال السود فى أمريكا الشمالية ليسوا زنوجا ،

ولكنهم أعضاء من القبيلة الضائعة شاباز ،

سرقهم التجار من المدينة المقدسة " مكة "

(١) أرماجدون أو هرمجدون . مكان فى فلسطين يقال ان المسيح سيظهر فيه ليحكم العالم ! انظر فى هذا كتاب " النبوءة والسياسه " تأليف الكاتبة الامريكية " جريس هاللى " .

منـــذ ثلاثمائـــة وتســع وسبعــين سنــة .
جاء النبى الى أمريكا ليبحث ويعيد الحياة
الى الاخوة المفقودين زمنا طويلا والذين سرقهم
القوقازيون " البيض " فسلبوهم لغتهم وقوميتهم ودينهم .
هنـا فـى أمريكـا يعيش السـود بغيـر أنفسهم ويجب
أن يعلموا أنهم هم الناس الأصليون وأنبل
أمــة علــى وجــه الأرض .. !!! " ..

* * *

هذه صورة مختصرة عما كتب عن الإسلام وعن كيفية وصوله الى أميركا .

وحين نقول أميركا . فاننا نعنى بهذه الكلمة أميركا الشمالية كندا والولايات المتحدة .

وأميركا الجنوبية التى تشمل أقطارا عديدة كالبرازيل والارجنتين وشيبلى ، وفنزويلا ..

كما يدخل فى مدلول هذه الكلمة جزر البحر الكاريبى مثل : ترينداد وهايتى ، وجامايكا ..

وقد حدثت حركة تصحيح كبرى للمفاهيم الخاطئة التى اعتنقها "اليجا محمد" . وقد بدأت هذه الحركة على أيدى الشهيد مالكولم اكس ومحمد على كلاى .. ثم بعد وفاة " اليجا " نفسه . حيث قام ابنه " وارث الدين " تدريجيا بتصحيح الاخطاء التى كان أبوه يروج لها ويدعو غيره الى الايمان بها .

* * *

وهناك فى الولايات المتحدة وغيرها أكثر من ١٥٠٠ ألف وخمسمائة مسجد ومركز إسلامى .

ويقترب عـدد المسلمين فى أميركا وكندا من " عشرة ملايين" مسلم ولايزال العـدد يزداد . كـمـا لا تزال المسـاجـد تبنى وتقـام . وان كـان ذلك يختلف من دولة الى دولة لاختـلاف العـدد . واختـلاف الامكـانيـات حيث يظهـر هذا النشـاط فى الولايات المتـحـدة جليـا وواضـحـا عن غـيـره فى دول الجنوب والشمال .

أولا : لأن حركة المسلمين السود حركة فعالة ومؤثرة وتملك امكانات هائلة .

وثانيا : لأن معظم المهاجرين من الدول العربيـة والاسلامية يقيمون فى الولايات المتحدة الامريكية .

* * *

لقد نشـرت مجلة " نيـوز ويك " منذ بضع سنوات أن المذاهب والديانات المنتشرة فى الولايات المتحدة أكثر من مائتى مذهب وديانة وهل يصدق أحد أن الشـيـطان [1] قد أصبح الها فى أميـركـا ؟ وأن هناك كنائس تقـدم فـيـهـا الطقوس الى هذا الشيطان وزبانيته .. !

ان رجـلا اسـمـه " المهـاريشى" وهـو راهب هندى استـطاع تأسيس مملكة لحساب نحلته الوثنية . واستطاع انشاء جامعات ومصانع ومحطات تلفزيون وإذاعة تبث إرسالها ليلا ونهارا للتبشير بمذهبه وديانته .

و" صن مون " الكورى ... انه هو الآخر توج نفسه نبيا . وضـاعف من عـدد أتبـاعـه وثروته حتى أصبح امبراطورا . ويزعـم فـيـمـا يزعـم أن المسـيـح كلمـه وحدثـه منذ خمـسـين عـامـا ليـتـولى شـئـون العـالـم الى أن يجئ - أى المسيح - الى هذه الحياة مرة ثانية .. !

وهل سمعتم بـ " رشاد خليفه " الذى أعلن هو الآخر نفسه نبيا .. ؟ ؟

لقد قرأت مـا كتبـه هذا المارق فـأيقنت أن العـقل والعلم قد اختـفـيـا تمـامـا من عقول الشعب الامريكى .. !

(١) وقد وصلت " بركات" هذا الشيطان الى مصر والكويت !!! .

ان الفراغ هائل .. والطريق أمام الاسلام سالكة وواسعة ..

ولكن أين الدعاة .. ؟؟ أين المخلصون المتجردون فى دعوتهم الى الله .. ؟؟

* * *

منذ سنوات قرأت قصة عن ثلاثة من جماعة " التبليغ" كانوا قد سافروا الى أميركا . وفى الشارع رقم ٥١ بمدينة نيويورك توجهوا الى منزل صديق لينزلوا عنده .. وكانت الصدمة أن هذا الصديق رحل من البيت .. فاستأذنوا صاحب البيت أن يقضوا ليلتهم فى مدخل البيت الى أن تشرق الشمس ..

وهنا قاموا لأداء صلاة العشاء لقد أذن واحد منهم وتقدم آخر ليؤمهم فى الصلاة . كان شابا صالحا وتقيا ، وما كاد يتقدم للصلاة ثم يبدأ التلاوة حتى ظهر صاحب البيت ووقف خلفهم ليرى ماذا يفعل هؤلاء الغرباء .. كان صوت الامام رخيما . وكان خشوعه عميقا .. لقد بكى وهو يقرأ . ثم بكى مَنْ وراءه تأثرا بهذا الامام التقى الخاشع ..

وحين فرغوا من أداء الصلاة أقبل عليهم صاحب البيت ودعاهم للصعود الى شقته . وقدم اليهم طعام العشاء الذى كلفه كثيرا نظرا لغيبة زوجته وبدأ النقاش والحوار ..

من أنتم ؟ وما دينكم ؟ .. وما كاد الرجل يتعرف على الاسلام حتى قال لهم :

" تعالوا معى الى المكتبة . لقد فوجئوا بمئات الكتب التى تتحدث عن الأديان - ما عدا الاسلام طبعا - ..

وهنا قال لهم الرجل :

لقد قضيت أكثر من عشر سنوات أقرأ ، وأبحث ، وأناقش . فلم أجد فى أى دين من كل الديانات التى درستها ما يملأ قلبى بالطمأنينة ، أو يربط عقلى بالحكمة ..

أما أنتم .. ففى أقل من نصف ساعة انتشلتمونى الى الحقيقة التى قضيت عشر سنوات فى البحث عنها فلم أجدها الا فى النصف الساعة التى تعرفت فيها عليكم .. !

وفى الصباح اتصل الرجل بزوجته فى وشنطن لقد دعاها الى الحضور الى نيويورك فورا لأن بعض الملائكة قد سكنوا فى البيت فعلا .. !

وأسلم الرجل .. كما أسلمت زوجته .. وتحول البيت بعد ذلك الى مسجد للعبادة ، والى مركز للدعوة ، والى ندوة يلتقى فيها الباحثون عن الحق والحقيقية ..

* * *

فى لقاء مع الدكتور " فاروق عبد الحق " أو " روبرت كرين " وكان مستشارا سابقا للرئيس " نيكسون" .

لقد دار بينه وبين احدى المجلات التى تصدر فى لندن هذا الحوار [١] .

كيف اهتديت الى الاسلام ؟

فى عام ١٩٨٠م وعلى أثر أنتصار الثورة الإسلامية فى إيران ، ازداد اهتمام الناس فى الغرب بالاسلام ، ولم يكن اهتمامهم اعجابا به وانما اعتبروه تهديدا لهم ، لذلك تنادى العديد من صناع الفكر الى عقد الندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع . وقد حضرت أحد هذه المؤتمرات كى أرى ماهية هذه الدراسات والاطروحات المقدمة . (فى خريف ١٩٨٠م) وكان مشاركا فى المؤتمر الكثير من قادة الفكر الاسلامى .

ولماذا أطلقت على نفسك اسم فاروق عبد الحق ؟

لأننى اؤمن بالعدل والقانون وأسعى جاهدا لتطبيق العدل والفاروق عمر بن الخطاب كان من أشهر الخلفاء المسلمين بتطبيقه للعدل وهكذا لم أجد

(١) مجلة النور " جمادى الأخرة " ١٤١٦هـ- نوفمبر ١٩٩٥م .

اسما أكثر تعبيرا من فاروق عبد الحق .. فتسميت به بعد أن اشهرت اسلامي .

هل يمكن الحديث عن الهاجس الذى يسكنك والذى وجدت فى الاسلام اجابة له ؟

كان والدى يعمل استاذا فى جامعة هارفارد ، وقد علمنى ان اهتم وأدافع عما هو صواب ، وأن أحاول تجنب الخطأ . وقد قضيت معظم وقتى فى التحرى عن العدل والعدالة قبل أن أصبح مسلما .

وفي الندوة التى جمعتنى مع البروفسور روجيه غارودى فى دمشق سمعته يتحدث ويهاجم الرأسمالية منذ كان شيوعيا ، وكلانا كان لديه نفس الهدف وهو ان يدعم العدالة . وكلانا كان ضد التركيز على الثروة ، لان الاهتمام بجمع الثروة ليس بعدل . لقد اتبع غارودى المبدأ الماركسى الذى يسعى لتحطيم الملكية ، فى حين اننى كنت اعتبر الملكية مفتاحا للحرية . لكن كلانا كان يرى ان الملكية تؤدى فى النهاية الى الظلم وعدم انتشار العدل..وكلانا كان يدعو الى نظام يدعو الى انتاج واعطاء العدالة للجميع .. لذلك وجدنا ان الاسلام هو الحل الوحيد . فهو الذى يحمل العدالة فى مقاصد الشريعة وفى الكليات والجزئيات والضروريات ، وانا كمحام كنت اسعى الى مبادئ ليست من وضع البشر .

وأشير هنا الى أن تعطيل معرفة اهداف ومقاصد الشريعة يعتبر احد الاسباب الهامة فى انحطاط الحضارة الاسلامية .. فالمفتاح الى الاسلام هو استعمال العقل والمتابعة للوصول الى الحقيقة . والحقيقة تحتوى على الهدف والقصد ، لذلك فعندما يبحث الانسان عن المعنى فى هذا العالم . والهدف من وراء هذا المعنى . عندها يمكن للانسان ان يستعمل ويخترع الحقيقة العلمية فعندما نعلم ما هو الهدف من كل شئ فى هذا العالم نستطيع ان نتوصل الى المعنى العلمى لهذا الوجود .

ويمكن القول هنا ان قادة الفكر الاسلامى فقدوا هذا البحث عن المقاصد

والغايات منذ ما يزيد عن ٣٠٠ سنة ، لقد ارادوا ان يستمروا ويبقوا وليس ان يتوصلوا الى هدف اسمى وأعلى فى المجتمع ، وكانت هذه نهاية التفكير الاسلامى ونهاية الازدهار الاسلامى .

اننى عندما ذهبت الى جامعة هارفارد وحصلت على شهادتى فى القانون . مكثت هناك ثلاث سنوات لم اسمع خلالها كلمة العدل ولا مرة واحدة ؟ هدف العدل هو ان يخلق النظام والاستقرار فى المجتمع وبدون هذه المعانى ستعم الفوضى وعدم الاستقرار .

واذكر هنا حادثة كان لها اثر كبير فى حياتى ففى عام ١٩٤٨م سافرت الى المانيا لادرس الصراع بين الحق والباطل فى الروحانيات ، وكان هناك الكثير من الطلاب الذين يدرسون فى هذا الحقل فقد راعهم ما حدث على يدى النازية والهتلرية إبان الحرب العالمية الثانية . وكانت هذه الدراسات تدار من قبل حركات سرية كانت ضد الشيوعية كما كانت ضد النازية .، وقد حاولت الذهاب الى المانيا الشرقية لا قوم ببحث حول هذه الحركات السرية حيث القى القبض على مرتين واستطعت الهرب . وكان هذا من احد الاسباب فى ان امضى بقية حياتى اقاتل الشيوعية .

وكيف تم اختيارك مستشارا للشؤون الخارجية الاميركية ؟

فى عام ١٩٦٣م كتبت مقالة طويلة عن الصراع بين روسيا واميركا وقد قرأ الرئيس نيكسون هذه المقالة وهو فى الطائرة واستدعانى بعدها وكلفنى بوضع كتاب عن السياسة الخارجية الاميركية وعن الشيوعية ، ثم عملت مستشارا للشؤون الخارجية منذ عام ١٩٦٨م وكنتيجة لهذا الكتاب عينت نائبا للرئيس نيكسون للامن القومى فى البيت الابيض وكان هناك اربعة نواب للرئيس كنت أحدهم وفى عام ١٩٦٩ عندما استلم هنرى كيسنجر وزارة الخارجية انهى عملى بسبب ٢٥ ورقة كانت فى كتابى تضمنت موضوع فلسطين وقد اقترحت يومها تشكل دولتين : يهودية وفلسطينية وقد بحث هذا الموضوع لسنوت عديدة على أعلى المستويات فى دوائر الولايات

المتحدة وفى البيت الابيض ولكن كيسنجر كان ضد كل انسان يبحث فى هذا الموضوع .. ووقف كيسنجر ضدى فى كل مجال دخلت أو عملت فيه . ثم عيننى نيكسون نائبا لإدارة شؤون احدى الولايات فى البيت الابيض . كما عملت فى مسألة " وتر غيت " .

هل يمكن لمسلم اميركى ان يستلم منصبا سياسيا فى الإدارة الاميركية ؟ .

على الصعيد الشخصى لم استلم اى منصب منذ إسلامى . وإذا أراد الانسان ان يقوم بدور مؤثر فيجب أن تكون هناك قوى متضافرة وليس شخصا واحدا . نحن بحاجة الى مصانع فكر إسلامى لكى يشرحوا للاميركيين كيف يجب على اميركا ان تدير سياستها الخارجية . وان يبينوا ان العدل هو الطريق الطويل الذى يجب ان تسلكه اميركا .

السياسة الاميركية الآن تريد أن تبقى على الامور كما هى حتى ولو كان العالم مظلوما .. فما علينا الا ان نسعى الى الطريق الذى يؤمن العدالة ويؤمن الاستقرار لهذا العالم . لكن مفهوم العدالة يجب أن يشرح ويقدم بشكل صحيح الى الاميركان . بمعنى آخر مصانع الفكر الاسلامى هى التى يجب ان تصون الفرد والتراث الاميركى . ويجب على هؤلاء ان يعملوا أيضا مع صناع الافكار الاخرين الموجودين فى اميركا .. فهناك مصنع للافكار للذين يريدون ان يفعلوا نفس الشئ ولكنهم يحتاجون الى فكر إسلامى لكى يؤمن لهم النجاح . اى يجب على المسلم الاميركى ان يفكر كأميركى قبل كل شئ .. وقد عملت بصفتى مديرا للمجلس الاسلامى فى اميركا ورئيسا للمحامين الاسلاميين فى اميركا . عملت مع قادة الكونغرس ، وقد تحدثت مع " لى هاملتون" وهو احدى الشخصيات التى تصوغ السياسة الاميركية وسألته :

هل يمكن لاصحاب الفكر الاسلامى فى اميركا ان يحدثوا اى تأثير على السياسة الاميركية ؟ وكان سعيدا عندما سمع هذا الكلام وقال انه كان يحضر اجتماعات حول تأثير الإسلام والمفكرين الإسلاميين .. وهذه

الاجتماعات كانت تعقد فى الكونغرس أو فى الدوائر الاميركية الاخرى ولم يقابل مسلما خلال كل هذه الاجتماعات . وأضاف إذا كان هناك من المسلمين من لديهم المعرفة بالسياسة الاميركية فهو يتمنى ان يراهم ويناقشهم وهو يرحب بهم .

وبالتالى لابد أن تتضافر الجهود من أجل العمل مع الجهات الاخرى ونحن لانزال بانتظار هذه الفئة من اصحاب الفكر الرفيع المستوى .

مرة ثانية هل هناك اى مسلم يستلم منصبا سياسيا فى الولايات المتحدة الاميركية ؟

على حد علمي لا يوجد حتى الآن اى مسلم ، ولكن اذا علمنا - كما اسلفنا - فيجب أن ننتظر جيلا قادما ، فقد يكون الجيل الثانى من المسلمين اكثر تأهيلا لاستلام مناصب سياسية فى اميركا ولقيادة هذه الحركة المتمسكة بتراثها ، والذين يعملون على إحياء التراث الإسلامى فى اميركا . وهم مهتمون بازدهار اميركا ، بامكانهم أن يكونوا نواة لحركة فكرية هناك .

انا لست قلقا على بقاء الإسلام فى اميركا . وهذا الجيل الجديد قادر على القيام بهذه المهمة . وهذا واضح فهى إرادة الله .

ما هى اولويات العمل الإسلامى فى هذه المرحلة ؟

فى اعتقادى انه يجب التركيز على بناء فكر عال للمفهوم الإسلامى بين الشباب بشكل خاص . يجب أن يفهموا العالم الحديث ويجدوا ردودا إسلامية لكل المشاكل المطروحة فى المجتمع .

ومن جانب آخر يجب أن ننمى ونطور قيادة فكرية بين المسلمين وفى كل حقول المعرفة . ويكون الهدف من كلا الامرين هو تدعيم العدل والعدالة فى العالم .. وهذا يجعل الإسلام قوة إيجابية من أجل الخير فى العالم . وهذه الاولويات تنطبق على الغرب كما تنطبق على العالم الإسلامى .

يتهم الغرب المسلمين بالارهاب . ما رأيك بهذا وكيف تفهم الجهاد فى الإسلام ؟

(١) الجهاد الاكبر : هو ان نصفى وننقى انفسنا وبدون هذا لانحقق أى شئ .

(٢) الجهاد الكبير : كما يقول القرآن الكريم : ﴿ وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴾ (سورة الفرقان ، ٥٢) وهذا الجهاد يشير الى استعمال افكارنا وعقولنا فى سبيل نشر الإسلام وافكار الإسلام .

(٣) الجهاد الاصغر : وهو يتطلب عملا يتلائم مع المفهوم الإسلامى أى إذا رأيت باطلا فعليك أن تقاومه وكما يقول : النبى صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليقومه بيده وان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

ويمكن أن نصل أحيانا إلى حلول أشد نجاعة وتأثيرا إذا لم نستعمل العنف ، ولكن هذا يتطلب وقتا أطول على الاغلب ، واحيانا لا نملك الوقت الكافى كى ننتظر ، فإذا هوجم الانسان فلا وقت لديه للانتظار ولابد من الرد بعنف على الهجوم . ومثال على هذا هؤلاء الذين يهاجمون الفلسطينيين ، فما على الانسان إلا ان يرد ويدافع عن نفسه وهذا الحق باللجوء الى العنف لاستعادتها .

السؤال إذًا متى وأين يجب أن نتخلى عن العنف ؟

هذه مسألة يقررها الانسان حسب الظروف . احيانا العنف مطلوب للدفاع عن النفس ، وخاصة إذا كانت هناك فرصة للنجاح . وان كانت الفرصة ضعيفة علينا ان ننتظر حتى تصبح الظروف مواتية لذلك النجاح .

وماذا عن اتهام الغرب للاسلام والمسلمين بالارهاب ؟

الواقع ان اميركا تقاد من قبل الصهيونية ، ولهذا فهم يعتقدون بأن استعمال أى قوة ضد اليهود أو ضد المصالح الاميركية هو إرهاب .. كما

يعتبرون بأن كل انسان يجابه " إسرائيل " (إرهابيا) .. وهذه عبارة قذرة لانك إذا لم تجابه " إسرائيل " ودعمت القضية الصهيونية فانت لست إرهابيا في نظرهم ! . انها كلمة يستعملونها لتدعيم اهداف ومطامح " إسرائيل " . وهذا ينطبق على أى شعب أخر يريد أن يناضل من أجل حريته . فمثلا فى كشمير يقاتلون من أجل حريتهم وهذا ارهاب من وجهة نظرهم .

هل يسمح الغرب للإسلام ان يشكل قوة يكون لها فعل فى المجتمع الدولى ؟

لن يرضى الغرب أبدا بوجود هذه القوة الإسلامية ، فهو يسعى حسب وجهة نظره ، الى قانون مستقر ، وفى اعتقاده ان الإسلام يشكل تهديدا خطيرا له . والحل الوحيد لنجاح الإسلام والمسلمين هو أن يؤسلموا السياسة الغربية ، ويبينوا بأن الأفكار الإسلامية هى لصالح الناس جميعا ، والشعب الاميركى هو أقرب الشعوب للإيمان بهذا لأن عقيدتهم تتماشى بالاساس مع هذا المفهوم من المفاهيم الإسلامية .

يتهم الإسلام بموقفه من المرأة فكيف تفهم موقف الإسلام من المرأة ؟

هناك نوعان من الإسلام : الإسلام الحقيقى ، والإسلام الجاهلى - ان صح التعبير - وهذه الجاهلية هى التى تريد ان تعود بالمرأة الى واقعها قبل ظهور الإسلام ، حيث لم يكن للمرأة حقوق ، ولكنها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم تسلمت كل مقاليد الحكم فكانت هناك مشاركة للمرأة على كل الاصعدة فضلا عن كونهن زوجات صالحات وأمهات صالحات ، وإذا لم يقمن بهذه المسؤولية فان الحضارة ستسير نحو الانهيار ، فالرجل له دور والمرأة لها دور . وقد أعطى الإسلام الحق للمرأة بالتصرف فى ملكيتها ، وهو امر غير معمول به فى الغرب حتى الآن .

والمشكلة هى أن بعض المسلمين فى الشرق أو فى الغرب لا يفهمون التعاليم الحقيقية للإسلام فيما يخص المرأة . لذلك فهم لا يمارسون التعاليم الإسلامية فى هذا المجال ، ومن الصعب ان تفهم الغربيين حقيقة الإسلام لأن

الكثير من المسلمين الذين يعيشون فى الغرب لايمارسون ولايعيشون حسب تعاليم الإسلام .

* * *

ان الإسلام ينتشر فى الولايات المتحدة .. والفطرة الإسلامية تكسب كل يوم مزيدا من المؤمنين بالله الواحد الأحد . وبالرغم من حملات التشويه والكراهية التى يشنها اليهود ومن يناصرهم فالإسلام ينمو ويزدهر .. والمسلمون يتزايدون يوما بعد يوم . فهناك عشرة ملايين مسلم ومسلمة ينتشرون فى جميع الولايات والدعوة الإسلامية تشق طريقها بين جميع الافراد ولن يتأخر كثيرا هذا اليوم الذى يبلغ فيه المسلمون عشرات الملايين إذا أحسن المسلمون اختيار الدعاة .. واخلصوا النية لله فى الدعوة الى الله .. !!!

ان الإسلام فى أميركا يحتاج إلى دعاة يحسنون القول كما يحسنون العمل . دعاة يتجسد الإسلام فيهم صورا نورانية متحركة .

ويعجبنى قول أحد كبار الدعاة حين يشبه الإسلام بالحليب الأبيض الصافى النقى .. إذا قدمته فى كوب ملوث أو كوب قذر عافته النفس واشمأزت منه .. وكذلك الإسلام إذا لم يقدمه دعاة على مستوى هذا الدين وعظمته وطهارته نفرت منه النفس . وشاح عنه الوجه .. ؟ !

* * *

وفى مصر سمعت هذه النكتة .

تقول هذه النكتة :

ان سائحا أمريكيا كان يركب حمارا يتجول به فى منطقة الاهرامات وفى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا سمع صوت مؤذن يدعو المؤمنين الى الصلاة .. كان صوت المؤذن جميلا . وعميقا . ومؤثرا .

فسأل السائح الأميركى صاحب الحمار عن مصدر هذا الصوت ..

وماذا يقول هذا الرجل الذى يصدر عنه هذا الصوت . فقال صاحب الحمار .. هذا هو الإسلام .. وهنا قال السائح ان الإسلام جميل جدا وعذب جدا .. ولابد أن أكون مسلما .. !

ومرت ثلاث ساعات . وحان وقت صلاة العصر أمام مسجد آخر ومن سؤ الحظ أن صوت المؤذن هذه المرة كان يختلف عن صوت المؤذن الأول فى كل شئ . فسأل السائح صاحب الحمار للمرة الثانية ما هذا ؟ .. وهنا ضرب صاحب الحمار على مؤخرة الحمار بعصا طويلة وهو يقول لحماره فى نفسه اسرع ، حتى لا يعود صاحبنا الأميركى الى الكفر مرة ثانية ... !!!

* * *

يقول الصحفى المصرى المرحوم مصطفى شردى :

جلست أتابع البرنامج المثير على شاشة احدى شبكات التليفزيون الامريكى . كان الحوار حول الأمن فى بعض أحياء نيويورك ، وهذه واحدة من القضايا التى يوليها الرأى العام هناك اهتماما كبيرا . وتحدث رجل شرطة مسئول عن حى اشتهر بأن الجرائم ترتكب فيه يوميا فى رائعة النهار . كما اشتهر بأنه الوكر الرئيسى لعدد من زعماء العصابات التى تتاجر بالمخدرات . وقال رجل الشرطة أن ذلك الحى ضرب الارقام المسجلة لعدد الجرائم من كل لون وأن رجاله شعروا باليأس بعد نضال طويل أدى الى مصرع العديد منهم . حتى أنهم طالبوا بترك الحى وشأنه دون تدخل من جانبهم .. !

وأضاف رجل الشرطة قائلا : فجأة تقدمت الينا مجموعة من سكان الحى وكانوا جميعا من السود ، وقال لنا قائد المجموعة أن الحى يسكن فيه عدد كبير من المسلمين الامريكيين ، من السود والبيض ، وانهم جميعا فى حالة استياء من تدهور الوضع الأمنى فى الحى الذى يهدد الخطر سكانه ، وانهم عقدوا اجتماعا عندما لاحظوا تقلص نشاط رجال الشرطة وتزايد حركة العصابات وقرروا أن يطهروا حيهم بأنفسهم ويفرضوا فيه الأمن حتى يعيش

سكانه فى سلام ، إلا أنهم بحاجة الى مساعدة رجال الشرطة فى البداية ، للقبض على مجموعة زعماء العصابات ، وتعهدوا بأن يتحملوا المسئولية بعد ذلك .

ومضى رجل الشرطة يقول : درسنا الفكرة ، كانت جيدة تماما وحصلنا على موافقة لتنفيذها . وخلال فترة وجيزة ، وبمساعدة تلك المجموعة من المسلمين قبضنا على عدد كبير من زعماء العصابات ورجالها . بينما سارع الباقون الى الفرار من الحى نهائيا . وبعد ذلك أعلنت تلك المجموعة أنها سوف تتولى الحفاظ على الامن ليلا ونهارا بتكليف من جميع سكان الحى دون استثناء وشكلوا دوريات مسلحة من الشباب الأقوياء ، وخلال شهور قلائل ، فوجئنا بمعدلات الجريمة فى الحى الخطير ، تهبط بدرجة لم نكن نتصورها ، حتى ان ذلك الحى أصبح أهدأ أحياء نيويورك ، والجرائم القليلة التى تحدث فيه ، يرتكبها منحرفون من خارج الحى ، لا تلبث فرق الحراسة الإسلامية أن تطاردهم ، وتسلم من تقبض عليه الى الشرطة . !

وجاء المذيع بقائد المجموعة الأمنية فى الحى ، وهو مواطن أمريكى مسلم ، وسأله كيف استطاعوا أن يحققوا تلك المعجزة ، وماذا كان دافعهم .

وقال الرجل :

" ان الاسلام يأمرنا بأن نساعد أنفسنا قبل أن نطلب المساعدة من الغير ، والإسلام دين سلام يرفض العنف والجريمة بشتى أشكالها ، وتعاليم الإسلام هى التى علمتنا كيف نجتمع كاخوة ، وكيف نتعاون ، وكيف ننظم أنفسنا بحيث نحقق الأمن والطمأنينة لأسرنا فى الحى الذى نعيش فيه .." .

وسأله المذيع : وماذا عن المسيحيين الذين يعيشون معكم فى الحى .. أنهم الأغلبية .. !

وأجاب المواطن الامريكى المسلم :

أنهم اخوة لنا ، وهم يتعاونون معنا لحفظ الأمن ، ويشاركون فى

دوريات الحراسة ، ولا توجد أية مشكلة بسبب اختلاف العقيدة الدينية .. فنحن نحترم عقيدتهم وهم يحترمون عقيدتنا ..

وتحول المذيع الى الضابط مرة أخرى وسأله :

لماذا لا تطبقون هذه التجربة الناجحة فى أحياء أخرى ؟

وأجاب الضابط فى حيرة :

أن المسألة ليست بهذه السهولة ، فان لهذا الحى وضعه الخاص ووجود هذه المجموعة هو الذى ساعد على نجاح التجربة ، ويبدوا أن دينهم علمهم أشياء كثيرة من أهمها كيف ينظمون أنفسهم وكيف يكونون أقوياء .. !

ووجه المذيع سؤالا مباشرا الى رجل الأمن الامريكى فقال :

هل تريد أن تقول ان الدين الإسلامى وإيمان هؤلاء به كان وراء نجاح هذه التجربة الفريدة .. ؟؟

قال رجل الأمن على الفور :

نعم .. !!!

* * *

فـــى أوربـــا

التى خربت الدنيا ..!

أوربا التى خربت الدنيا .. !

***   ***   ***

فى عام ١٩٦٩م سافرت إلى بريطانيا .. واستقر بى المقام فى مدينة "كمبردج " CAMBRIDGE وفى شارع HINTON AVENU جمعتنى المقادير بمجموعة من الدارسين من سويسرا . والمانيا وفرنسا . وإيطاليا .. كانوا يقيمون معى فى نفس البيت .ونتناول طعامنا سويا على مائدة واحدة كل يوم .

إلا أننى لاحظت شيئا فى تصرفات هذه المجموعة وموقفها منى ... لقد عرفوا أننى مسلم ... ! عرفوا ذلك حين كنت أتحدث إلى صاحبة البيت بألا يحتوى طعامى على لحم الخنزير .. وأن تتفضل مشكورة بعدم وضع أى مسكر أمام مقعدى فى غرفة الطعام ..!

لكن ... ليست هذه هى المشكلة ، فقد عرفت كثيرا من الانجليز يفعلون ذلك تقززا من منظر هذا اللحم المحرم ...! وعرفت آخرين لا يشربون الخمر صوناً لعقولهم وكرامتهم من الهوان والتبذل .. ألأننى مسلم ..؟

فالاسلام كما عرفوه ، ودرسوه دين همجى ..! وأتباعه لابد وأن يكونوا على شاكلته وأن عاشوا فى مجتمع حضرى ..!

وقد لاحظت أيضا ..

أن صاحبة البيت - الذى كنت أنزل فيه مع هذه المجموعة - بدأت تراقبنى خفية ..! كانت تتعمد دخول " الحمام " بعد خروجى منه .. وتزور حجرتى بعد الذهاب إلى المعهد الذى كنت أدرس فيه ، وترصد حركاتى طوال الوقت حين أكون موجودا بالبيت .. !

وبعد حوالى أسبوعين وجدتها تدخل علىّ فجأة .. كان اليوم يوم أحد..

وكان كل من فى البيت نائما بعد سهر طويل فى نوادى الليل .. وكنت دون غيرى اليقظ الوحيد بين أهل الكهف .. !

قالت المسز داى (DYE) وهذا هو أسمها :

- أريد أن أعتذر إليك ..! فقد لاحظت أنك الوحيد الذى - يحافظ على نظافة البيت ..! كنت أدخل الحمام بعد خروجك منه فأراه كأن لم يستعمل قط ... وكنت أذهب لترتيب حجرتك فأراك سبقتنى إلى هذه النظافة وهذا الترتيب ، وعرفت أنك الوحيد الذى يحافظ على نظام البيت ومواعيده بالضبط .

ولكن شيئا واحدا يحيرنى ولم أفهمه حتى الآن ... ؟!

قلت للمسز " داى " مازحا ..

- وأى شىء هذا الذى يحيرك منى .. ؟!

قالت :

فى تمام الساعة الخامسة صباح كل يوم أسمع فى حجرتك حركة وأرى الأنوار مضاءة .

فماذا يحدث عندك صباح كل يوم فى هذه الساعة المبكرة ..؟!

قلت للسيدة " داى " :

فى هذا الوقت أقوم لأصلى الفجر وهي أول صلاة يؤديها المسلم كل يوم .. وبعد الصلاة أجلس لأقرأ شيئا من القرآن .. كتابنا المقدس .. ثم أتهيأ بعد ذلك للنزول إلى غرفة الطعام لتناول طعام الافطار فى الوقت الذى حددته لنا بالضبط .!

* * *

لقد تبدلت المسز " داى " تبدلا كاملا منذ هذه اللحظة . كانت تعاملنى معاملة خاصة تعجب منها الأخ الاستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى - امام

المركز الاسلامى فى هذا الوقت - حتى زوجها الرجل الغليظ المشاعر والحس، بدأ يؤثرنى بمودته التى كانت شحيحة حتى بالنسبة لأطفاله الصغار فى البيت ... !

* * *

كان معنا فى البيت دارس فرنسى أسمه جون باسكال أبوه من كبار رجال الاعمال فى فرنسا فى مدينة " بوردو " .. لقد دعانى ذات يوم إلى حجرته ، وبعد كلمات المجاملة المعروفة وتقديم المرطبات والفاكهة سألنى قائلا :

- هل تعرفنى .. ؟

- طبعا فأنت فلان ..

قال : لا ... أننى أعنى شيئا آخر ..!

- قلت : وما هو ؟

قال : أنا يهودى .. ؟

قلت : وما الغرابة فى ذلك . أننى كمسلم مطالب باحترام اليهودى والمسيحى . فدينى يأمرنى بأحسن المعاملة لأهل هاتين الديانتين بصفة خاصة ..

أما إذا كنت تقصد ما بين إسرائيل والعرب فالقضية هنا مختلفة .

فأنا كمسلم يأمرنى الاسلام بقتال أى رجل يريد أن يعتدى على حياتى أو مالى ... حتى لو كان هذا المعتدى مسلما فإن الاسلام يطالبنى بأن أقاتله وأن أدفع ظلمه ..

فالقضية هنا ليست قضية يهودى ومسلم .. أو مسيحى ومسلم .. إنها قضية عدوان وظلم .. ودفع الظلم من طبيعة الاسلام .. سواء أكان المعتدى أو الظالم مسلما أو غير مسلم .. !!!

* * *

والآن ... هيا بنا إلى أوربا قبل أن نغلق هذا الملف . ونستريح من كثرة الدوران واللف ..!!!

فى حى "(هامستد) " فى لندن كنت أقيم مع أسرة انجليزية .

وقد تعودت فى أسفارى الطويلة أن أحمل معى تسجيلات المرحوم الشيخ محمد رفعت . ان صوته الملائكى فى بلاد " الغربة " وبخاصة فى أوروبا يغسل قلبك من كل هموم الدنيا .

وذات يوم وفى تمام الساعة السابعة والنصف نزلت إلى قاعة الطعام . كنت قد نسيت اغلاق المسجل ... ففرض الشيخ رفعت بصوته الأثيرى الربانى وجوده على كل من فى المنزل ..

وفجأة التفت إلىّ المستر "(تيلر)" صاحب البيت وقال بأدب :

- أظن هذا صوت أشهر مغن عندكم فى مصر ..!

* قلت له معتذرا : آسف . لقد نسيت إيقاف المسجل ..

ثم قلت له : إن الذى تسمع صوته ليس مغنيا ..

إنه صوت أشهر قارىء للقرآن الكريم كتابنا المقدس فى مصر ..

- وهنا سأل المستر "(تيلر)" وماذا يقرأ الآن .. ؟

* كان الشيخ رفعت يقرأ الربع الأول من سورة (مريم) وما كدت أشرح للمستر "(تيلر)" ما يقرأه الشيخ رفعت حتى نهض واقفا ..

- وقال : هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام .. أفى كتابكم المقدس كل هذا التقدير والاحترام للمسيح وأمه ؟

أننى لا أكاد أصدق .. لقد علمونا فى الجامعات والمدارس عكس ذلك تماما ..

* وما كدت أكمل بقية التفسير لما كان يقرأه الشيخ رفعت حتى ناشدنى أن أقدم له كتابا عن العقيدة الاسلامية ..

لقد أسلم المستر "(تيلر)" بعد ذلك وأختار لنفسه إسما إسلاميا هو "(عبد الحق)" ..!!!

* * *

إن فى جامعة " أكسفورد " - الآن - مركزا إسلاميا يتولى رئاسته الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا .. وقد بدأ المركز نشاطه بمحاضرة عن "(الاسلام والغرب) " ألقاها الامير فى حركة غير مسبوقة للاشادة بالاسلام دين الاخاء والعدالة .. والحب .. !!

لقد أحدثت هذه المحاضرة ضجة كبرى وردت إلى الاسلام أعتباره فى وجه حملات التزييف والتشويه التى تقودها الصليبية والصهيونية فى أوربا وأميركا ..

ترى هل يعيد التاريخ نفسه وتشرق شمس الاسلام مرة ثانية على بلاد الغرب ..؟!

إن فى بريطانيا وحدها أكثر من سبعمائة مركز إسلامى ومسجد ، كما أن فى بريطانيا مليونين من المسلمين الذين يحملون جنسية الأمير تشارلز ..!

وفى فرنسا يوجد حوالى أربعة ملايين مسلم وألف مسجد !

وفى المانيا يقترب عدد المسلمين من هذا الرقم وهذا العدد ..

إن عدد المسلمين فى عموم أوربا بلغ خمسة وعشرين مليونا .. يقل قليلا . أو يزيد قليلا .!

ففى بلاد مثل اليونان وصربيا والجبل الاسود يتعمدون اسقاط ملايين المسلمين من الاحصاء الرسمى ..!! أو تخفيضهم إلى رقم بسيط لا تراه عين الدارس والباحث إلا بمجهر الكترونى ..!!

* * *

كان أول لقاء بين الاسلام وأوربا تلك الرسالة التى بعث بها

النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل عظيم الروم .. وقصة هذه الرسالة معروفة لدى العامة والخاصة من المسلمين ..

غير أن هذا اللقاء الودود السلمى من قبل النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يقابل بمثله من قبل الرومانيين فقد بدأت الدولة الرومانية تستعد لحرب المسلمين وبخاصة بعد مقتل مبعوث [1] النبى(صلى الله عليه وسلم) على أيدى أحد العملاء الرومانيين .. بالرغم مما أظهره هرقل قبل ذلك من مودة وتقدير للاسلام ونبيه الكريم .. وهذا هو السبب الحقيقى للقتال فى غزوة "مؤتة" وغزوة "تبوك" . كما كانت هذه الحادثة هى السبب فى استئصال شأفة الدولة الرومانية ومطاردتها بعد ذلك فى مختلف أقطار العرب والمسلمين ..

ومنذ عهد الخليفة عثمان بدأ غزو المسلمين البحرى ، إذ غزا معاوية جزيرة قبرص ، ونقل إليها جماعة من بعلبك ، وبعث إليها باثنى عشر ألفا فبنوا بها المساجد وعلموا اللغة العربية والقرآن .

وفى عهد معاوية فتح عدد من جزر البحر المتوسط ، وشنت حملات على بلاد الأناضول ، وأرسلت حملة لفتح القسطنطينية ، وتوالت عليها حملات فى عهد خلفائه الأمويين وكان أشد ما غزيت به على يد مسلمة بن عبد الملك فى عهد أخيه سليمان .

ودخل المسلمون أسبانيا قبل نهاية القرن الاول الهجرى ، ثم دخلوا صلقية وجنوب ايطاليا ، وأعادوا فتح الجزر التى فى البحر الابيض وحولوها جزرا اسلامية .

وإذا كان المسلمون قد فتحوا بلاد الاندلس ، وإذا كان الاتراك العثمانيون قد وصلوا إلى أبواب فينا عاصمة النمسا ..

فالسؤال هو :

هل كانت هذه الفتوحات سببا فى انتشار الاسلام فى أوربا ؟

(١) اسمه شرحبيل بن عمرو الغسانى .

ويسؤال آخر :

هل استعمل الفاتحون المسلمون القوة فى ارغام غير المسلمين فى اعتناق الاسلام ..؟

بداية الاجابة من " القسطنطينية " ... وقد اخترت القسطنطينية بالذات .. لأن الاتراك العثمانيين ظلموا فى تاريخنا الحديث ظلما بينا .. ولأن العرب بصفة خاصة نقلوا عن الغرب الموتور كل ما كتبه هذا الغرب عن الدولة العثمانية دون تمحيص لروايات هذا الغرب التى زورت ولفقت هذه الروايات لتشويه سمعة هذه القوة الاسلامية التى لقنت الغرب وشعوبه درسا قاسيا .. على مدى ستة قرون .

يقول " توماس ارنولد " [1] :

" لم تكد حاضرة الامبراطورية الشرقية القديمة تسقط فى أيدى العثمانيين سنة ١٤٥٣م ، حتى توطدت العلاقات بين الحكومة الاسلامية والكنيسة المسيحية بصفة قاطعة وعلى أساس ثابت .

ومن أولى الخطوات التى أتخذها محمد الثانى ، بعد سقوط القسطنطينية واعادة اقرار النظام فيها أن أعلن نفسه حامى الكنيسة الاغريقية ، فحرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا ، ومنح البطريق الجديد مرسوما يضمن له ولأتباعه ولمرؤسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد والهبات التى كانوا يتمتعون بها فى العهد السابق . وقد تسلم "جناديوس " أول بطريق بعد الفتح التركى ، من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التى كانت رمز هذا المنصب ، ومعها كيس يحتوى على ألف دوكة ذهبية وحصانا محلى بطاقم فاخر ، وكان يتميز بركوبه فى خلال المدينة تحف به حاشيته . ولم يقتصر المسلمون فى معاملة رئيس الكنيسة على ما تعود إن يلقاه من الأباطرة المسيحيين من توقير وتعظيم ، بل كان متمتعا أيضا بسلطة أهلية واسعة ، فكان من عمل البطركية أن تفصل فى القضايا

(١) الدعوة إلى الاسلام . ترجمة د ابراهيم حسنى وآخرين .

التى تتعلق بالاغريق بعضهم مع بعض : فكان لها أن تفرض الغرامات ، وتسجن المجرمين فى سجن معد لها ، بل كان لها أن تحكم بالاعدام فى بعض الأحيان ، بينما صدرت التعليمات إلى الوزراء وموظفى الحكومة بتنفيذ هذه الأحكام .. " .. !!!

وقد تميز الأتراك بصلابتهم فى حياتهم الدينية ، وحماستهم فى أداء طقوسهم التى رسمها لهم دينهم فى زيهم وأسلوب معيشتهم ، وبساطة الحياة التى تلاحظ حتى فى العظماء أو الأقوياء منهم .

ويثنى مؤرخ السفارة التى أرسلها الامبراطور " ليوبولد الأول " إلى الباب العالى من سنة ١٦٦٥م - ١٦٦٦م ثناء خاصا على تعبد الأتراك وانتظامهم فى الصلاة ، بل يذهب بعيدا فيقول :

" يجب أن نتكلم عن فوضى المسيحيين . أن الأتراك يدلون على كثير من العناية والغيرة فى أداء شعائرهم الدينية : أما المسيحيون فلم يظهروا شيئا من ذلك فى دينهم ... " .

حتى أن التركى العظيم نفسه لا يحاول أمرا إلا بعد مشورة المفتى ، وإلى أى حد هم مهتمون بمراعاة أوقات الصلوات الخمس فى كل يوم حيث وجدوا وأيا كانت مشاغلهم ؟

ما أشد مراعاتهم دائما لصومهم من الصباح حتى المساء طوال أيام الشهر بلا انقطاع .

ما أكثر تواد المسلمين وتراحمهم .

وما أعظم ما يرى من عنايتهم بالغرباء فى نزلهم ، سواء بالفقير أو المسافر .. !!!

لو تأملنا عدالتهم ونزاهتهم وسائر فضائلهم الخلقية لخجلنا من جمودنا سواء فى عبادتنا أو فى تراحمنا ، ومن جورنا وافراطنا وتعسفنا فلاريب أن هؤلاء الناس سيقيمون الحجة علينا ، ولا شك أن عبادتهم وتقواهم وأعمال

الرحمة فيهم ، هى الأسباب الرئيسية لنمو الدعوة المحمدية . " . !!!

ولكن أهم ما نلاحظه هنا ، أن بعض الناس بدأ يسأل :

"هل من الجائز أن يأذن الله للمسلمين بأن يبلغوا ما بلغوه من هذا العدد الذى لا يدخل تحت حصر بدون سبب معقول .. ؟

هل من المتصور أن مثل هذه الآلاف المؤلفة تتعرض للهلاك الأبدى كما يتعرض الرجل الواحد ؟

كيف يمكن أن يكون أمثال هذه الجماهير الزاخرة مناوئين للدين الحق ؟

إنه إذا كان الحق أقوى من الباطل ، وكان الناس جميعا يحبون الحق ويرغبون فيه أكثر مما يحبون الباطل ، فليس من المحتمل أن تجمع أقوام كثيرة كهؤلاء على محاربته .؟!!

كيف استطاعوا أن يقووا على الحق مادام الله يعين على الحق ويؤيده ؟

كيف استطاع دينهم أن ينتشر بهذه الصورة العجيبة لو أنه قام على أساس فاسد من الباطل ؟!

* * *

وفى حوار دار بين القائد المجرى " هينادى " وبين رجل مجرى آخر أسمه " برانكو فيتش " وكان ذلك أثناء نشوب الحرب بين المجر والاتراك .. لقد سأل " برانكو فيتش " القائد المجرى هذا السوال :

ماذا سوف تصنع لو انتصرت على المسلمين ؟

فأجاب القائد : " المسيحى " المجرى :

أهدم كل المساجد طبعا .. !!!

ثم ذهب " برانكو فيتش " بعد ذلك إلى القائد التركى المسلم ماذا ستصنع مع ديننا - أى المسيحية - إذا انتصرت ؟

فأجاب القائد التركى المسلم :

" أقيم كنيسة بجوار كل مسجد !!

ومن أغرب ما تقرأه فى كتب الفرنجه أن راهبا أصدر كتاباً سماه " المصيبة الاسلامية "..! ويقول هذا الراهب أن المسلمين من أمكر خلق الله ...!

- ويا ليت المسلمين كانوا كذلك .. إذن لتغير وجه التاريخ وانتهت مشاكلنا ومصائبنا - .. !

نعود إلى قول هذا الراهب لنتساءل :

لماذا قال هذا عن المسلمين ولماذا وصفهم بالمكر الذى لم يعرفوه ولم يمارسوه أبدا ..

يقول عبد الثالوث :

إن المسلمين لم يستعملوا القوة أو الاكراه فى أرغام أى أحد على اعتناق دينهم أبدا .. بينما كان العكس هو الواقع والاسلوب مع كل مخالفينا فى عقيدتنا .. ؟!

وقد دفع هذا الموقف - أى تسامح المسلمين مع مخالفيهم وعدم أكراههم على الدخول فى دينهم - إلى أن يقترب الناس من هؤلاء المسلمين ليتعرفوا على حقيقة دينهم .. وهنا كانت المصيبة . فما من أحد تعرف على الاسلام إلا وآمن به وترك من ورائه الكنيسة ... !!!

هل سمعتم أسوأ من هذا المنطق ؟ إنهم وحتى يومنا هذا يتهمون الاسلام باستعمال الاكراه والقوة فى حمل الناس على اعتناقه ... ويتهمون الاتراك العثمانيين بالفظاظة والقوة .. ؟ !!

ومن طريف ما يذكر فى هذه المناسبة - ما يرويه الحاج عبد الكريم جرمانوس المستشرق المجرى عن سبب اسلامه . قال :

فى أجازة صيف كان من حظى أن أسافر إلى البوسنة وهى أقرب بلد

شرقى إلى بلادنا ، وما كدت أنزل فى أحد الفنادق حتى سارعت إلى الخروج لمشاهدة المسلمين فى واقع حياتهم .

كان الوقت ليلا ، فنزلت إلى الشوارع وكانت خافتة الاضاءة ، وسرعان ما وصلت إلى مقهى متواضع يجلس فيه رجلان من أهل البلاد على كرسيين قليلى الارتفاع ويتناولان " الكيف " يرتديان السراويل التقليدية الواسعة ، يمسك بها فى الوسط حزام عريض مدجج بالخنجر ، فكان مظهرهما بما عليهما من لباس غريب ، عليه مسحة من الغلظة والشراسة مثيرا للخوف والرهبة فدخلت المقهى " قهوة خان " بقلب مرتجف وجلست منزويا فى ركن ناء عنهما فى هلع ووجل .

نظر الرجلان نظرة عجيبة مستطلعة ، وعندئذ قفزت إلى مخيلتى جميع قصص سفك الدماء التى قرأتها عن تعصب المسلمين فى الكتب المتحيزة غير المنصفة ، كانا يتهامسان فيما بينهما وكان موضوع همسهم ولا شك هو حضورى غير المتوقع ، وفى أوهام الأطفال أدركنى الهلع ، إنهما ولا شك سيوجهان طعنات خنجرهما إلى صدر هذا الكافر الوافد عليهما وتمنيت لو أننى استطعت الخروج والخلاص من هذا المأزق الرهيب غير أن قواى خانتنى فلم أستطع الحراك ...!

وبعد ثوان قليلة أحضر لى الخادم كأسا من القهوة يفوح أريجها وأشار إلى الرجلين الرهيبين ، فرنوت إليهما بوجه خائف ، فالقيا على السلام فى رفق مع ابتسامة مودة رقيقة وفى تردد اصطنعت على شفتى المرتجفتين ابتسامة باردة ، فقام هذان العدوان ، كما كنت أتخيلهما وحضرا إلى منضدتى وساورنى شعور عجيب .. ترى هل يريدان طردى وإخراجى ؟ ولكنهما ألقيا على السلام للمرة الثانية وجلسا إلى جوارى ، قدم لى أحدهما لفافة تبغ وفى ضوئها الخافت الراقص لمحت أن وراء هذا المظهر الخارجى الرهيب أرواحا طيبة كريمة ، فجمعت أطراف شجاعتى وخاطبتهما فى لغة تركية ركيكة ، ومع ذلك فقد كان حديثى مثل العصا السحرية ، إذا بى أرى فى محياهما عواطف الصداقة والمودة ، وإذا بى أتلقى منهما دعوة لى

إلى منزليهما بدل ما توقعته منهما من عداء ، وإذا بهما يفيضان على مشاعر العطف ، فيما كنت أحسبهما سينهالان على بأسنان الخناجر .. !

وكان هذا أول لقاء لى مع الاسلام ... والمسلمين .

ولسنا بحاجة إلى الحديث عن "تولستوى" أديب وكاتب روسيا الأعظم، لقد كان من هؤلاء الذين سمت نفوسهم إلى درجة لا نكاد نجد لها مثيلا فى التاريخ إلا نادوا ، كانت سعادة الانسانية همه الملازم فى كل آونة كان باستمرار يفكر فى تخفيف ويلات الانسانية فى معالجة مرضاهم ... فى تسلية بأسهم ، فى إطعام جائعهم ، فى التخفيف عن منكوبهم ، وككل العباقرة صادف فى حياته العقبات والآلام ، وبغض الحاقدين ، وكراهية الذين لا يحبون الحق .

ومن مآثره الكريمة : أنه حينما رأى الحملة الظالمة على الاسلام وعلى رسول الاسلام كتب رأيه فى هذا الدين الذى أعجب به وتحدث عن رسوله الذى نال أكباره، وكان جزاؤه على ذلك، أى على كلمة الحق التى يدين بها : أن حرمه البابا من رحمة ربه .. !

هذا إذا كان للبابا سلطان على هذه الرحمة ، أو كان شريكا لله فى إدارة شئون خلقه ... !

يقول " تولستوى "

" لا ريب أن هذا النبى : من كبار الرجال المصلحين ، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا ، أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا .

ويكفيه فخرا : أنه فتح طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال " ..

* * *

هل تعرفون لماذا أسلم المفكر العالمى الفرنسى " روجيه جارودى " ؟

تعالوا نستمع إليه وهو يروى قصته ... :

قضيت فى السجن ثلاث سنوات ، حيث اعتقلت فى سبتمبر " أيلول " ١٩٤٠م بواسطة مارشال بيتان وحكومة " فيشى"، وبقيت رهن الاعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى معسكر بمنطقة جلفا بالصحراء الجزائرية ، وهناك وقع حادث عجيب فعلا ، فقد تزعمت تمردا فى معسكر الاعتقال ، وأجرى الكوماندور الفرنسى قائد المعسكر محاكمة سريعة ، وأصدر حكما باعدامى رميا بالرصاص ، وأصدر أوامره بتنفيذ ذلك إلى الجنود الجزائريين المسلمين ، وكانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار ، ولم أفهم السبب لأول وهلة لأنى لا أعرف اللغة العربية ، وبعد ذلك علمت من " مساعد " جزائرى بالجيش الفرنسى كان يعمل فى المعسكر أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل ... وكانت أول مرة أتعرف فيها على الاسلام من خلال هذا الحدث الهام .. !!!

***

يذهب بعض المؤرخين إلى أنه فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادى قامت علاقات دبلوماسية وسياسية بين الدولة البروسية والدولة العثمانية فى عهد السلطان محمد الثانى (١٧٣٠ - ١٧٤٥) استعان خلالها البروسيون بالفرسان المسلمين لتدريبهم على الفروسية ، حتى بلغ عدد الفرسان فى الجيش البروسى " ألف فارس " مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ..

وكان نشر الدعوة الاسلامية مهمة من المهمات التى قام بها الفرسان المسلمون فى المانيا ..

وتذكر بعض المصادر التاريخية أيضا ، أن المسلمين الأتراك المقيمين فى بروسيا قد أنشئوا أماكن للصلاة كان أولها عام ١٧٣١م .

ويؤكد أحد المسلمين الألمان " عبد الوهاب واجنر " أنه فى عام ١٧٣٢م أمر القيصر الألمانى " فردريك فل هلم " ببناء مسجد فى مدينة برلين للجنود

المسلمين الذين كانوا ينضوون تحت لوائه ، وبعد ذلك بقليل أنشئت مقبرة خاصة بهم ، وهؤلاء لم يكونوا ألمانى الجنسية بل كانوا يدعون " الأتراك " أو التتار ، على حد تعبيره ..

ويقول أيضا ، إن وجود المسجد لا يفهم منه أنه حب فى الاسلام ولكنه حب الملك أو القيصر فى التسامح حيث يقول :

لكل واحد الحق فى أن يعيش حسب معتقده ، وكانت تلك الظاهرة هى الوحيدة فى أوروبا ..

فقد كان رجال الدين الكاثوليك ، والبروتستانت يفرضون على أتباعهم عدم مخالطة الجنود المسلمين ، مما يعنى أن الترحيب بهم فقط من أجل المساعدة فى الحرب ..

ويؤكد أن كثيرا من هؤلاء الجنود المسلمين فضلوا البقاء والعيش فى بروسيا بعد انقضاء مدة خدمتهم فى جيش القيصر ، وتزوجوا ألمانيات وأسسوا عائلات مسلمة ، وكانت بروسيا فى حينها ترحب بزيادة عدد سكانها لكثرة الحروب التى تخوضها فى مختلف أنحاء العالم .

كما يؤكد أن القيصر الألمانى " كارل تيودور " قيصر ولاية " بادن " بنى مسجدا فى مدينة " شويتشجن " بالقرب من مدينة " هايدل برج " وأحاطه بحديقة كبيرة وأختار له الطراز المعمارى الاسلامى .. !! ..

ويقول " عبد الوهاب واجنر " : ولا ندرى بالضبط حقيقة الدوافع وراء ذلك المسجد ..

أما أول أسم توثق المصادر التاريخية اعتناقه للاسلام فهو أسم الألمانى " جوستاف أدولف فون فريدى " عام ١٨٣٥م ، والذى ظهر فيما بعد فى مواقع عديدة فى خدمة الجيش العثمانى فى استنبول وشمال افريقيا ..

ثم برز بعد ذلك أسم الألمانى المتخصص فى الدراسات الافريقية ، الدكتور " أدوارد سبنسر " الذى اعتنق الاسلام عام ١٨٧٥ م ، وأصبح أسمه

" محمد أمين باشا " حاكم المقاطعة الاستوائية المصرية عام ١٨٧٨م ..

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت أعداد ضخمة من المسلمين السوفييت بالنزوح إلى أوربا بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب ، وذلك لأن المسلمين فى الجمهورية السوفييتية خلف " الجدار الحديدى " داخل الاتحاد السوفييتى كانوا قد ساعدوا الألمان ، واشتركوا معهم فى مواجهة السلطات الشيوعية المتسلطة على رقابهم ، يحدوهم الأمل فى انتصار الألمان لنيل حريتهم من جديد ، ولكن عندما سقطت ألمانيا فى الحرب ، كانت تلك الهجرة الواسعة التى شهدها الاتحاد السوفييتى فى الأربعينات من هذا القرن إلى أوربا . سواء بدافع الفرار من الاضطهاد ، أو بدافع السعى وراء لقمة العيش ، أو طلب العلم ، وكان لألمانيا نصيب لا بأس به من هولاء .

واستنادا إلى آراء كثير من المؤرخين فإن غالبية المسلمين فى المانيا يعودون فى أصولهم إلى الهجرات العمالية الأولى ، من تركيا ، ثم المغرب وتونس ، وبعض الأقطار العربية الأخرى ، إلى جانب القادمين من الهند وباكستان وغيرها .. وقد أعتمدت المانيا عليهم جميعا بعد الحرب العالمية الثانية فى تحقيق نهضتها الصناعية والاقتصادية .

* * *

يقول الدكتور عبد الحليم محمود :

فى سنة ١٩٤٨م كنت مع أحد العلماء الأمريكيين نطوف بأرجاء الازهر ... معهدنا العتيق ... وبينما نحن على وشك الخروج علمت أن بعض أعضاء لجنة الفتوى موجودون فى مقر انعقاد هذه اللجنة بالجامع الازهر ، فحدثت هذا الامريكى عن لجنة الفتوى ورسالتها فرغب فى زيارتها والتعرف على أعضائها .. فدخلنا القاعة فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم، والمرحوم الشيخ محمد العنانى وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكى فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم قائلا :

إن الغرب الآن فى حالة روحية قلقة ومن الممكن أن يتجه إلى الاسلام

ولكن من المحتمل أن يتجه إلى صوفية الهند فهل أعد الازهر عدته لتوجيه الغرب نحو الاسلام ؟ وكان السؤال مفاجئا أو مريكا . ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب وفى أسلوب دبلوماسى لبق : أننا بصدد الدراسة والبحث .. !!!

وجعلني سؤال هذا العالم أعود من جديد إلى التفكير فى موضوع الغرب والاسلام وصرفتنى الشواغل من جديد إلى أن وقع فى يدي كتاب "أيقاظ الغرب للاسلام " تأليف اللورد هيدلى فقرأت فيه ... من عدة سنين خلت . كان أحد أفكارى الرئيسية هو كيف يمكن للاسلام أن " يتغرب "أى يصبح غربيا وبعبارة أخرى - الكلام لا يزال للورد هيدلى - كيف يمكننا نحن الأوربيين أن نعد أنفسنا لنفقه معنى الاسلام الحقيقى . أننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبا . ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشىء عن الدخول فى الاسلام يخفى هذه الحقيقة التى لابد يوما أن تظهر ...

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود :

إن الاسلام واضح جلى ، وأن تعاليمه سهلة ميسورة تنسجم مع العقل والمنطق فما هو السر فى عدم انتشار الاسلام فى سرعة هائلة وبجموع كبيرة فى أوروبا .. ؟

فى نظر - الامام الأكبر - أن ذلك يرجع إلى عاملين أساسيين عامل داخلى وهو واقع المسلمين وحاضرهم . وعامل خارجى وهو موقف الكنيسة من المسلمين وعقيدتهم .

لقد اتقنت الكنيسة " فن النظام " فلا ارتجال فيها ، كل شىء فيها معد ومرتب وعملها يقوم على ركيزتين أساسيتين : أولى هذه الركائز ، هى التبشير ، وثانيتهما هى الدفاع وصد الهجوم عن المسيحية بأساليب حديثة مبتكرة . أما فيما يتعلق بالتبشير فانه من الأولويات عندها فالمبشر يجب أن يدرب على كل شىء ، ويتسلح بكل شىء ، أنه يدرس عادات القوم

الذين يرسل إليهم ودينهم وتقاليدهم ويعرف مواطن الضعف فيهم والوسائل التى تغريهم وتجذبهم . وأما الركيزة الثانية فهى تقوم على دراسات مستمرة لتشويه الديانات المخالفه ، والصاق التهم بها . وتنفير الناس منها . ولان المجتمع الاوربى مشغول بحياته المادية فليس عنده الوقت للدراسة والبحث فى الامور التى يعتبرها من مخلفات الماضى ومحاكم التفتيش .

ولكن إلى متى ... ؟ إن الحقيقة لا يمكن أخفاءها طويلا ..

والظلام مهما تكاثف فلابد أن يجلوه النور فى غمضة عين ، فالعالم اليوم غيره بالامس ، الاتصال قائم ومستمر بين شعوب الارض فى كل لحظة والحواجز التى أقامها التعصب والكراهية بدأت تنهار ، والصور البشعة للاسلام والمسلمين فى أعين الغرب بدأت تختفى وتتلاشى ، ورجال الفكر والمنصفون بدأوا يعرفون الحقيقة ..

* * *

كان الكونت " هنرى دى كاسترى " من كبار موظفى الاستعمار الفرنسى فى الجزائر يسير ممتطيا صهوة جواده وخلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء فخورا بمركزه يأمرهم فيلبون ويناديهم فيسمعون ويطيعون.. وفجأة وجدهم يقولون له وفى شيء من الخشونة وفى كثير من الاعتداد بالنفس :

" لقد حان وقت صلاة العصر " !!!

ودون أن يستأذنوه فى الوقوف . ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الاسلام الخالدة " الله أكبر ... " وشعر الكونت بشيء من المهانة فى نفسه وبكثير من الاكبار والاعجاب لهؤلاء الذين لا يبالون به ، بل اتجهوا إلى الله وحده بكل كيانهم وبدأ يتساءل : ما الاسلام ..؟ أهو ذلك الدين الذى تصوره الكنيسة فى صورة بشعة تنفر منها النفس ؟ وبدأ يدرس الاسلام .. وتغيرت فكرته عنه ، ورأى من واجبه أن يعلن ما اهتدى إليه فكان كتاب " الاسلام خواطر

وسوانح " [1] وفى هذا الكتاب يفند " الكونت هنرى دى كاسترى " جميع الأكاذيب والمفتريات التى ألصقت بالاسلام على يد رجال الدين ظلما وكذبا..

يقول " الكونت كاسترى " :

إن من أعجب العجائب أنهم علمونا أن محمدا الذى هو عدو الأصنام ومبيد الاوثان كان يدعو الناس إلى عبادته فى صورة وثن من ذهب .!

وقالوا لنا :

إن الصورة " ماهوم " محمد كانت تصنع من أنفس الأحجار الكريمة والمعادن ..

إن أولئك ما قصدوا خدمة التاريخ . ولا الحقيقة بأقوالهم الكاذبة إنما أرادوا فقط أن يسبوا ويشتموا وأن يحرفوا فى النقل ما استطاعوا .. !

* * *

وقد بدأت الحقيقة تتكشف . والاكاذيب تهوى وتتحطم .

فقد كتب أحد المفكرين الفرنسيين مقالا تحت عنوان :

" هؤلاء الفرنسيون أختاروا الله " يقول فيه [2] :

الكونت " دو ... " يمثل فى نظرى فرنسا القديمة بملوكها وكنيستها ، إنه يمت لى بصلة القرابة عن بعد ، وكان مصورا فوتوغرافيا للبابا بولس السادس ، وهو مغرم بعلم اللاهوت ، وإلى جانب ذلك فهو من كبار الجامعين للمؤلفات الفنية ..

اعتاد فى ولائم الأسرة أن يصف لنا آخر صورة للسيدة العذراء التى أتم رسمها كما كان كثيرا ما يقودنا إلى تاريخ القساوسة الطويل ، ويصف أعمال القديسين الباهرة ...

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية - أحمد فتحى زغلول - شقيق سعد باشا زغلول .
(٢) نقلا عن كتاب " مستقبل الاسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه " - فضيلة الشيخ محمد الغزالى - ص ١٥ وما بعدها .

وفى العام الماضى تفجرت بيننا مفاجأة مذهلة ... كنا جلوسا حول المائدة عندما صاح الكونت " المسيح ابن الله ، ومريم أم الاله ، هذا كلام ما عاد محتملا .. هيا .. دعونا من هذا فالله ليست له أم وليس له ولد .. وفوق كل ذلك فهو ليس الكائن الذى أخبرونا عنه بأنه ظهر فى القدس يصنع المعجزات منذ ألفى عام ، الله ليس هذا الانسان " ..

قال الكاتب الفرنسى : وغلبتنا الدهشة لهذا التحول الخارق بيد أننا لم نضطرب بعدما تكشفت لنا الحقيقة ، وعرفنا أن الكونت " دو ... " قد اعتنق الاسلام ..

إنه ليس آخر من فعلوا مثله ، فليس هو الوحيد الذى غير دينه ..

هذا " روجيه جارودى " أعلن اسلامه ، وهو مفكر فرنسى نابه ، عضو قديم فى الحزب الشيوعى ، والقائد " كوستو " أسلم هو الآخر ..

و " موريس بيجار " أسلم وانضم إلى المذهب الشيعى ..

و" ديران سوفلان " مراسل جريدة " لومند " دخل الاسلام أيضا ..

ثم " فانسان مونتيل " المتخصص فى الدراسات الاسلامية هو كذلك أحد المرتدين - يقصد الكاتب إنه ارتد عن المسيحية - وهناك عشرات من المفكرين والفنانين والمغامرين تحولوا من المسيحية إلى الاسلام ، بل هناك أضعاف ذلك من الشبان الحدثاء الاسنان الذين عرفوا الاسلام فى المغرب ، والهند ، والباكستان أعمارهم بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، وقد قرروا أن يعبدوا الله وحده ومضوا فى الطريق الذى آثروه ..

وكنيسة باريس السيئة الظن بالأمور - هكذا يقول الكاتب - تحصى الذين اعتنقوا الاسلام من أصل فرنسى بمائة ألف مسلم ، وهذا الاحصاء لم يجمد ، فمنذ سنتين أو ثلاث يزيد هذا العدد ، هل زاد عشرين ألفا ؟ أو خمسين ألفا ؟ ... لا تدرى ... !

ويستأنف " تييرى دى بومون " حديثه قائلا :

إننى استطعت أن أفهم حركة المنضمين إلى المذاهب المنحرفة خلال السبعينات من أتباع " صن يونج مون " ، و " جور وماراجى " و " هارى كريشنا " ..

بيد أننى كنت على مسافة مائة ميل من التفكير فى أن فرنسيين يعتنقون الاسلام .. أتكون هذه الغضبة مغالطة تاريخية أخرى؟أم ماذا ؟

ورأيت اشباعا لفضولى أن أذهب لرؤية " الكونت " ، أعرف شقته التى يقطنها إنها تشبه المتحف الذى يضم تراث الاجداد ، وبها اخشاب مزخرفة ، وأثاث من القرن الثامن عشر ، وتماثيل غريبة ..

ورأيت أمام المدفأة الموجودة بالصالون تمثالا " لجان دارك " وهى تشير بيدها فى اتجاه الدهليز، وبينما أنا غارق فى التأمل سمعت الكونت يقول لى: ألا تحب أن تزور الغرفة التى اصلى فيها ؟

وتبعته فى ممر مظلم ، ومررنا أمام حمام ، فأشار إلى مغسل قديم - بانيو- من القصدير- وكان قطعة أثرية رائعة حقا - وقال : هنا أتطهر أولا للصلاة ، ثم انتقلنا إلى غرفة صغيرة بها كرسى وسجادة ، ولاحظت أن هناك خطا أبيض مرسوما على الارض" الباركيه " ، لعله يحدد القبلة ..

قال الكونت : فى هذه الغرفة كان يجتمع رهط من كبار العلماء ومن الشيوخ الصالحين ، كنا نقيم الصلاة هنا .. خلف كنيسة " سانت جيرمان دى برى " ..

قال الكاتب الفرنسى : عندئذ خامرنى احساس غريب ، لقد تغيرت نظرتى للمتعصبين الفوضويين الذين يعلنون على الغرب حربا مقدسة إن هذه النظرة تلاشت وحل مكانها شعور آخر .. اساسه أن فرنساإذا اسلمت فسيتم ذلك من الداخل لا من غزو خارجى .. ؟ !!!

ومضى تفكيرى فى مجراه : إذن فى الاوقات المختلفة فجرا أو عصرا سوف يفرش آلاف الفرنسيين سجاجيدهم ، وسوف يركعون ويسجدون بعد أن يستمعوا إلى مؤذن منهم يصيح : الله أكبر الله أكبر ... ... أما

النساء فيسيضعن على رؤوسهن مناديل من القماش، وينفردن فى صفوف خاصة .!

وتخيلت فرنسا كلها وقد اعتنقت الاسلام : ماذا سيحدث لن تجد سكارى فى الطرق ولن تبقى هناك تماثيل ولا أعلانات جنسية ولا برامج منوعات وستتحول الكنائس إلى مساجد ، ويعاد طلاؤها باللون الابيض .. والمحال التى تبيع لحم الخنزير ستغلق أبوابها ..

ومضى الكاتب فى خياله يقول للفرنسيين : إن شيئا من ذلك لم يخطر ببالكم وأنتم ترون العمال المسلمين النازحين إلينا يخرون سجدا أمام مصانع السيارات التى يعملون بها وهم يؤدون صلواتهم ..

وأفاق الرجل من خياله على صوت الكونت يقول له :

هذه نسخة من القرآن المجيد إن الاسلام هو المولود الاخير بين الديانات الكبرى .. وهو يقبل اليهودية والنصرانية لانه جاء بعدهما ..

وعاد الكاتب يحدث نفسه .. يبدو أن الكونت مقتنع كل الاقتناع بالدين الذى ارتضاه ، أما أنا ... فإننى اتساءل بجد :

هل يجيب الاسلام عما يهجس فى نفسى فى هذا الشأن ؟

لقد توقفت أبحاثى فى العبادة عند تعاليم الدين المسيحى وقد تلقيت دروسا اجبارية ومنفرة عن القانون الدينى .. بيد أنى لم أصدق يوما بها ، ولم اعتقد فى الانجيل أو المعجزات أو قيامة المسيح ..!!!

يمكن أن أعاود أبحاثى فى العبادة التى انقطعت من عشر سنوات ، لا سيما وأن اقرانى الذين اشتغلوا بالسياسة ارتدوا خائبين ومن حسن حظى أنى لم أغامر بالدخول فى ميدان السياسة .. اليوم استطيع استئناف نشاطى القديم ، والذى رفضته فى الكنيسة لم أجده فى الاسلام .. إن عبادة الصورة المقدسة والصلبان نوع من التمثيل الخطر ، هذا ، وليس فى الاسلام تفاوت بين العابدين ، فالمسلمون جميعا متساوون " ..

* * *

وهل يصدق أحد أو يتصور أن بريطانيا عرضت نفسها على الاسلام ؟ وأن ملكها أرسل وفدا رفيع الشأن إلى خليفة المسلمين فى الاندلس يطلب مساعدته لاعتناق الاسلام وتعليم القرآن .. ؟

غير أن هذا حدث وفى وثيقة نشرتها منذ سنوات صحيفة " الصنداى تايمز " وبخط المؤرخ البريطانى " جبرائيل رونى " ..

تقول هذه الوثيقة :

فى عام ١٢١٣..وبحركة بائسة من الملك جون لاكلاند أرسل وفدا سريا من ثلاثة أشخاص .إلى الامير محمد الناصر، الحاكم المغربى القوى ، ليعرض له ولاءه وليعده بأنه سيكون أى الملك جون لاكلاند تابعا مخلصا ، فيما إذا قبل الامير أن تكون بريطانيا تحت الرعاية العربية وليؤكد له أن الدخول فى الاسلام هو المخرج من ضغط المشاكل السياسية التى تلح عليه ..؟!

لقد وقع بالصدفة بين يدى ، النص الحرفى لما حمله الوفد ، فى دورية قديمة كانت تصدر فى ذلك الوقت عن أحد الأديرة ، عندما ، كنت أجرى أبحاثا على الكاهن الكاثوليكى " روبرت دى لندن " الذى كان صدر بحقه حرمان كنسى ، ونفى من بريطانيا ، بسبب دوره فى ثورة الماغنا كارتا ..

هذه الحلقة الواقعية المنسية ، من التاريخ البريطانى ، سجلها " ماتيو باريس " المؤرخ الاخبارى الدقيق لاحداث القرن الثالث عشر الذى أخذ حقائقه واستقاها من مصادرها ..

وحسب ما يقول باريس ، إن رجال الوفد الثلاثة كانوا مكونين من البارونين توماس هارنجتون ورالف فيتزسنكولاس ، والسيد روبرت دى لندن، غير أن " باريس " لم يقدم أن تفسير لضم الكاهن اللندنى للوفد ، إلا أن السبب الاكثر ترجيحا ، هو أن الملك جون لاكلاند ، عهد إلى السيد روبرت بادارة شئون ابرشيته الخاصة ، لذلك فهو من المقربين والموثقين ، وبالتالى فإن اشتراكه فى الوفد يشكل ضمانا ضد البارونين كى لا يمارسا عليه خداعا فى أثناء تأدية المهمة ..

وكان توماس هاردنجتون ، رئيس الوفد كان قد أعطى تعليمات من قبل الملك ، ليبلغها إلى أمير أفريقيا العظيم وأمير المغرب - وأسبانيا بأنه - أى الملك البريطانى - سيتنازل عن طواعية وطيب خاطر ، عن مكانته ومملكته ، ويصبح تحت تصرف الأمير العظيم .. وإذا كان يسره فإنه يضع بريطانيا أمانة بين يديه ، ويتخلى عن الاعتقاد بالديانة المسيحية ، ويتمسك ويلتزم بكل اخلاص بدين وعقيدة محمد .. !!!

ونقلت رسالة الملك جون أو تعليماته إلى الامير بواسطة مترجم . حيث تكلم رئيس الوفد بمهارة خطابية هائلة عن غنى الأرض الانجليزية .

وخصوبة حقولها ومهارة شعبها العظيم الحاذق الخلاق ، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث : اللاتينية والفرنسية والانجليزية واتقانهم لكل مهنة عقلانية ..

وكان رد الأمير المغربى المسلم ردا حصيفا جاء فيه :

" لم أقرأ أو أسمع قط أن ملكا يمتلك مثل هذه البلاد المزدهرة الخاضعة المطيعة له عن طواعية ، يقوم بتدمير سيادته واستقلاله بجعل بلده الحر يدفع الجزية لغريب ..علما أنها يجب أن تكون ملكه وله وحده . وبتحويل السعادة إلى بؤس، فيسلم نفسه لارادة آخر، ويهدم بلده دون سبب "..

وطلب الأمير من أعضاء الوفد ألا يمثلوا فى حضرته ثانية ولدى عودتهم إلى بريطانيا " بكى الملك جون لأن مساعيه قد أحبطت " ..

أن الملك " جون " أو حنّا هو صاحب " الماجنا كارتا " أعظم مواثيق الحرية عند الانجليز ، وتاريخه ومسلكه لا غموض فيهما وأعجاب الرجل بالاسلام لاريب فيه .. !

ترى أين كنا ؟ وماذا صنعنا .. ؟

لقد كانت أوروبا فى القرون الوسطى غاصة بالغابات الكثيفة ، متأخرة فى زراعتها ، وتنبعث من المستنقعات الكثيرة فى ارباض المدن

روائح قتالة، تجتاح الناس وتحصدهم ، وكانت البيوت فى باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب " كبيوت القرى عندنا منذ نصف قرن " ولم يكن فيها منافذ ولا غرف نظيفة ، وكانت البسط مجهولة عندهم ، لا بساط لهم غير القش ينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون النظافة ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم، فتتصاعد منها روائح مزعجة، وكانت الأسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والاطفال ، وكثيرا ما كانوا يؤون معهم الحيوانات الداجنة ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف ، يجعل مخدة أو وسادة ، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح ، ولم تكن أكبر مدينة فى أوروبا تضم أكثر من خمسة وعشرين ألفا (١) .

هكذا كان الغرب فى القرون الوسطى حتى القرن الحادى عشر فما بعده، باعتراف مؤرخيهم أنفسهم .

لهذا كتب الملك جورج الثانى ملك أنجلترا رسالة إلى الخليفة هشام الثالث حملتها بعثة من الطالبات الانجليزيات ، وجعل أبنة أخيه الأميرة " دوبانت " أميرة عليها . وهذا نص الرسالة :

من جورج الثانى ملك انجلترا ، والغال " فرنسا " والسويد ، والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الاندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام :

بعد التعظيم والتوقير : فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتناء أثر منه لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ، وقد وضعنا أبنة شقيقنا الاميرة " دوبانت " على رأس بعثة من بنات

(١) من روائع حضارتنا . د/ مصطفى السباعى .. طبعة بيروت ١٣٨٠ هـ .

أشراف الانجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ، وهن من لون اللواتى سيتوفرن على تعليمهن ، وقد زودت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامك الكريم ، أرجو التفضل بقبولها مع التعظيم ، والحب الخالص[١] ..

من خادمكم المطيع

جورج الثاني

وقد بعث إليه الخليفة المسلم بهذا الرد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف انبيائه سيد المرسلين .. وبعد :

فإلى ملك انجلترا " الأجل .. لقد أطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعنيهم الأمر على طلبكم . وعليه فإننا نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكى .. !!!

هشام الثالث

خليفة المسلمين في الاندلس

* * *

إننى لا أوجه أصابع الاتهام إلى خصومنا .. !!

إننى أوجهها إلى أجهزة الدعوة عندنا .. فإنها لا تكيد عدوا ولا تدعم صديقا ، وإلى مؤرخينا الذين لم يتابعوا مسيرة الاسلام شرقا وغربا ولم يسجلوا ما وقع له جزرا ومدا .. !!!

* * *

(١) أنظر فى ذلك كتاب " اجابات حاسمة " إلى الأخت الفرنسية المسلمة للمؤلف .. مؤسسة الخليج القاهرة ١٤١١ هـ .

فـى الأربعـينيـات مـن هـذا القـرن ، سـافـر الكـاتب البـريطـانى المعـروف " جـورج بـرنــارد شـو " إلــى " سنغــافـورة " علـى ظهـر البـاخـرة .. (THE IMRESS OF GREAT BRITIAN)

فأجرى معه رئيس تحرير احدى المجلات حوارا قال فيه :

- قرأت لك مقالا في صحيفة (COSMO PLITIN) تمتدح فيه الاسلام ، وأحب - الآن - أن أسمع رأيك فى الاسلام ؟

- فـأجاب : الاسـلام دين الديمـقـراطيـة وحـرية الفكـر .. ودين البـيع والشراء .. وفوق ذلك فهو دين الجنتلمان .. !!

- قلت : فما الذى يمنعك من أعلان اسلامك اذن .. وأنت الاشتراكى الجنتلمان ؟

- فقـال : أزعم ويزعم الناس أنى اشـتراكى . ولكنى لا أدرى هل ما أزعم ويزعمون حقيقة أم لا ؟ ..

أما من حيث الجنتلمانية فلست جنتلمانا .. !

- فضحكت وقلت : ولكنك فى أغلب كتاباتك تعلم القارىء وتحضه على أن يكون جنتلمانا .. ؟

- فقال : وكم معلم فى الدنيا يتبع تعليماته .. ؟ !!!

- قلت : هل تظن أن الاسلام سيعم العالم ؟

- أجاب : كلا ، فهناك نزعات أخرى ربما تعرقل سيره ، ولكن عدد المسلمين لابد أن يزيد على عدد اتباع أى ديانة أخرى إلا أن هناك أمرا مهما يجب أن لا أغفله ..

- فسألته : وما هو .. ؟

- أجاب : الاسلام شىء .. والمسلمون شىء آخر .. الاسلام حسن ولكن أين المسلمون .. ؟ !!!

- قلت : إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الاسلام إلا الاسم .
وهل تقارن المسيحية كنظام أجتماعى بالاسلام ..؟

- أجاب : كلا ، ليس فيما أعرف من الأديان ، نظاما أجتماعيا صالحا كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الاسلامية .. !!!

- قلت : ولكن هناك حـــركـــات تدل على أن المسلـــمـــين بدءوا يستيقظون؟

- قال : وأين هذا ؟

- أجبت : فى الشرق العربى .

- قال : هؤلاء جلهم من أصل عربى ، وحركتهم جنسية أكثر منها اسلامية ؟!

- قلت : لا أظن ذلك .. ولكن ما رأيك ؟

- أجاب : الاسلام لا يستيقظ إلا إذا عمل المسلمون بصفتهم مسلمين فقط وتجنبوا ما نسميه " الروح الوطنية " والغلو فى القومية .. !!!

- قلت : فى أوروبا وأمريكا مبشرون إسلاميون . فما رأيك فى هولاء؟

- أجاب : لاشك أنهم يستحقون العطف ، إذ إننى لا أظن أن المسلمين يقدرون التبشير بالاسلام كما يقدره المسيحيون - على اختلاف مذاهبهم - التبشير بالمسيحية ، فليس للمسلمين جمعية تبشير تضاهى أية جمعية تبشير لأى فرقة مسيحية .. !!!

* * *

كان من أوائل من اعتنق الاسلام فى انجلترا - سيدتان هما :

" السيدة ميستير أسيطانهوب ، وايلين بورو " ، والكابتن " فيليمنج "

قائد السفن المغربية ضد الاسبان . واللورد " ستانلى " أسلم سنة ١٨٧٥م وسمى نفسه " عبد الرحمن " .. وكذلك " اللورد هيدلى " الذى سمى نفسه " عمر الفاروقى " ..

واعتنق الاسلام " دبليو اتش قويللام " من " ليفربول " سنة ١٨٨٦م حينما كان فى مراكش ، وبنى مسجدا ومعهدا اسلاميا فى " ليفربول " ، وحرر جريدتين : " الهلال ، والعالم الاسلامى " ، ودخل الاسلام على يديه من الانجليز نحو خمسمائة شخص ..

والذى أسس " الجمعية الاسلامية فى انجلترا " سنة ١٩٠٥م هو " السير عبد الله السهروردى " الرائد لنشر الاسلام فى انجلترا ، فأسلم على يديه خلق كثير ، منهم الفريق الثانى :

" جى - بى - ديكسون " قائد الجيش البريطانى ، كما بنى الدكتور " ليتنر LITNER " مسجدا صغيرا فى معهده الشرقى .. وأسلم كثيرون من المشاهير فى هذا المسجد والمعهد ، مثل السيدة " ايفيلين كو بولد " وحجت إلى مكة وعمرها حو ٦٠ سنة . وكذلك السيد " مارما ديوك بكتهال " مترجم معانى القرآن الكريم إلى الانجليزية ..

وفى المانيا بذل الاخوان : عبد الستار ، وعبد الجبار الخيرى جهودا طيبة لنشر الاسلام ، قبل وفى أثناء الحرب العالمية الاولى ، فأسلم على أيديهما خلق كثير ، قدروا فى ذلك الوقت بنحو اربعمائة كما أسسا دارا للتبليغ عن الاسلام فى برلين ، وجمعية اسلامية ..

***

إن فى بريطانيا الآن العديد من المدارس والمعاهد الاسلامية المتخصصة والأخ "يوسف إسلام-سابقا-كات شتيف- والذى كان أشهر مغنى فى بريطانيا .يدير مؤسسة إسلامية كبرى للتعليم الاسلامى والتربية الاسلامية .

وفى بريطانيا أسس مسلمون بريطانيون دور نشر لطبع المجلات والصحف التى تعرف بالاسلام وفى مقدمة هذه المؤسسات مؤسسة " كوليام برس " التى يشرف عليها الأخ عبد الحكيم ونتر ..

وفى الحدائق العامة " هايد بارك " و " ريجنت بارك " ترى من يركع فيها ويسجد .. !

لقد أشرقت شمس الاسلام على أوروبا .. ولن تغرب شمس الاسلام قبل أن يمحو ضؤها وسناها ظلمات القرون الوسطى .. !!!

* * *

منذ عشرين عاما كنت أجلس فى المركز الاسلامى بلندن وقد تعرفت على شاب مصرى يحضر للدكتوراه فى هذه العاصمة ..

لقد روى لى هذا الشاب قصة عجيبة عن استاذ انجليزى يعمل فى هذه الجامعة .. قال الشاب :

ذهبت إلى الاستاذ الذى يشرف على رسالة الدكتوراه فى الكلية فاعتذر لضيق الوقت، وطلب منى أن أقابله فى منزله بعد الساعة السادسة..

وذهبت إلى منزل الاستاذ فى الوقت المحدد ..

جلست فى صالون الاستقبال .. سألنى الاستاذ :

هيه .. ماذا تشرب .. ؟

قلت له : أى شىء عدا الكحول والخمر ..

فقال لى الاستاذ : ومن أدراك أننا سنقدم إليك خمرا .. ؟

قال الطالب المصرى : هذا هو المعتاد فى بريطانيا وأوروبا ..

فقال الاستاذ : ولكننا لا نشرب ذلك ولا نقدمه لأحد فى بيتنا ..

فقال الطالب - متعجبا - : هذا شىء غريب حقا ..

فقال الاستاذ : حين تعرف الحقيقة لن تتعجب . قم تعال معى ..

وسار الشاب وراء الاستاذ حتى دخلا حجرة فى أحد أركان المنزل ..

وفغر الشاب المصرى فاه من الدهشة .. لقد كانت هذه الحجرة مسجدا ..

وكـان الاستـاذ الانجليـزى مؤمنـا موحدا .. !!!

* * *

الرحلة توشك على الانتهاء .. هاتف الزمن يدعونى إلى التوقف ..!

لقد طفنا بك حول العالم الاسلامى على جناح قلم .. !

وقـد آن لهـذا القلم أن يسـتريـح .. ولكن ليس قـبل أن يسجل رحلة أخرى من نوع آخر .. رحلة لا صلة لهـا بالمكان .. ولا الزمـان .. بل رحلة تجرى أحداثهـا داخل نفـس معذبـة ... نفس " هيلدا " الالمانية التى تروى قصة عذابها واسلامها فى هذه الرحلة تقول هذه الاخت المعذبة :

اسمى " هيلدا " ... لم أكن فى حيـاتى متدينـة بـل كنت ملحدة غير مؤمنة ، وكنت أسخر من كل شىء يتصل بالدين .. غير أنى راجعت نفسى يومـا .. فلمـا أدركت فـداحة خطبى .. ووجـدت أننى أسـرفت فى تحطيم نفسى.. رحت أبحث عن الخالق الذى أنكرته .. !!

كنت أدعــوه أن يرحــمنى وينقــذنى .. ولكـن .. أين هو الله الذى تصوره الكنيسة رحيما ومحبا وعطوفا .. ؟

ولماذا يترك ضعيفة مثلى تواجه كل هذه الكوارث دون أى تدخل منه لانقـاذى .. ؟ ثم لماذا لا أرى هذه الرحمـة وهذه العطف فى رجـال الـكنيسـة أنفسهم .. ؟

لقد تزوجت أربع مـرات وفشلت .. أكثر من مليون مـارك ضاعت على موائد الخمر .. !؟

وقد تحولت إلى بقايا إنسان يمشى على الأرض ..

وفجأة رأيت يد الله تمتد إلى .. !!

ويغمرنى برحمته التى وسعت كل شىء ..

كنت فى رحلة سياحية إلى القاهرة .. لقد صادف قيامى بهذه الرحلة قدوم شهر رمضـان المقدس عند المسلمين وفى إحدى زياراتى لسوق خان

الخليلى- الواقع بجوار مسجد الحسين -رأيت أروع منظر شاهدته العين..!!!

رجال ونساء وأطفال وشيوخ وشبان يجلسون جميعا فى انتظار مدفع الافطار ..

ما هذا الذى أراه ..؟

اننا نقرأ ونسمع كثيرا من " صيامات " أخرى فى بعض الاديان .. لقد رأيت هذا فى الهند .. وفى أقطار أخرى بأقصى الشرق ..

غير أنى لم أر مثل هذا المظهر .. ومثل هذا التآخى والورع فى وجوه الذين يتطلعون إلى المآذن فى انتظار سماع كلمة الله أكبر .. !!!

فأنا لا أتصور أن ينقطع إنسان عن الطعام والشراب هذه المدة الطويلة وفى جو قائظ شديد الحرارة كمدينة القاهرة ..

لقد أدمنت الخمر حتى انفقت كل مدخراتى عليها كما قلت .. وقد خسرت بسبب ذلك أسرتى وزوجى بعد أربع مرات وفشلت ..!

فمن أين للمسلم هذه القوة التى ينتصر بها على هذه العاهات والعلل .. ؟

إنه الاسلام .. !! كلمة واحدة نطق بها مرافقى المصرى وأسمه " أحمد " والذى استأذننى بضع دقائق يؤدى فيها صلاة المغرب .. !!!

إنه الاسلام ... ولكن أين ؟

* * *

فى صبيحة اليوم التالى كنت أتجه ومعى مرافقى " أحمد " إلى إدارة الازهر .. وفى مكتب الامين العام للدعوة نطقت بالشهادتين وأصبحت منذ هذه اللحظة مسلمة يحرم عليها أرتكاب الفحش أو شرب الخمر .. ؟

لقد تبدلت حياتى منذ ذلك اليوم .. لم أعد " هيلدا " الضائعة فى ظلمات الليل .. !!!

ولم أعد أشعر بوحشة أو غربة فى أيام الصوم .. لقد بدأت تجربة الصوم فعلا ..

ولم تتركنى أسرة " أحمد " وغيرها من الأسر المسلمة أفطر فى مطعم الفندق ..

لقد انفتحت أمامى أبواب السماء كلها ... وجدتنى " عضوا " فى أسرة عدد أفرادها يتجاوز ستين مليون مسلم ومسلمة .. فى مصر .. أو الألف ومائتى مليون مسلم ومسلمة فى كل العالم .. !!!

* * *

وهذه هي معجزة الاسلام .. وستبقي هذه المعجزة

إلي آخر الزمان .. !!

الفهـــرس

العـــام

الموضـوع	الصفحـة

(١) فى أفريقيا .. أو بلاد الماو .. ماو ..! ________ ١١

* أحلام الفتى الصغير فى القرية .
* قصص وحكايات قديمة عن بلاد " نمنم " والدنيا المحمولة على قرن ثور .. !
* ذكريات عن شارع الباطنية .. وشارع محمد على .. !
* ظهور قبائل "نمنم" فى أميركا . وانتقال حى الباطنية إلى هولندا .. !
* حوار مع مدفع محطم فى مرسى مطروح .. !
* الخطر الذى يتعرض له العالم .
* حرب نووية فى فندق رسل " RUSSELL HOTEL" بمدينة لندن .!
* خواطر نفسية حول بعض الأماكن .
* أفريقيا .. التى أحببتها منذ الصغر .

الموضـوع	الصفحـة
* السفر إلى كينيا . وتنجانيقا وزنجبار .	
* كيف وصل الاسلام إلى هذه الأقطار . وهذه الجزر ..؟	
* الرحلة إلى " تابورة " وسط الغابات .	
* مفاجأة فى " موروجورو " فى منتصف الليل .	
* مع السلطان عبد الله فندكيرا .	
* قصة " تيبوتيب " أو حميد المرجبى .	
* أعترافات وزير خارجية الرئيس لومومبا .	
* حكاية ابن القس فى مدينة سنيانجا .	
* لقاء مع الكاتب الاميركى الزنجى " اليكس هيلى" فى مدينة لندن .	
* جريمة أوربا .. وأميركا .	
* القصة الحقيقة لاسترقاق أفريقيا .	
* الطرق الصوفية ودورها فى انتشار الاسلام .	

الموضوع	الصفحة
* الحركة السنوسية ومؤسسها .	
* الدور الذى لعبته أروقة الازهر فى انتشار الاسلام .	
* مجاور .. ومجاورون من كل شعوب العالم الاسلامى .. !	
* قصة الشيخ موسى " أبوبكر التكرورى " مع النملة .. !	
* مفاجأة فى مدينة " تابورة " قبل السفر إلى " ممباسا " .	
* أسرة هندية تطلب منى التوسط عند " إله المسلمين " لانقاذ ابنها العاشق من الموت .. !	
* * *	
(٢) فى الهند .. بلاد العجائب	٣٦
* السفر إلى مدراس .	
* قصة غرام متوحشة بين ثعبانين من نوع الكوبرا !	
* عودة إلى أحاديث القرية حول عشق الافاعى .!	
* ذكرياتى فى " صحن الأزهر " عن الهنود .. والهند !	

الموضـوع الصفحـة

* قصة الشيخ اسماعيل الهندى مع جنود الحلفاء ..

* أكثر من ثلاثمائة مليون إله فى بلاد الهند !

* أسوأ نظام طبقى عرفه العالم .

* قصة ضابط بريطانى مع فلاحين . مسلم . وهندوسى .

* أغرب حوار بين طبيب هندوسى . ومريض من المنبوذين .

* اعـترافـات " جـواهر لال نهـرو " بعظمة الاسلام .!

* مظاهر الحزن الهندى . فى أمارات الخليج .!

* الدولة الاسـلامـيـة العظمى . فى بلاد الهند .

* سفير بريطانيا ينتظر عامين على أبواب قصر الامبراطور المسلم حتى يسمح له بالدخول .

* مـأسـاة المنبـوذين الكبـرى .. وموقف المسلمين .

* الأزهر يتحرك .. بقيادة الشيخ المراغى . لانقاذ المنبوذين .

الموضـــوع | الصفحـــة

* بعثة الأزهر إلى الهند .
* الانجليز والعداوة الدائمة للاسلام .
* الامـبراطور " أكبـر " الذى حـاول هدم الاسلام !
* عـــدد المسلمـــين فـى الهنـد . وباكستان . وبنجلاديش .
* كيف انتشر الاسلام فى الهند . ؟
* قـصـة الداعـيـة الشـيـخ أحـمـد السرهندى مع الامبراطور المارق !
* الملك الهندوسى الذى تحـول إلى داعية باسم " بابا فخر الدين " !
* قـصـة مـالك بن دينار .. والراجا الذى أسلم على يديه .
* السيد البدوى فى مدينة لاهور !
* الداعـــيـــة الذى أسلم عـلى يديه مليون هندى .
* شيوخ الطرق الاولياء فى الهند .
* العز بن عبد السلام .
* حكيم هندى يخاطب نهر الكنج !
* السفر إلى سيلان أو سرى لانكا .

الموضـــوع	الصفحـــة

* حكاية " ابن بطوطة " مع قـدم أبينا أدم وأمنا حواء !
* لقاء فى مطار " كولومبو " .
* سجان من أيام الزعيم عرابى فى المنفى !
* قصة مع مسلم سيريلانكى .
* فى قاعة بندرانيكة .
* رئيس الجمهورية ينحنى أمام رهبان بوذا . !
* لقاء مع الزبير باشا فى صحن الأزهر !
* محمود سامى البارودى فى بلاد الغربة .
* فى كلية الزاهرة التى اسسها عرابى باشا .
* السفر إلى بيرويللا .
* مفاجأة فى قاعة المؤتمر .
* دولة المالديف .. والأزهريون الذين يحكمونها .
* كيف أسلم ملك المالديف .
* قصة الشيخ " أبو البركات " مع الجنى . !

الموضـوع	الصفحـة

(٣) فى اندونسيا . و .. ماليزيا أو بلاد شركة الاولياء التسعة ! ———— ٧٠

* كيف .. ومتى .. وصل الاسلام إلى هذه المنطقة ؟
* الوثائق التاريخية .. ماذا تقول ؟
* رواية عجيبة عن انتشار الاسلام فى بلاد الملايو .
* قصة الشيخ عبد الله الداعية المسلم مع الراجا .
* الراجا يأمر بتحطيم الاصنام بعد أن أسلم .
* زوجات الراجا والوزراء يدخلون أفواجا فى دين الله .
* سلطان " أنجيه " والشيخ نور الدين .
* تجار ودعاة .
* المنهج الاسلامى الفذ فى الدعوة إلى الله .
* شركة الاولياء التسعة !
* الاسلام والمسلمون فى الفليبين .

الموضوع	الصفحة

* معركة بين .. المسلمين . والاسبان .

* مصرع السفاح ماجلان .

* فى " سلا ملك مكة " .

* ماليزيا البلد المسلم المثالى فى جنوب شرق آسيا .

* حى الحسين والأزهر فى " كوتابارو " !

* حوار مع وزير ماليزى فى شاطىء الغرام !

* عفاريت . انجليز . ويابانيون فى شاطىء الغرام !

* زواج جماعى بين السلاحف القادمة من استراليا .

* قصة " جنية " مصرية !

* * *

(٤) فى اليابان أو بلاد الشمس المشرقة ———— ٨٢

* لقاء فى فندق جبل العطر THE FRAG RANT HOTEL فى بكين

الموضوع	الصفحة

* كيف ومتى بدأت معرفتى باليابان ؟
* ذكريات عن الحرب العالمية الثانية .
* أستاذ أزهرى من المغرمين باليابان .
* حافظ إبراهيم .. وفتاة اليابان .
* مفاجأة .. من شيخ الأزهر .
* أول لقاء بين الاسلام واليابان .
* قصة الباخرة العثمانية والسلطان عبد الحميد .
* أمبراطور اليابان يطلب دعاة مسلمين .
* قصة الشيخ عبد الرشيد .
* أول من أسلم من اليابانين .
* المفاجأة الكبرى فى طوكيو .
* الداعية الاسلامى المصرى الشيخ على الجرجاوى .
* البحث عن كتاب الرحلة اليابانية .
* مفاجأة أخرى عن الامير محمد على .

الموضوع	الصفحة

* الشيخ على الجرجاوى يتكلم ..
* التجرد . والاخلاص أهم صفات الداعية .
* الشيخ على الجرجاوى فى طوكيو .
* لقاء المخلصين فى طوكيو .
* تشكيل جمعية الدعوة .
* اليواكير الأولى لانتصار الاسلام .
* اسلام ١٢,٠٠٠ أثنى عشر ألف يابانى .
* خط سير الرحلة العجيب .
* مفاجأة للشيخ على فى ميناء " نابولى " الايطالى .
* الفرصة الضائعة فى كوريا الجنوبية !

* * *

(٥) فى بلاد الصين من سنجيانج إلى نهر اللؤلؤ ________ ٩٦

* سافر...تجد..عوضا عمن تفارقه .
* الشيخ الياس .. الأزهرى .. الصينى .!

الموضوع	الصفحة

* قصة "أم المسلمين" في بلاد الصين .!
* أسماء " اجبارية ".. للمسلمين .!
* المترجمة "زينب" التى خدعتنا .!
* ذكريات عن الحرب الصينية . اليابانية .
* حرب الأفيون .. وجريمة بريطانيا .
* خواطر فى فندق راسل " RSSEL HOTEL" فى مدينة لندن .
* كيف وصل الاسلام إلى بلاد الصين .
* الاتفاق بين القائد " قتيبة بن مسلم " وامبراطور الصين .
* عندما يتكلم ابن بطوطة .!
* افراح فى مدينة ؛ الخنساء الصينية .!
* قصة " عثمان بن عفان " المصرى .!
* مفاجأة على قمة جبل " تونكانى " والنهر الاصفر .

الموضوع	الصفحة
* في مسجد المشتاق إلى النبى فى ولاية كانتون .!	
* ٤٠,٠٠٠ أربعون ألف مسجد ومدرسة لتعليم الدين واللغة العربية . سابقا .!	
* مكة المكرمة ... التى انتقلت إلى الصين .!	
* كم عدد المسلمين فى الصين ؟	
* مغالطات ينكرها التاريخ .	
* أحاديث قديمة فى جريدة الاهرام منذ ستين عاما .	
* العلاقة بين الطوائف الدينية فى الصين .	
* الوضع الاجتماعى للمسلمين فى بلاد الصين قديما .	
* حوار مع الشيخ الامام " واى ون كين " .!	
* مقال قديم فى مجلة الهلال المصرية سنة ١٩٣٩م .	
* الجنرال المسلم " عمر باى جونج سى " .	

الموضوع	الصفحة
* الرئيس " صن يات صن " والمسلمون .	
* اعترافات " ماوتسى تونج " .!	
* الرقم التقريبى لعدد المسلمين فى الصين .	
* * *	
(٦) فى بلاد التركستان .. وما وراء النهرين (١) !	١١٦
* التركستان..معنى هذه الكلمة ..	
* " الله اباد " معناها مدينة الله !	
* الرحالة " ابن فضلان " وأخبار أهل هذا الزمان ..	
* أول مواجهة بين ملك مغولى .. وتاجرين مسلمين .	
* المعجزة الاسلامية الكبرى .. وإسلام التتار ..	
* المؤذن الذى أزعج الملك .!	
* التتار المسلمون يحكمون روسيا .	

(١) النهران : هما سيحون .. وجيحون .

الموضوع الصفحة

* محاكمة الجيش الاسلامى فى سمرقند .!
* المسلمون تحت حكم القياصرة .
* ذكريات عجوز مسلم عن حكم القياصرة . وحكم الشيوعيين .
* اعترافات طبيبة مسلمة .
* لقاء مثير مع بعض المثقفين فى " طشقند " .
* أئمة الاسلام .. وفلاسفته جاءوا من بلاد التركستان .

* * *

(٧) فى روسيا . وبلاد الموسكوف .! ـــــــــ ١٣٢

* لماذا رفضت روسيا الاسلام .. أولا ؟!
* " ابن فضلان " يصف " روس " هذا العصر .!
* قصص وحكايات لا تخطر على بال .!
* دعوة .. واعتذار .!
* الثأر القديم بينى وبين الشيوعية .!

الموضوع الصفحة

* قصة " الفتوى " التى اثارت ضجة فى جميع أنحاء العالم .
* الشيوعيون يهتفون بسقوط عبد الودود جونسون .!
* لكن لماذا أكره أميركا ؟
* روسيا بعد السقوط . الشيوعى .!
* مفاجأة عن التتار المسلمين فى موسكو .!
* التتار والدعوة إلى الاسلام .
* الدور العظيم للطرق الصوفية .
* الشيوعيون والحرب ضد الاسلام .
* صورتان من العهد القيصرى . والعهد الشيوعى .

* * *

(٨) فى استراليا .. أو بلاد الكانجرو ! ——— ١٤٦

* حقائق وأرقام عن استراليا .
* من هم سكان أستراليا الاصليون .
* استرالشيا . أو . أستراليا والمعنى الحقيقى لهذا الاسم .

الموضوع	الصفحة

* قليل من التاريخ والجغرافيا .!

* الكابتن جميس كوك .. وبداية التاريخ الحديث لاستراليا .

* استراليا .. تتحول إلى منفى للمجرمين .!

* العلل والأفات الاسترالية .

* صورة من الشارع الاسترالى .

* بدء ظهور العقبات والمشكلات .

* الحل .. عند المسلمين ؟

* المكتشفون الحقيقيون لاستراليا هم المسلمون أيضا .

* علاقات قديمة بين سكان استراليا القدامى . وبين المسلمين .

* قصة .. الجمل .. والجمالين .. !

* الأذان .. يدوى فى سماء استراليا قبل دق النواقيس .!

* المسلمون الأوائل .

* قصة الشيخ بيجاه درويش .

* شيء .. عن جزر " فيجى " والمسلمين فيها .

الموضوع	الصفحة

* هل سمع أحدكم شيئا عن نيوكالدونيا ؟
* مأساة شعب مسلم لا يعرف العرب والمسلمون عنه شيئا .!
* كم عدد المسلمين فى استراليا .
* أهم الجنسيات والجاليات الاسلامية فى استراليا .
* العقبات .
* صور لا تسر . الخاطر .!
* ما العمل ؟

* * *

(٩) اميركا .. التى لا احبها ! ١٦٨

* تاريخ أسود .. وحاضر أكثر سوادا !
* التشابه بين أميركا .. واستراليا .
* المسلمون أول من أكتشف أميركا !
* ماذا يقول الدكتور أرفنج ؟
* شهود .. وأدلة على وصول المسلمين إلى أميركا قبل "كولومبس".

الموضـوع	الصفحـة

* دراسات علمية أخرى تؤكد وصول المسلمين مبكرا إلى أميركا .
* المسلمـون السـود يزحـفـون إلى واشنطن .!
* قـصـة الشهـيـد مـالكولم أكس . أو مالك الشباز .
* أوائل الدعاة المسلمين فى أميركا .
* فارض محمد أو الشخص الغامض .!
* حكايات وأساطير .!
* مبادىء فارض محمد وأفكاره .
* اليجا محمد .. النبى الزنجى .
* حركة تصحيح كبرى بين المسلمين الزنوج فى اميركا ..
* أوكازيون للأنبياء فى أميركا .!
* جماعـة التبليـغ . فى أميـركـا .. قصة شيقة . وممتعة !
* حـوار مع الدكـتـور " فـاروق عبـد الحق " المستـشـار السابق للرئيس الاميركى نيكسون .
* أين الدعاة الحقيقيون فى أميركا .
* نكتة مصرية .. فى الصميم .!

الموضوع	الصفحة

* اعترافات رسمية باهمية الاسلام في مكافحة الجرائم .

* * *

(١٠) أوروبـا .. التـى خـربت الدنيـا ! ـــــــــــــــ ١٩٦

*حكاية طريفة مع صاحبة البيت في كمبردج .

* الشيخ محمد رفعت ... فى هامستد " HAMP STEAD "

* قصة المستر " تيلر " مع القرآن .

* محاضرة الامير تشارلز عن الاسلام والغرب فى أكسفورد .

* عدد المسلمين فى أوربا .

* أول لقاء بين الاسلام وأوربا .

* فتوح المسلمين فى أوروبا ..

* المسلمون وصلوا إلى أبواب فينا .. وباريس .!

* لا أكراه فى الدين .

* محمد الفاتح فى القسطنطينية .

* مقارنة تاريخيه بين الاتراك والاوربيين .

الموضوع	الصفحة

* حوار بن قائد مجرى .. وقائد تركى .!

* الراهب المجنون .. والمصيبة الاسلامية .!

* حكاية الحاج عبد الكريم جرمانوس فى بلاد البوسنة .

* اعترافات شاعر روسيا العظيم " تولوستوى " .

* لماذا أسلم الفيلسوف جارودى ..

* أول لقاء بين الاسلام...والالمان .

* أوائل المسلمين الالمان .

* زيارة استاذ أميركى إلى لجنة الفتوى ١٩٤٨م وماذا قال ؟

* اللورد هيدلى والدعوة إلى الاسلام فى بلاد الغرب .

* العقبات التى تقف فى طريق الاسلام .

* الكونت " هنرى دى كاسترى" يدافع عن الاسلام .

* هؤلاء الفرنسيون اختاروا الله .. قصة " كونت فرنسى " آخر .

* بريطانيا تعرض نفسها على الاسلام . وثيقة تاريخية .!

* قصة أخرى .. لملك أنجليزى عجيبة .

* حوار مع " برنارد شو " فى سنغافورة عن الاسلام .

* أوائل المسلمين فى بريطانيا .

* المؤسسات الاسلامية فى بريطانيا .

* مفاجأة مثيرة فى منزل أستاذ انجليزى فى جامعة لندن .!

* اعترافات " هيلدا " الالمانية فى ميدان سيدنا الحسين .!

* * *

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

* * هـذا الكتـاب * *

* هل هو كتاب دعوة يتعرف منه ؛ دعاة اليوم ؛ على ما كان عليه دعاة الامس من تجرد وإخلاص ؟

* أم هو كـتـاب تـاريخ وحـضـارة ؛ يكشف للقارئ أحداث الماضى وحركة الحياة فى أقطار كثيرة من العالم ؟ .

* أم كـتـاب خـواطر وذكـريات تـغـوص وتطفـو فى ذهن - الكـاتب أو المؤلف - بحـثـا عـن نافـذة تطل منهـا على القارئ ؟

* أم هو كتاب أدب وتـربية فى كيفية التعامل مع الجماعات والأمم ؟ .

* أم هو هذا كله . بإيجاز واختصار ؟

* أقـرأ الكتـاب أولا .. حـيـث يطوف بك الكاتب على جناح قلم ! فى عـالـم تـخـتـلط فـيـه الرؤى والمشاهـد من مكان إلى آخر .. من الشـرق إلى الغـرب .. من الحـقـيـقـة الواقع إلى الخيال والجمال والسحر !!!

الناشر

أحمد فكرى

22 2000 1 22
الأهرام AL-AHRAM
٤٥,٠٠٠
.917
71

مركز الراية للنشر والإعلام
Al-Rayah Center For Pub. & Inf.
التوزيع فى جمهورية مصر العربية - مكتبة فكرى - القاهرة - ميدان الحسين